المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

الضامين التربوية المستنبطة من سورة عبس وتطبيقاتها التربوية

إعداد الطالب

علي بن حسين علي صنبع

الرقم الجامعي 42788084

إشراف

الأستاذ الدكتور/ حامد بن سالم الحربي

بحث مكمل للحصول على درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة
مقدم إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة

الفصل الدراسي الثاني لعام 1430 هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ
وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾

[سورة الإسراء، الآية 9]

ملخص الدراسة

عنوان الدراسة: المضامين التربوية المستنبطة من سورة عبس وتطبيقاتها التربوية.

رسالة ماجستير في التربية الإسلامية.

اسم الباحث: علي حسين علي صنبع

أهداف الدراسة:

1 توضيح المعاني المهمة التي جاءت بها سورة عبس من خلال سبب نزولها والأثر الذي أحدثته.

2 تبيين المضامين التربوية المستنبطة من سورة عبس التربوية.

3 ربط هذه المضامين بواقع الحياة العصرية وفقًا للتوجهات التربوية الراهنة.

4 كيفية التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة من خلال سورة عبس.

منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهج الوصفي والمنهج الاستنباطي في الدراسة.

وتكونت الدراسة من :الفصل الأول: خطة الدراسة، وقد اشتملت على : موضوع الدراسة، وأسئلتها، وأهدافها، وأهميتها، ومنهجها، وحدودها، ومصطلحاتها، والدراسات السا بقة وعلاقاتها بدراسة الباحث،أما الفصل الثاني فكان في سبب نزول سورة عبس وتفسيرها، والتعريف بشخصية عبد الله بن أم مكتوم. أما الفصل الثالث فتناول المضامين العقائدية التربوية المستنبطة من السورة. وجاء الفصل الرابع لبيان المضامين الاجتماعية المستنبطة من السورة . وفي الفصل الخامس تم توضيح المضامين السلوكية والأخلاقية المستنبطة من السورة. أما الفصل السادس فقد خصصه الباحث في التطبيقات التربوية المستنبطة من السورة في مجال الأسرة والمدرسة والمجتمع . وفي الفصل السابع كانت خاتمة الدراسة، والتي تضمنت النتائج والتوصيات والمقترحات التي خرجت بها الدراسة.

ومن أهم النتائج:

1 شرف العلم وفضله فهو يؤدي إلى زكاة النفس وزيادة الإيمان.

2 جحود وكفر الإنسان بربه مع كثرة النعم، فلكثرُ بني البشر كافرون لنعمة الله تعالى.

3 خطر التبعات على العبد يوم القيامة وهي الحقوق التي يطالب بها العبد يوم القيامة.

4 شدة الهول والفزع تنسي المرء يوم القيامة أن ينظر إلى عورة أحد من أهل الموقف.

5 ثمرة الإيمان والتقوى تظهر في الموقف نورًا على الوجه وإشراقًا له وإضاءة وثمرة الكفر والفجور تظهر ظلمة وسوادًا على الوجه وغبارًا.

6 ختمت ببيان أهوال القيامة وفرار الإنسان حتى من أقاربه فزعًا وخوفًا.

7 - الاهتمام الأسري بالمعاقين يفتح أمامهم مجالات أرحب للدمج في مجتمعاتهم.

ومن أهم التوصيات:

1 -ضرورة إعداد البحوث التربوية التي تتناول سور وآيات القرآن الكريم بالبحث والتمحيص.

2 -على المعلم القيام بالدور الفعال في تطبيق المضامين التربوية التي وردت في (سورة عبس).

3 على الأسرة التي تربي أبناءها تربية إسلامية تستقي تعاليمها من تعاليم الدين الحنيف.

ومن المقترحات:

1 -إجراء دراسات أخرى في مجال استنباط المضامين التربوية على (سورة عبس).

2 -إقامة دراسات ميدانية على واقع الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة و دمجهم بالمدارس العامة.

3 -إعداد دراسة مقارنة في المجالين العلمي والديني في مدارسنا للوقوف والتعرف على الإعجاز العلمي.

Abstract

Title of the study: Educational contents deduced from Abasa and its educational applications .

Master in Islamic Education . Researcher Name : Ali Hussein Ali Sunbua .

Objectives of the study :

1. To clarify important concepts which came in the Abasa through reason of descent and the impact caused .
2. To clarify important Educational contents deduced from Abasa .
3. Link this contents by modern life, in accordance with the current educational trends .
4. How to deal with people with special needs through Abasa .

Methodology :

The researcher has used descriptive method and deductive approach to the study . And formed the study: Part I: Study Plan, and has included: the subject of study, and questions, and goals, and its importance, and methodology, and its borders, and terminology, and previous studies and examine their relationship to the researcher, the second chapter was in Abasa reason for the revelation and interpretation, definition and character of Abdullah Bin Umm Maktoum.

The third chapter has dealt with doctrinal content Educational inventor of Sura. And the fourth quarter came to a social content deduced from the Sura. And in Chapter V has been clarified behavioral and moral content deduced from the Sura. The sixth chapter may be allocated a researcher in educational applications derived from the Sura in the family area, schools and society. And in Chapter VII of the conclusion of the study, which included findings and recommendations and proposals that emerged from the study .

The most important results :

1. The honor of science and it is preferred to lead to self-esteem and increase faith .
2. Denial of rights and atoning of Lord with many blessings, the more people disbelieve for the grace of God Almighty .
3. Danger of Consequences on the Day of Resurrection, and the rights are claimed by the Day of Resurrection .
4. Intensity of suffering and fear make one forget the Day of Resurrection to be seen one of the rougher people of the situation .
5. The result of faith and piety appear in a light position on the face and a brighter lighting and a result of blasphemy and debauchery show dark and dark on the face and dust .
6. Concluded by a statement escape the horrors of the resurrection and the rights, even relatives, panic and fear .
7. Attention by the disabled community in front of them open wider areas of integration in their communities .

The important recommendations :

1. The need to develop educational research that address wall and verses from the Koran and searching scrutiny .
2. Teacher should play the effective application role in educational contents, that has been done in a (Abasa) .
3. The family who raising their children to Islamic Education concludes that the teachings derived from the teachings of Islam .

The proposals:

1. Conduct other studies in the field of development of pedagogical contents (Abasa).
2. The establishment of field studies on the reality of students with special needs and their integration in public schools .
3. Prepare a comparative study in the fields of scientific and religious in our schools to determine and identify the scientific miracle .

الإهداء

إلى والديَّ .. أمي وأبي

اللذين لهما الفضل بعد الله - جلَّ وعلا- في تربيتي وتوجيهي

أدعو الله –تعالى- لهما بالتوفيق وبعمرٍ مديد في طاعة الرحمن المجيد

كما أسأله أن يجزيهما على ما قدماه وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتهما.

إلى زوجتي الغالية.. رفيقة الدرب

والتي تفجّر عطاؤها وصبرُها وتحمُّلها فترة دراستي وإعدادي لهذه الرسالة

متمنيًا لها دوام الصحة والعافية.

إلى أبنائي الأحباء فلذات كبدي..

والإهداء موصول إلى كل طالب علمٍ

يجُهد نفسه لإنارة بصيرته وبصائر الآخرين حبًّاوكرامة

والله أسأل التوفيق والسداد.

شكر وتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله يعمُّ الخير لكل الأنام، وأصلي وأسلم على أزكى البرية وسيد البشرية والمعلم الأول محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

يسعدني أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان اقتداء بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» وقوله صلى الله عليه وسلم: «من صنع إليكم معروفًا فكافئوه فإن لم تكافئوه فادعوا له».

أتقدم بوافر الشكر إلى كل من مدَّ لي يد العون في إتمام هذه الدراسة وأخص بالشكر كلية التربية ممثلةً في جميع منسوبيها، لاسيما قسم التربية الإسلامية والمقارنة وجميع أعضاء هيئة التدريس بها.

والشكر الخاص الذي ليس له حدود والعرفان الذي لا أنساه طيلة حياتي

لسعادة الأستاذ الدكتور / حامد بن سالم الحربي، نظير صبره وتحمُّله خلال فترة إعداد الرسالة. أسأل الله –تعالى- أن يجزيه خير الجزاء ويجعل ما قدم لي من معلومات غنية وفيرة أفادت الرسالة في ميزان حسناته.

والشكر والعرفان إلى سعادة الدكتور / نجم الدين بن عبد الغفور الأنديجاني، رئيس قسم التربية الإسلامية السابق على تعاونه معي خلال فترة دراستي في هذا القسم.

وشكر وعرفان إلى سعادة الأستاذ الدكتور / عبد الله بن محمد حرير ي، لتفضله بتحكيم خطتي للرسالة.

والشكر الخاص إلى سعادة الدكتور/ نايف بن حامد الشريف، رئيس قسم التربية الإسلامية الذي تشرفت بأن يكون أحد مناقشي هذه الرسالة. وكذلك لتعاونه أثناء دراستي وتحكيمه لخطة الرسالة وما تميز به من حسن خلق وتعامل رائع.

والشكر موصول إلى سعادة الدكتور / عبد الناصر سعيد عطايا، لتفضله كذلك بقبول مناقشة الرسالة، وتعاونه أثناء دراستي وإعدادي للرسالة وما يتميز به من بذل وعطاء وحب لإخوانه وتلاميذه في قسم التربية الإسلامية.

والشكر الخاص إلى سعادة الدكتور / عثمان علي السهيمي، مدير مكتب التربية والتع ليم بالنسيم، وذلك لمساعدته والأخذ بيدي أثناء دراستي.

والشكر موصول لجميع إخواني المشرفين التربويين في مكتبَيّ التربية والتعليم، بالنسيم والشرق.

ولجميع زملائي الأعزاء رفقاء درب العلم أثناء دراستي في مرحلة الماجستير.

فجزى الله الجميع عني خير الجزاء.

الباحث

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
آية قرآنية	ب
ملخص الدراسة باللغة العربية	ج
ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية	د
الإهداء	هـ
شكر وتقدير	و
قائمة المحتويات	ز
الفصل الأول: خطة الدراسة	
مقدمة	1
موضوع الدراسة	4
أسئلة الدراسة	5
أهداف الدراسة	5
أهمية الدراسة	6
منهج الدراسة	7
مصطلحات الدراسة	8
الدراسات السابقة	10
علاقة الدراسات السابقة بدراسة الباحث	15
الفصل الثاني : ملامح سورة عبس وتفسيرها	
المبحث الأول: تفسير سورة عبس	17
سبب النزول	18
تفسير السورة	19
المبحث الثاني: التعريف بشخصية عبد الله بن أم مكتوم – رضي الله عنه	33
الفصل الثالث: المضامين العقدية المستنبطة من سورة عبس	
تمهيد	40
المبحث الأول: الآثار الإيمانية للبعث والنشور	41
الآثار التربوية للإيمان باليوم الآخر	44
المبحث الثاني: الآثار الإيمانية المترتبة على الإيمان بالقرآن والملائكة	54
الآثار التربوية للإيمان بالقرآن	56
أسلوب تربية القرآن للناشئة	58
الآثار الإيمانية المترتبة على الإيمان بالملائكة	58

تابع قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الرابع: المضامين الاجتماعية المستنبطة من سورة عبس	
مقدمة	64
المبحث الأول: الآثار الاجتماعية الإيمانية المترتبة على المسؤولية الفردية	65
المبحث الثاني: الآثار الاجتماعية المترتبة على الطاعة والإيمان	74
الفصل الخامس: المضامين السلوكية والأخلاقية المستنبطة من سورة عبس	
مقدمة	82
المبحث الأول: حمل النفس على الطهر والطاعة	83
معنى السلوك والخلق	83
تعريف الأخلاق	85
معنى الخلق عند العلماء المسلمين	85
الفرق بين السلوك والخ لق	88
تطهير النفس	88
الأخلاق العظيمة طهارة للنفس (الرسول – صلى الله عليه وسلم- كقدوة أخلاقية)	91
المبحث الثاني: المبادئ التربوية المترتبة على عتاب الله – سبحانه وتعالى	
للنبي – صلى الله عليه وسلم – في قصة ابن أم مكتوم – رضي الله عنه	95
العتاب	96
الأثر الخلقي التربوي للعتاب	97
المبادئ التربوية المستنبطة من أسلوب العتاب في السورة	98
1- التلطف في المعاملة	99
2- التوادد والتعاطف	100
3- الرفق بالمتعلمين	102
4- الصدق هو طريق النجاح والفلاح	106
5- اتباع أسلوب الترغيب والترهيب وذلك لتربية النفس وتهذيبها	107
6- الإرشاد إلى فعل الخير	108
7- التلطف في العتاب	109
8- المساواة	111
9- تكريم النفس بالطهر	112
10- التواضع	113
11- تبليغ أمانة العلم	114
12- التأمل والتفكر في آيات الله واتخاذ العبرة	115

تابع قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
13- تعظيم القرآن الكريم خاصة والكتب السماوية عامة وإعلاء شأنها	117
14- الدعوة إلى حسن الخلق فهو الطريق إلى الهداية والفلاح	118
15- التحذير من الجحود والإنكار	120
16- تنمية (الحوار الخطابي) الأخلاقي التربوي	123
الفصل السادس: التطبيقات التربوية المستنبطة من سورة عبس	
المبحث الأول: المضامين التربوية المستنبطة من سورة عبس في المجال الأسري	127
دور الأسرة في تحقيق المضامين التربوية	129
المبحث الثاني: المضامين التربوية المستنبطة من سورة عبس في المجال المدرسي	136
الوظائف التربوية للمدرسة	139
1- المضامين التربوية في الجانب العقائدي والتعبدي	140
2- المضامين التربوية في الجانب الأخلاقي	146
المبحث الثالث: المضامين التربوية المستنبطة من سورة عبس في المجال الاجتماعي	149
المبحث الرابع: دمج ذوي الاحتياجات الخاصة والأخذ بأيديهم	156
الفصل السابع: خاتمة الدراسة	
الخاتمة	170
النتائج	172
التوصيات	173
المقترحات	175
المصادر والمراجع	176

الفصل الأول

خـطـــــة الـدراســـــة

- مقدمة.
- أسئلة الدراسة.
- أهداف الدراسة.
- أهمية الدراسة.
- منهج الدراسة.
- حدود الدراسة.
- مصطلحات الدراسة.
- الدراسات السابقة.
- علاقة الدراسات السابقة بدراسة الباحث.
- فصول الدراسة.

مقدمة

الحمدُ للّٰهِ ربِّ العالمين الذي علَّمَ بالقلم، علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلم، و أشهد أن لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خير البرية، وأزكى البشرية، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.. وبعد:

فقد نزل القرآن الكريم حافلاً بأسمى وأنبل وأعظم تراث موجهًا للبشرية في كل الأزمان ومنهاجًا قويمًا خالصًا، ضلَّ من حاد عنه، وانحرف من انصرف عنه، فهو جملةٌ خيِّرة من السلوك القويم، من اهتدى بهديه فقد سلك الطريق القويم، ومن ابتغى غيره فقد غوى، وأهم ما اهتم به تهذيب السريرة وتنقيتها من كل شائبة بعد اختيار اللّٰه – تعالى- الإنسان خليفة في أرضه، فلا عجب أن كَرَّمه بالت هذيب وزَيَّنه بالخُلُق النبيل والسلوك الفاضل.

وكلام اللّٰه وسنة رسول اللّٰه - صلى اللّٰه عليه وسلم- هو أساس خصائص العقيدة الإسلامية والمسدد والموجه لها في جميع اتجاهات الحياة الدنيا والآخرة، وسع كلامه- سبحانه وتعالى- جميع أوجه الهدى والاستقامة والعدل [1]، قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [سورة إبراهيم: الآية : 1].

وقد أرسى القرآن الكريم مناهج خاصة بتربية الإنسان وهي تربية ربانية تتضاءل بجانبها كل النظريات التي أتى بها العقل البشري حتى إن ما يصلح من هذه النظريات لابد أن يكون جزءًا من معنى من معاني القرآن الكريم وتوجيهاته ومضامينه التربوية، والمنهج القرآني يتحرك داخل إطار ثابت قائم على التوحيد، وهو منهج شامل؛ والشمول ما هو إلا طابع من الإعجاز الإلهي بمخاطبته الكينونة الإنسانية بكل جوانبها وحاجاتها واتجاهاتها، ومرد ذلك هو جهة واحدة هو الخالق- سبحانه وتعالى[2].

فمنهج القرآن الكريم يتضمن مجموعة من المبادئ السامية التي تحتوي على الأساليب التربوية القيِّمة، ومن أساليب إعجازه أنه يبدأ بالإقناع العقلي الإنساني مقرونًا بإثارة العواطف والانفعالات الإنسانية، فيضرب الأمثال الحية توصلاً إلى الإقناع،

([1])أمين أبو لاوي، معالم الثقافة الإسلامية،الدمام: دار ابن الجوزي،1419هـ، ص36.

([2])أحمد الحمد، التربية الإسلامية، الرياض: دار أشبيليا، 1423هـ، ص21.

وكذلك الأسلوب القصصي والاستفهامي والحواري والخبري، لذلك كان للقرآن الكريم وقعٌ عظيم وأثر تربوي بالغ في نفوس المسلمين، وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم- : «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي»[1].

والقرآن الكريم ببيانه وإعجازه قد غرس أثرًا لاشك فيه في تربية نفس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقد شهدت بذلك أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها- عندما سئلت عن خلقه - صلى الله عليه وسلم- فقالت: "كان خُلُقُه القرآن"[2]. كما تأثر أصحابه –رضي الله عنهم- بالقرآن فأخذوا بتطبيق ما تعلموه.

والقرآن الكريم بهذا الشمول يحقق خيري الدنيا والآخرة، فهو يدعو إلى الحياة المتوازنة، حيث أكرم الإنسان بالعقل والإرادة، وهيأ له كل الوسائل التي من شأنها ترقية النفس البشرية المتمثلة بالقيم والمبادئ السامية.

ومن فيض هذا البحر الزاخر المليء بالمعاني والفضائل والآداب والخلق القويم والتربية الصالحة، فقد جاءت سورة عبس ترسم جملةً من المعاني والمضامين التربوية وتهذب سلوك المسلم وتوطد صلته بخالقه – سبحانه وتعالى.

لذلك كان - صلى الله عليه و سلم- ينطق بالحكمة والأدب الجم والخلق الرفيع، وهي الصفات التي طالما دعا إليها كتاب الله –تعالى- [3] ، من ذلك قوله - تعالى- : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الجمعة: الآية 2].

وقد تنوع البيان الإلهي في تربية الروح والعقل ولفت الانتباه وتحقيق الأهداف التربوية والتشريعية، من ذلك استخدامه الأسلوب القصصي في سورة عبس الذي يعد أحد الأدلة في توثيق هذه المضامين كقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝ ....﴾ [سورة عبس: الآيتان1 – 2]، فقد كان الأسلوب مشوقًا يشد القارئ ويجذبه ويرغبه لمعرفة تفاصيل القصة أو الحدث في أبلغ ما يكون الأسلوب، وهناك أساليب عديدة في القرآن الكريم يحتاج فيها قارئ القرآن إلى التدبُّر والتَّمعُّن حتى يفهم المعنى

([1])رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين،ج2، برقم (139)، بيروت: دار الكتب العلمية، 1412هـ ، ص339 – 340.

([2])رواه أحمد، مسند الإمام أحمد، ج6، برقم (24645)، بيروت: دار الرسالة، 1429هـ. ، ص91.

([3])أحمد الحمد، التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص31.

المقصود، من ذلك قوله تعالى : ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ۝٣..﴾ [سورة العاديات: الآيات:1 – 3]، فالبيان الإلهي - هنا- يختلف عن سابقه من حيث إنه جاء بأسلوب القسم، ومنه –أيضًا- قوله تعالى : ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [سورة الضحى : الآيات 1- 3]. فالقسم في هذه السورة يختلف عن القسم في الآية السابقة من خلال أن القسم في السورة السابقة كان عامًّا، في حين كان القسم في سورة الضحى موجهًا للرسول –صلى الله عليه وسلم؛ إلى غير ذلك من الآيات التي تنوع فيها البيان الإلهي حسبما يقتضيه الحال والمقال، فهي تحمل في كل منها توجيهًا معينًا وهدفًا محددًا، فالله – سبحانه وتعالى- أعلم باستيعاب الإنسان وعقله وشعوره وأحاسيسه.

كما أن هناك تنوعًا في الاتجاهات التي تناولها القرآن الكريم في التربية، فالقرآن الكريم ينشئ من المواقف والأحداث أصولاً ومبادئ عامة، ويتخذ منها العبرة والفكرة والتأمُّل، وهو بهذا النهج إنما يمتزج بالنفس البشرية امتزاجًا روحيًّا عظيمًا، وهذا هو محور التربية القرآنية ومضامينها التي وردت في آياته الكريمة - بشكل عام- وفي سورة عبس - بشكل خاص [1]. ولهذا كان موضوع الدراسة يتعلق بهذه السورة العظيمة.

([1])سيد قطب، في ظلال القرآن، ج7، بيروت: دار الشروق، 1412هـ، ص451.

موضوع الدراسة:

من المعروف أن من طبع الإنسان أنه يسعى ليستقي سلوكه من تجارب البشر ونظريات التربية الحديثة والتي هي بدورها صادرة عن العقل البشري، فحري به أن يتجه بفكره وقوله وعمله لمن خلق البشر، وجعل له هذا العقل حتى يفكّر ويتدبّر أموره، ومهما حالفه النجاح فهو منقوص لا يرقى لكمال آياته البينات - سبحانه وتعالى.

فقد عاتب الله –تعالى- أحب خلقه إليه وأفضلهم عنده وأخشاهم له واتقاهم بتشاغله عن عبد الله بن أم مكتوم – رضي الله عنه- هذا الرجل الأعمى ظنًّا منه أن هناك من هو أهم منه وأنفع إذا ما دخلوا في الإسلام مع أنه - عليه الصلاة والسلام - لم ينهره، ولم يعنفه، وإنما جاء العتاب حرصاً على مشاعر ذلك الأعمى أن تجُرح. فدلَّ هذا على القاعدة المشهورة أنه لا يُترك أمر معلومٌ لأمرٍ موهومٍ ولا مصلحةَ متحققةٌ لمصلحةٍ متوهمةٍ، وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم المفتقِر إليه الحريصُ عليه أزيدُ من غيرِه.

وقامت هذه الدراسة بتوضيح بيان العمى الحقيقي ، فإذا كان الذي قَدِم إليك أعمى البصر، فإنه قد جاء يريد أن يُبصرَ الحقَّ، ويزدادَ منه، وقد أعرض عنك أعمى القلب ظاناً أنه استغنى، و شتَّان بين أعمى البصرِ وأعمى البصيرة. .

كما كانت هذه الدراسة معنية ببيان حاجة المعوق للعناية ، و كأنه يكون قد استحق عنده العُبوسَ والإعراضَ لأنه أعمى، و كان يجب أن يزيدَه عماهُ تعطُّفاً و تلطُّفاً وترحيباً ..فذكر الله –تعالى- ابن مكتوم بصفة العمى ؛ ليظهر المعنى الذي شأنُ البشر احتقارُه وبيَّنَ أمرَه من مِثلِ ضرِّه من غِنى الكافرِ.

ومن المضامين التربوية التي حرصت الدراسة على إبرازها هو بيان عدل الإسلام، فليس أهل الغنى والجاه بأحق من أهل الفقر والعاهات لاستماع الحق والاستئثار بالداعِية وجُهدِه ووَقتِه. ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [سورة الأنعام : الآية 53]، و قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ... ﴾ (سورة الحجرات: الآية 13]

فالدعوة الإسلامية –إذن- جاءت لتنقذ الإنسان مهما كان هذا الإنسان وضيعًا أو شريفاً كريمًا أو حقيرًا- الأمر لا يختلف - فالمراد إنقاذه من النار وهدايته لعبادة الواحد القهار، وهذا هو الهدف الأسمى والحقيقة، و تلك هي حقوق الإنسان في الإسلام

حقه في أن ينال سعادة الدنيا و ثواب الآخرة، وحقه أن تصل إليه الكلمة الباقية ، وأن تغرس في نفسه الشجرة الطيبة ، وأن يتعرف إلى خالقه حق المعرفة بلا شوائب ولا عوائق.

وسورة عبس –إجمالاً- تتضمن توجيهات أخلاقية وسلوكية أراد الله –تعالى- أن يعلِّم بها رسوله الكريم - صلوات الله وسلامه عليه- ويعلِّم من خلاله البشر أجمعين بصيغ إسلامية للتعامل الأخلاقي والسلوكي لم تَخْلُ من عتاب رقيق فيه تبصرة بالأمور والتصرف في المواقف الإنسانية بمبادئ من القيم السامية والمضامين النبيلة.

أسئلــة الدراســة:

السؤال الرئيسي:

- ما المضامين التربوية في سورة عبس وما تطبيقاتها؟

الأسئلة الفرعية:

1) ما ملامح سورة عبس ومكانتها في القرآن الكريم؟
2) ما المضامين العقدية المستنبطة من سورة عبس؟
3) ما المضامين الاجتماعية التربوية المستنبطة من سورة عبس؟
4) ما المضامين السلوكية الأخلاقية التي يمكن الاستفادة منها من سورة عبس؟
5) ما التطبيقات التربوية للمضامين المستنبطة من سورة عبس في المدرسة والأسرة؟

أهـداف الدراســة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

1 بيان المعاني الهامة التي جاءت بها سورة عبس من خلال ظروف نزولها والأثر الذي أحدثته.
2 التعرف على العظات والعبر المستنبطة من مضامين سورة عبس التربوية.
3 ربط هذه المضامين بواقع الحياة العصرية حتى يمكن تطبيق ها في التوجهات التربوية الراهنة.
4 كيفية التعامل مع ذوي الاحتياجات الخاصة من خلال المضامين التربوية المستنبطة من سورة عبس.

أهمية الدراسة:

يرى الباحث أن أهمية الدراسة تكمن في التعرف على المبادئ التربوية المستخلصة من سورة عبس والتي تتمثل في النقاط التالية:

1 تنبع أهمية هذه الدراسة من حيث إنها تتناول دراسة من الناحية التربوية لسورة من كتاب الله –عز وجل- .

2 كما تبرز أهمية هذه الدراسة من سورة عبس كونها اختصت بعناية الخالق – سبحانه- بنبينا وحبيبنا محمد بن عبد الله ﷺ - حيث يذكر أهل التفسير "أن الوحي أبطأ على رسول الله ﷺ أيامًا فشق ذلك عليه وقيل له : إن ربك قلاك، فأنزل الله تعالى هذه السورة ردًّا على المشركين وإكرامًا للرسول ﷺ "[1].

3 بيان الأهمية التربوية لسورة عبس في القرآن إذ تحتوي على تشريعات تربوية مفيدة للمسلم في حياته، وتوجيه سلوكه.

4 أهم التوجيهات والمضامين التربوية المستفادة من السورة ، والتي يمكن الاستفادة منها في تقديم بعض التوجيهات التربوية لمختلف المؤسسات التربوية؛ كالأسرة والمدرسة.

5 الوقوف على بعض جوانب الإعجاز البلاغية والأدبية الكامنة في السورة و تلمس الجوانب التربوية فيها.

6 الحاجة الماسة إلى توجيه فكرنا ومبادئنا الأخلاقية الوجهة التربوية التي تضمنها القرآن الكريم.

7 اقتفاء وتلمُّس آثار الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم- في وصفه للمضامين التربوية التي أوحى بها الله –تعالى- له ليعلمها لكافة البشر.

8 استكشاف مضامين أحد النماذج الفنية في طريق التربية الحَ قَّة والمثالية ال تي جاءت بها سورة عبس بالمدرسة من خلال تدريس المعلم وفهم الطلاب.

منهج الدراسة:

لقد اتبع الباحث في هذه الدراسة منهجين من مناهج البحث العلمي، حيث يرى أنهما الأنسب لهذه الدراسة، وهما:

([1]) جلال الدين السيوطي ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تحقيق عبد الله التركي ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية 1424هـ، ج15،ص480.

1- **المنهج الوصفي:**

استخدم الباحث المنهج الوصفي لتطبيق المضامين التربوية الوار دة في سورة عبس ، وترجع الاستفادة من هذا المنهج في الدراسة الحالية باستخدام هذا المنهج إلى تحليل المعاني الواردة في سورة عبس، والتي من شأنها الوصول إلى تفسير علمي يخدم أهداف الدراسة من خلال تحليل المضامين التربوية والعقائدية والأخلاقية والمهارية والسلوكية لسورة عبس.

2- **المنهج الاستنباطي:**

هو المنهج الذي يقوم على معرفة خصائص الدراسة والتعرف على الجوانب المتصلة بها بناءً على وصف محدد ودقيق لمحتوى النصوص التي تضمنتها آيات سورة عبس واستنباط المضامين التربوية الواردة فيها وتصنيفها حسب التقسيم السابق إلى عقائدية وأخلاقية ومهارية وسلوكية وتعليمية وتربوية.

وتستخدم الدراسة المنهج الاستنباطي ، ويمكن تعريف المنهج الاستنباطي التربوي بأنه : " الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة"(□).

ولعل هذ ا المنهج يكون أكثر اتساقًا في استنباط المضامين التربوية من سورة عبس، وتوضيح كيف تستفيد منها المدرسة والأسرة والمجتمع في التعامل اليومي.

وينفتح هذا المنهج على تفاسير القرآن الكريم القديمة والحديثة، واستنباط التوجيهات التربوية في ضوء حديث علماء السلف والخلف عن سورة عبس، وما الذي يمكن أن يفيده المنهج الاستنباطي في تطبيقه لهذه المضامين التربوية في سورة عبس بالنسبة للمدرسة – الأسرة؟

مصطلحات الدراسة:

1 المضامين **التربوية:** جاء في لسان العرب : المضامين لغة : "ما في بطون الحوامل من كل شيء كأنهن تضمَّنَّه، ومنه الحديث: أن النبي – صلى الله عليه وسلم- نهى عن بيع الملاقيح والمضامين (□). قال أبو عبيد : هي ما في أصلاب الفحول، وهي

(□)حلمي محمد فودة،وآخرون: المرشد في كتابة البحوث التربوية، جدة، مكتبة دار الشروق،ط6، 1412 هـ، ص42.

(□) علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،كتاب البيوع، باب الملاقيح والمضامين وحبل الحبلة ، دار الفكر ،بيروت، لبنان، 1414هـ ، ص188 ، رقم الحديث 6501. انظر :محمد ناصر الدين الألباني صحيح الجامع ،

جمع مضمون. ويقال: ضَمِنَ الشيء بمعنى تضمَّنه، ومنه قولهم : مضمون الكتاب كذا وكذا"[1].و"(ضمَّنْتُ) الشيء كذا جعلته محتويًا عليه (فتضمَّنَهُ) أي فاشتمل عليه واحتواه "[2]. والمضمون المحتوى ، ومنه مضمون الكتاب : ما في طيه، ومضمون الكلام: فحواه وما يفهم منه، والجمع مضامين [3].

والمراد بالمضامين التربوية في الدراسة : ما يمكن استنباطه من معانٍ وأنماط وأفكار وقيم وممارسات ومبادئ تربوية في الجوانب الإيمانية والتعبدية والأخلاقية والسلوكية التي اشتملت عليها واحتوتها آيات سورة عبس من منطوق الآيات أو مفهومها وأقوال المفسرين فيها أو السلف والخلف والتي يمكن تطبيقها وفق خطوات إجرائية .

ويمكنني التوصل إلى التعريف الإجرائي التالي : ما يمكن استنباطه من معان وأنماط وأفكار وقيم ومم ارسات ومبادئ تربوية في الجوانب الإيمانية والتعبدية والأخلاقية التي اشتملت عليها آيات سورة عبس.

2 عبس : أي قطّب وجهَه وغيَّر ملامحَه [4]، وقال الشوكاني : أي كلح بوجهه وأعرض ، وقرئ عبس بالتشديد (أن جاءه الأعمى) مفعول لأجله أي لأن جاءه الأعمى والعامل فيه إما عبس أو تولى على الاختلاف بين البصريين والكوفيين في التنازع هل المختار إعمال الأول أو الثاني[5].

3 التطبيقات : جمع ، مفردها " تطبيق" ، جاء في لسان العرب : أصل الطبق الشيء على مقدار الشيء مطابقًا له من جميع جوانبه كالغطاء له ، ومنه يقال : أطبقوا على الأمر إذا اجتمعوا عليه متوافقين غير متخالفين[6].

المكتب الإسلامي ،ط3، ج2، ص1166، رقم الحديث (6937) بلفظ:(نهي عن بيع المضامين والملاقح وحبل الحبلة)

.

([1]) أبو الفضل جم ال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر ،بيروت، لبنان ، 1414هـ، ، ج13، ص258. (مادة ض م ن) .

([2]) أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المصباح المنير، بيروت، المكتبة العصرية، 1417هـ، ج2، ص 497. (مادة ض م ن).

([3]) إبراهيم أنيس وآخ رون: المعجم الوسيط ، دار الفكر ،بيروت، لبنان ، ط2 ،1420هـ ، ص1092، باب الضاد ، مادة (ضمن) .

([4])إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، بيروت: دار الفكر، ص437.

([5])محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم ال تفسير، ج 5، د.ت، ص382.

([6])ابن منظور ، لسان العرب، ج14، ص562. (مادة ط ب ق) .

والتطبيق هو : " مستوى من المستويات المعرفية ، التي يستطيع المتعلم فيها أن يطبق ما سبق أن تعلمه في مواقف جديدة ، وتعتبر هذه العملية بما يسمى بانتقال أثر التعلم ، حيث إن ما يتعلمه في موقف ما تظل قيمته محدودة ، إلى أن تتاح الفرصة لتطبيقه في مجالات الحياة اليومية "[1].

([1])أحمد حسين اللقاني، وعلى أحمد الجمل، معجم المصطلحات التربوية والمعرفية، القاهرة، عالم الكتب، 1419هـ، ص81 .

الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على رسالة تتطرق إلى موضوع البحث وهو المضامين التربوية المستنبطة من سورة عبس ، ولكن هناك دراسات سابقة تفيد البحث الذي نحن بصدد دراسته، وهي الدراسات التي تناولت الجوانب التربوية من خلال بعض سور القرآن ، ويمكن للباحث الاستفادة منها من خلال المناهج المتبعة ، والدروس المستفادة ، والنتائج التي تم التوصل إليها.

وهذه سوف يستفيد منها الباحث في جانب أو آخر من جوانب دراسته وإن كانت الدراسة الحالية تختلف عنها باهتمامها بالجانب التربوي.

1) دراسة / محمد بن رزيق بن قبل الرحيلي (1421هـ) (□):

أهداف الدراسة : وقد هدفت هذه الدراسة إلى توضيح أهمية القصص القرآني في التربية، وتوضح مكانة قصة يوسف – عليه السلام – واستنباط بعض المبادئ التربوية من قصة يوسف وبيان مفهوم كل مبدأ من تلك المبادئ المستنبطة والتطب يقات التربوية من تلك المبادئ.

منهج الدراسة : استخدم الباحث في الدراسة المنهج الاستنباطي في استخراج المبادئ التربوية من القصة، **وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كان أبرزها:**

أ. عدم وجود كثير من الألفاظ التي تشبه القصة في اللغة العربية مثل: الحكاية، والرواية، والأسطورة، والملحمة، إلا أنه لا يجوز إطلاق مثل هذه التسميات على القصة القرآنية.

ب. مزجت قصة يوسف – عليه السلام – بين الواقعية والمثال برسمها صورة يوسف – عليه السلام – النبي والبشر في آن واحد.

ج. يعد يوسف – عليه السلام – قدوة للشباب الحائر في شهواته في هذا العصر.

د. أن للتمسك بالمبادئ الإسلامية ثمارًا عظيمة.

(□)محمد بن رزيق بن قبل الرحيلي، بعض المبادئ التربوية المستنبطة من قصة يو سف عليه الصلاة والسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة1420- 1421هـ.

2) دراسة / إيمان إبراهيم محمد العمريطي (1423هـ) (□):

أهداف الدراسة : هدفت هذه الدراسة لإيضاح مفهوم انشراح الصدر وأسبابه والعوامل المؤدية إلى ضيق الصدر وأثرهما معًا على السلوك اليومي للفرد مع معرفة المضامين التربوية المستفادة من سورة الشرح وكيفية الاستفادة منها.

منهج الدراسة : استخدمت الباحثة في الدراسة المنهج الاستنباطي .

وقد توصلت الباحثة إلى نتائج مهمة يمكن إجمالها في الآتي:

أ. الابتلاء طريق لإعداد الإنسان ويمكن أن يدرك سبيله حينما تحيط به المكروهات.

ب. اتباع الشيطان ناتج من إطلاق الإنسان العنان لهواه.

ج. المؤمن لا يبالي بما يصيبه من البلايا والمكروهات لأنها تكفير للذنوب.

3) دراسة / عبد الله بن مديس بن علي العُمري، (1425هـ) (□):

أهداف الدراسة : هدفت هذه الدراسة إلى التعرف عن كثب على مفهوم العلم، وأقسامه، وأهدافه، ومصادره، وموقف الإسلام منه، مع إبراز نظرة القرآن الكريم له، واستعراض المضامين التربوية المرتبطة بتبعات العلم المبثوثة في الآيات المتضمنة لفظة العلم، مع استخلاص المضامين التربوية المرتبطة بأخلاق أهل العلم وإظهارها من لفظ العلم.

منهج الدراسة :اعتمد الباحث في بحثه على المنه ج الاستنباطي متبعًا في ذلك القراءة المتمعنة للنص القرآني ، والرجوع إلى تفسير الآيات الكريمة والخروج من ذلك بما أمكن من الاستنباط للمضامين التربوية فيها .

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كان أبرزها:

أ. بث الوعي – عبر وسائل الإعلام المختلفة – بين أفراد المجتمع بأهمية العلم كوسيلة مهمة من وسائل تقدم المجتمعات في جميع المجالات.

ب. إعداد المناهج الكفيلة بتربية النشء على الاعتماد بكل ما أيده الدليل.

(□)إيمان إبراهيم محمد العمريطي، مضامين تربوية مستنبطة من سورة الشرح وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير غير م نشورة، مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1423هـ.

(□)عبد الله بن مديس بن علي العُمري، المضامين التربوية في آي لفظ العلم القرآنية، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة،1425هـ.

ج. إقامة المحاضرات التي من شأنها تبيان آداب طالب العلم التي جاء بها الإسلام في الكتاب والسنة مع تفعيل الجوانب النظرية في هذه الدراسة بدراسة ميدانية للنظر في تطبيق المجتمع لما حواه البحث.

4) دراسة / ضيف الله محمد مسفر الزهراني، (1427هـ) [□] :

أهداف الدراسة : هدفت هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف من أهمها : بيان مكانة سورة المعارج، وموضوعها، ومقاصدها في القرآن الكريم، والتعرف عل ى المضامين التربوية التي تضمنتها السورة، وبيان التطبيقات التربوية لتلك المضامين التي حوتها السورة في المدرسة، وأهمية المعلم تجاه تطبيق المضامين التربية التي حوتها السورة الكريمة.

منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهي الوصفي الاستنباطي.

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كان أبرزها:

أ. سورة المعارج لها أهمية تربوية عظيمة في كتاب الله - عز وجل- فهي تركز على تقرير حقيقة الآخرة وما فيها من جزاء وموازين هذا الجزاء.

ب. أهمية العلم بأسباب النزول عند الحديث عن آيات الله - عز وجل- وتعليمها للطلاب، لأن العلم بأسباب النزول يقوم م قام الوسيلة التعليمية التي تجذب انتباه التلاميذ للدرس.

5) دراسة / أحمد بن سلامة بن محمد العمراني، (1428هـ) [□]:

أهداف الدراسة: هدفت هذه الدراسة إلى العديد من المبادئ التربوية التي تميزت بتعددها وشمولها، واحتوت على المبادئ العقائدية والتعبدية والأخلاقية وعلى ب عض الأساليب التربوية. واهتمت بالتواصل المستمر بين الأسرة والمدرسة لمتابعة النمو العقائدي والتعبدي والأخلاقي والفكري للطالب، ووضع حل مناسب لمن حاد عن الطريق المستقيم.

منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهي الوصفي الاستنباطي.

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كان أبرزها:

([□])ضيف الله بن محمد بن مسفر الزهراني ، بعض المضامين التربوية في سورة المعارج وتطبيقاتها، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة،1427هـ.

([□])أحمد بن سلامة محمد العمراني ، المبادئ التربوية المستنبطة من سورة (ص) ، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة،1428هـ.

أ. المبادئ العقائدية تُفعَّل وتنمَّى من خلال التفاعل الحقيقي للعبادة القلبية والعملية.

ب. تربية الجيل على العقيدة السليمة الصافية والتركيز في ذلك على مبدأ توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، لأنه أساس كل عبادة، وسلوك، وتربية، وعلم، وأخلاق.

6) دراسة الطالب/ جابر مشبب سلمان القحطاني، (1429هـ) (□):

أهداف الدراسة : هدفت هذه الدراسة إلى استنباط بعض المضامين التربوية من سورة الماعون، واشتملت على عدد من الأمور التي نهى الإسلام عنها والتحذير من التحلي بها، كما أنها شملت على ترسيخ صور التكافل الاجتماعي بمعناه الواسع حتى يتخلص المجتمع المسلم من الحقد والكراهية، فتسود بينهم محبة الآخرين والإشفاق عليهم، ويبتعدون عن أسباب الفرقة والخلاف.

منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهي الوصفي الاستنباطي.

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كان أبرزها:

أ. إن التصديق بيوم الدين يجعل المسلم ح ريصًا على أداء الشعار التعبدية التي فرضها الله عليه مع التقرب إلى الله بالنوافل والأعمال الصالحة ؛ كالإحسان إلى اليتيم، والعطف عليه، والاهتمام بتربيته، وإطعام المساكين، والمحافظة على الصلوات بالخشوع.

ب. يتعلم المسلمون من آيات هذه السورة أن مرض القلب أخطر من م رض البدن، فهو علة ظاهرة لا صلة لها بالإيمان، ومرض القلب علة باطنة تنفي الإيمان نفيًا إذا كان المقصود بها النفاق.

(□)،جابر مشبب سلمان القحطاني ، المضامين التربوية المستنبطة من سورة الماعون وتطبيقاتها التربوية في الأسرة، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1429هـ.

7) دراسة / ناصر عبد الله حامد العامري، (1429هـ) (□):

أهداف الدراسة: هدفت هذه الدراسة بيان أهمية الوقت، واستثماره، ومدى العناية به، ومعالجة الإسلام للفراغ، وبيان وسائل استثماره، وإدراك القيمة التربوية لشغل أوقات الفراغ. ، وكذلك مبدأ اللين والرفق، وآثار كل منهما على الفرد والمجتمع، وبيان التطبيقات التربوية لذلك من خلال سيرة الرسول ﷺ ، وهو ما يتجلى في الرفق بالضعفاء (الفقراء والمساكين والأيتام) والرفق بالأطفال، والشباب، والأعراب، والمتعلمين. وأهمية رعاية الأيتام في التشريع الإسلامي، وآثاره ، وبيان حقوق اليتيم في التشريع الإسلامي، وأسس رعاية الأيتام في المملكة العربية السعودية كدرس عملي واقعي . ومشكلة الفقر،وبيان سبل علاجها في ضوء الإسلام،والآثار التر بوية لعلاج مشكلة الفقر . وشكر النعم وأنه من تربى عليها تربى على شكر الناس، وصلة الحديث بالنعم وبناء الشخصية الإيجابية.

منهج البحث: استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستنباطي .

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج كان أبرزها:

أ سورة الضحى، وإن جاءت تسلية وتسر ية عن النبي ﷺ، فهي كذلك- تسرية عن نفس كل مؤمن.

ب الوقت في الإسلام هو الحياة، والعمر أنفس من أن يضيع منه نفس، وإدراك قيمة الوقت له أهمية خاصة في تربية الناشئة بل وجميع أفراد المجتمع.

ج المسلم يجد في نفسه سعادة عظيمة عندما يوفي حقوق الله – عز وجل- وحقوق إخوانه المسلمين، وليس هناك سعادة أسمى من أن ترسم البسمة على وجه يتيم كفلته برعايتك، وفقير واسيته بعطائك، وسائل ساعدته بإحسانك.

د إن العطاء قيمة كبرى في الإسلام، ومنها إيتاء الزكاة والسخاء بالصدقات، ودفع هذا وذاك إلى مستحقيه يثمر مجتمعًا متكافلاً، كأنه أسرة واحدة، يفيض فيه القادر على العاجز، والغني على المعسر.

ه للتكافل آثار تربوية عظيمة ليس على الفرد فقط، بل يتعدى الفرد إلى المجتمع الذي يعيش فيه، وهذا الأمر يتحقق بداية بتربية الأفراد على قيمة التكافل

(□)ناصر عبد الله حامد العامري، المضامين التربوية المستنبطة من سورة الضحى وتطبيقاتها التربوية ، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، 1429هـ.

والتراحم، وتحقيق هذا المعنى على الفرد داخل مجتمعه الصغير، فإذا ما تحق ق التكافل بين الأسر انتشر في المحيط العام للمجتمع.

و الأيتام والفقراء والمحتاجون مسؤولية أفراد المجتمع، فإذا ما شاع الفقر وضاع الأيتام، فما ذلك إلا لتقاعس الأفراد عن القيام بواجباتهم، وسورة الضحى بمضامينها التربوية تدق ناقوس الخطر؛ ليقوم كل فرد بواجبه، لتسود الألفة والمحبة.

علاقة الدراسات السابقة بدراسة الباحث:

تلتقي هذه الدراسة بالدراسات السابقة في الآتي:

1) الاتجاه نحو آيات الله البينات لاستنباط المضامين التربوية والتعليمية.
2) تناول الجوانب التربوية وما تحتويه من مضامين باتجاه شرعي.
3) اتجهت الدراسات نحو تتبع طريقة آداب الحوار التي وردت في الآيات.

وتختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة بالآتي:

1 اتبعت الدراسة الحالية الأسلوب القصصي الذي جاء ملائمًا لسورة عبس من خلال ما حدث لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –مع عبد الله بن أم مكتوم – رضي الله عنه- واستيفاء القصة وما احتوت عليه من معان تربوية وأخلاقية سامية.

2 الاتجاه نحو ذوي الاحتياجات الخاصة والأخذ بيدهم والدعوة إلى دمجهم في المجتمع.

3 اختلاف الدراسة الحالية في عنوانها وأسئلتها وأهدافها التي تسعى لتحقيقها عن الدراسات السابقة.

الفصل الثاني

ملامح سورة عبس وتفسيرها

من خلال مبحثين:

- المبحث الأول: سبب نزول سورة عبس وتفسيرها.
- المبحث الثاني: التعريف بشخصية عبد الله بن أم مكتوم – رضي الله عنه – .

المبحث الأول : تفسير سورة عبس

تبدأ السورة بفعل ماضٍ " عبس " لم يذكر في السورة لفظ الجلالة ، ويدُورُ مِحْوَرُ السُّورَةِ حَوْلَ شؤُونٍ تَتَعَلَّقُ بالعَقِيدَةِ وَأَمْرِ الرّسالةِ، ك مَا أنَّهَا تَتَحَدَّثُ عَنْ دَلاَئِلِ القُدْرَةِ ، وَالوَحْدَانِيَّةِ في خَلْقِ الإِنْسَانِ ، وَالنَّبَاتِ، وَالطَّعَامِ وَفِيهَا الحَدِيثُ عَنِ القِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا ، وَشِدَّةِ ذَلِكَ اليَوْمِ العَصِيبِ.

وقد كان يقع في ذهن النبي - صلى الله عليه وسلم- كما يقع في ذهن كل أحد أن الله –تعالى- لو عطف قلوب بعض زعماء قريش فآمنت بالله ربًّ ا وبمحمد - صلى الله عليه وآله- نبيًّ ورسولاً لانفرط عقد المجتمع الجاهلي كما ينفرط النظام تتساقط حباته واحدة في أثر الأخرى . وذلك تصور لا غبار عليه ، وهو أمر طبيعي وإنساني للغاية.

فللإنسان المؤمن بحاجة إلى أن تجسد له الغاية وترسم أمام عينيه الأهداف لكي يمضي نحوها قدمً ا ، فكذلك هذا الإنسان المؤمن محتاج أشد الحاجة إلى أن يحسن اصطناع الأداة واختيار الوسيلة ، فإذا أخطأه ذلك فهو خليق بأن يتعثر ، وخليق بأن يسير ضمن حلقة مفرغة، وربما سجل في مسيرته تراجعات وانتكاسات .

وإن الناظر في ثنايا هذه السورة لن يعجب هذا اليوم حين يلاحظ أن الإسلام ينسل إلى النفوس هينًا لينًا طريًّ وإنه يحتل منها أعمق الأعما ق وأنه يقوده ا من أقوى المقادات؛ ذلك لأن هذا الإسلام بتعليماته وبتوجيهاته وبدروسه البليغة التي يقود بها الأمة ممثلة بشخص نبيها ، تتسق وتتجاوب مع أعمق أعماق الفطرة الإسلامية.

وقبل أن نسترسل مع هذه الخواطر المطلقة يحسن أن نقرأ السورة الكريمة وأن نتأملها أفضل تأمل . فالسورة وصف يحكي واقعة حصلت في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - وفي عهد مبكر جدًّاً من عهد الدعوة الإسلامية، أن السبب الذي من أجله أنزل الله ما أنزل من هذه السورة الكريمة أن النبي –صلى الله عليه وسلم- كان شديد الإشفاق على قومه ، عظيم المحبة لسعادتهم فهو من أجل ذل ك حريص على هدايتهم، وحريص على اغتنام الفرص من أجل هذه الهداية، وأنه عليه السلام كان لا يدع وسيلة يتوخى أن يكون منها خير لهؤلاء الناس إلا اغتنمها ولم يتركها تمر .

وسورة عَبَسَ من السور المكية، وهي تتناول مواضيع تتعلق بالعقيدة وأمر الرسالة، كما أنها تتحدث عن دلائل القدرة، والوحدانية في خلق الإنسان، والنبات، والطعام، وفيها الحديث عن القيامة وأهوالها، وشدة ذلك اليوم العصيب.

سبب النزول:

سبب نزول هذه السورة باتفاق المفسرين، أنه – صلى الله عليه وسلم كان مشغولاً بدعوة صناديد قريش، فأتاه عبد الله بن أم مكتوم – رضي الله عنه- ، وهو رجل أعمى وقال: " أقرئني يا رسول الله، وعلمني مما علمك الله" وكرر ذلك ، فلم يتفق ذلك وما هو مشتغل به – صلى الله عليه وسلم- وما يرجوه مما هو أعظم، فعبس وتولى عنه منصرفًا، لما هو مشتغل به.[1] فعن عائشة - رضي الله عنها- قالت: نزلت هذه الآيات في ابن أم مكتوم[2] قالت : " أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فجعل يقول : أرشدني. وعند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من عظماء المشركين، فجعل النبي يعرض عنه، ويقبل على الآخر، ويقول: أترى بما أقول بأسًا، فيقول : لا. ففي ذلك نزلت الآية".

وقال الحافظ أبو يعلى في م سنده : حدثنا محمد بن مهدي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس - رضي الله عنه- في قوله تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس:1]، أن ابن أم مكتوم جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يكلم أُمَيَّةَ بنَ خلفٍ فأعرض عنه، فأنزل الله - عز وجل- ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝﴾ [عبس: 1– 2]، فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه[3]، وقد اتفق جمهور المفسرين على أن هذه الآيات الكريمة نزلت في عبد الله بن أم مكتوم – رضي الله عنه[4].

([1]) محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج 9، بيروت، عالم الكتب، ص47.

([2]) أبو عبد الله مح مد الأنصاري، تفسير الإمام القرطبي، جامع الأحكام،ج4، بيروت: إحياء التراث العربي، 1422هـ ص209؛ والطبري، محمد بن جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج3، بيروت: عالم الكتب، 1405هـ، ص32؛ وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج4، ص470.

([3])أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، فتح الباري في مقاصد القرآن، ج 15، قطر: إدارة إحياء التراث الإسلامي، 1248هـ، ص73.

([4])محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير ، مرجع سابق، ج5 ، ص382.

تفسير السورة:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ
يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا
عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ
تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣
مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ
أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ
ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا
يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ
صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا
۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ
وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٢ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤
وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ
يُغْنِيهِ ۝٣٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَوُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ۝٤٢﴾

تسمى هذه السورة بسورة السَفَرة، وهي اثنتان وأربعون آية ، وهي مكية عند قول الجميع، فعن ابن عباس - رضي الله عنهما- أنها نزلت بمكة، وكذلك قال ابن الزبير - رضي الله عنه[1].

وقد تتبع الباحث آراء المفسرين حول هذه الآية الكريمة، والتي جاء تفسيرها على النحو التالي:

- **قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾ :**

هذا عتابٌ لطيف يعاتب به الله - سبحانه وتعالى- رسوله محمدًا - صلى الله عليه وسلم ، فللذي عبس بمعنى قطَّب وجه وأعرض هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم- والأعمى الذي لأجله عبس رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وأعرض عنه هو عبد الله بن أم مكتوم الأعمى أحد المهاجرين ابن خال خديجة بنت خويلد[2].

والذي يظهر- والله تعالى أعلم، أنه – صلى الله عليه وسلم- لم يتكلم بما يسيء إلى هذا الصحابي في نفسه بشيء يسمعه فيزعجه، كل ما كان منه – صلى الله عليه وسلم- إنما هو تقطيب الجبين، وهذه حركة مرئية لا مسموعة. والحال: أن هذا الأعمى لا يرى تلك الحركة، فكأنه لم يلق إساءة منه- صلى الله عليه وسلم- [3].

ثم إن تقطيب الجبين وانبساط أسارير الوجه لحزن أو فرح، يكاد يكون جبليًّا مما كان منه- صلى الله عليه وسلم- ، فهو من باب الجبلية تقريبًا، كأن المثير له غرض عام من خصوص الرسالة ومهمتها. ومع ذلك فقد جاء عنه – صلى الله عليه وسلم أنه كان بعد نزولها يقول له: " مرحبًا فيمن عاتبني فيه ربي"، ويكرمه[4].

وعلى هذا يكون المراد بهذا أمران : الأول: التسامي بأخلاقه – صلى الله عليه وسلم- إلى ما لا نهاية له، إلى حد اللحظ بالعين، والتقطيب بالجبين، ولو لمن لا يراه، والثاني: تأديب للأمة وللدعاة خاصة، في شخصية رسول الله – صلى الله عليه وسلم.

- **قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾ :**

([1])محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواي ة والدراية من علم التفسير ، مرجع سابق ص381.

([2])أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، وبهامشه "نهر الخير على أيسر التفاسير"، المجلد الخامس، 1412هـ، ص517.

([3]) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج9، مرجع سابق، ص49.

([4]) المرجع السابق، ص49.

لقد وجَّه الله –تعالى- نبيه بالعتاب بالمشافهة، وأدخل في النفوس للعتاب بمعنى : أي شيء يجعلك تدري بحال هذا الرجل حتى تعرض عنه، وجملة ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ أي: لعله يتطهر من ذنوبه بالعمل الصالح بسبب ما يتعلمه منه : فالضمير في لعله يرجع إلى ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وقيل هو راجع إلى الكافر[1].

يقول الطبري: أي ما يدريك يا محمد لعل هذا الأعمى يتطهر من ذنوبه!![2]

❖ **قوله تعالى: ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾:**

عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي : أي أو يتذكر فيتعظ بما تعلمه من المواعظ، ﴿ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴾ أي الموعظة [3]، وقال الطبري : أو يعتبر فينفعه الاتعاظ[4].

وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فإقبالك على من جاء بنفسه مفتقرًا لذلك منك، هو الأليق الواجب[5].

- **قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ ﴾ :**

أي: كان ذا ثروة وغنى، أو استغنى عن الإيمان وعما عندك من العلم ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ [عبس :6]، أي: تصغي لكلامه والتصدِّي للإصغاء [6]. وقوله تعالى : ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس:7]، أي: أي شيء عليك في أن لا يسلم ولا يهتدي، فإنه ليس عليك إلا البلاغ، فلا تهتم بأمر من كان هكذا من الكفار [7]، وهنا بيان لموقفه – صلى الله

([1])محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير ، ج5، مرجع سابق، ص382.

([2])محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، ود . صالح أحمد رضا، ط1، ج2، بيروت، عالم الكتب، 1405هـ/1985م، ص709.

([3])محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير ، ج5، مرجع سابق، ص382.

([4])محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ج2، ص709.

([5])عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1423هـ، ص911.

([6])محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير ، ج5، مرجع سابق، ص382.- 383.

([7])المرجع السابق، ص382.- 383.

الله عليه وسلم من جميع الأمة، وحرصه على إسلام الجميع حتى من أعرض واستغنى، شفقة بهم ورحمة(□).

وأما تصديك و تعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلو لم يَتَزَكَّ، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر، فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: " لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة "، وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره(□).

- **قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ :**

أي وصل إليك حال كونه مسرعًا في المجيء إليك طالبًا منك أن ترشده إلى الخير وتعظه بمواعظ الله(□)، وقيل: بمعنى جاءك مسرعًا يجري وراءك يناديك بأحب الأسماء الأسماء إليك يا رسول الله! والحال أنه يخشى الله –تعالى- ويخاف عقابه، لذلك فهو يطلب ما يزكّي به نفسه ليقيها العذاب والعقاب ﴿فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس :10]، أي تتشاغل بغيره(□).

- **قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١﴾ :**

أي: لا تفعل بعد هذا الواقع منك مثله من الإعراض عن الفقير، والتصدي للغني والتشاغل به، مع كونه ليس ممن يتزكى عن إرشاد من جاءك من أهل التزكي والقبول للموعظة، وهذا الواقع من النبي – صلى الله عليه وسلم- هو من باب ترك الأولى، فأرشده الله – سبحانه- إلى ما هو الأولى به ... وهذه الآيات أو السورة موعظة حقها أن تتعظ بها وتقبلها وتعمل بموجبها ويعمل بها كل أمتك(□).

وكلا: حرف يفيد الردع والزجر للمخاطب عن الشيء المعاتب عليه، أو عن معاودة مثله، فلا تفعل مثل ذلك الفعل مع ابن أم مكتوم، وذلك في الإعراض عن الفقير والتصدِّي للغني مع كونه ليس ممن يزّكّى، وفي هذه الآيات موعظة وعبرة، وجديرٌ بك

(□) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج9، مرجع سابق، ص52.

(□)عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص911.

(□)محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير ، ج5، مرجع سابق،ص383.

(□)أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، مرجع سابق، ص518.

(□)محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير ، ج5، مرجع سابق،ص383.

العمل بموجبها، وتتصف تلك التذكرة بأنها تذكرة بيِّنة ظاهرة، مقدور على فهمها، فمن رغب فيها اتَّعظ بها، وحفظها، وعمل بمقتضاها[1].

- **قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٣﴾﴾:**

أي: فمن رغب فيها اتعظ بها وحفظها وعمل بموج بها، ومن رغب عنها كما فعله من استغنى فلا حاجة إلى الاهتمام بأمره [2]، وقيل: وهذا للتهديد لا للتخيير بدليل ما بعده ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ [عبس:17]، قتل الإنسان، دعاء عليه، والإنسان: للجنس الكافر، وما أكفره: أي ما أشد كفره بها[3].

- **قوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾﴾:**

ثم أخبر الله سبحانه عن عظم هذه التذكرة وجلالتها، أي إنها تذكرة كائنة في صحف، والصحف جمع صحيفة، وهي مكرمة عند الله لما فيها من العلم والحكمة، أو أنها نازلة في اللوح المحفوظ.

وقيل: بالصحف وكتب الأنبياء كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى:18–19][4].

وقال المفسرون: مكرمة يعني اللوح المحفوظ[5].

- **قوله تعالى: ﴿مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴿١٦﴾﴾:**

﴿مَّرۡفُوعَةٖ﴾ يعني السماء السابعة. قال ابن جرير: مرفوعة القدر والذكر، وقيل مرفوعة عن الشبه والتناقض و ﴿مُّطَهَّرَةِۭ﴾: أي منزهة لا يمسها إلا المطهرون. قال الحسن: مطهرة من كل دنس، لها قدر ورتبة في الآفاق عن أن تنالها أيدي الشياطين[6]، الشياطين[7]، بل هي ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾ [عبس :15–16]، وهم الملائكة

([1])وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط، ج3، دمشق: دار الفكر المعاصر، 2000م،ص 2823.

([2])محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير، ج5، مرجع سابق،ص383.

([3]) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج9، مرجع سابق، ص53.

([4])أبو الطيب البخاري، فتح الباري في مقاصد القرآن، مرجع سابق، ص80.

([5])محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير، ج5، مرجع سابق،ص383.

([6])أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مرجع سابق، ج5، ص518.

الذين هم السفراء بين الله وبين عباده ﴿كِرَامٍ﴾ أي: كثيرو الخير والبركة، ﴿بَرَرَةٍ﴾ قلوبهم وأعمالهم، وذلك كله حفظ للقرآن من الله - سبحانه وتعالى- بأن جعل السفراء فيه إلى الرسل الملائكة الكرام الأقوياء الأتقياء، ولم يجعل للشياطين إلي ه سبيلاً[1].

- **قوله تعالى** : ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ :

أي لعن الإنسان الكافر ما أشد كفره، وقيل: عذب، ومعنى ما أكفره التعجب من إفراط كفره[2]، وما أشد معاندته للحق بعدما تبين له، وهو من أضعف الأشياء خلقه الله –تعالى- من ماء مهين، ثم قدَّر خلق ه، وسوَّاه بشرًا سويًّا، وأتقن قواه الظاهرة والباطنة[3].

وقيل: إن هذه الآية نزلت في عتبة بن أبي لهب، وذلك أنه غاضب أباه فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم- فاستصلحه أبوه وأعطاه مالاً، وجهزه إلى الشام، فبعث عتبة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال: "إني كافر بر ب النجم إذا هوى"، فدعا عليه النبي - صلى الله عليه وسلم- فأخذه أسدٌ بطريق الشام وأكله[4].

- **قوله تعالى:** ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ :

أي: من أي شيء خلقه ربه حتى يتكبر ويتعظّم عن طاعته والإقرار بتوحيده !؟[5].

[6]. أمَّ ن كان هذا حاله يليق به أن يكفر ويتكبر و يستغني عن الله ؟ ! فلينظر إلى مبدئه ومنتهاه، وما بينهما مبدأه نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة، فكيف يكفر ويتكبَّر [7]. والاستفهام للتقرير[8].

- **قوله تعالى:** ﴿مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ :

([1])محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ج2، ص710.

([2])محمد بن علي بن مح مد الشوكاني، فتح القدير ، ج5، مرجع سابق،ص383.

([3])عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص911.

([4])وهبة الزحيلي،التفسير الوسيط، مرجع سابق، ص2823.

([5])محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ج2، ص710.

([6])أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مرجع سابق، ص520.

([7])محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير ، ج5، مرجع سابق،ص384.

خلق الإنسان من نطفة، فقدره أحوالاً في بطن أمه [1]، أي من ماء مهين ، وهذا تحقير له . ومعنى ﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾ أي فسواه وهيأه لمصالح نفسه، وخلق له اليدين والرجلين والعينين وسائر الآلات والحواس، وقيل : قدره أطوارًا من حال إلى حال، نطفة ثم علقة إلى أن تم خلقه [2]، وقد يكون تيسير الولادة داخلاً تحت قوله : ﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾. أي قدر تخلقه وزمن وجوده وزمن خروجه، وتقديرات جسمه وقدر حياته، وقدر مماته[3].

- **قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾﴾ :**

قيل: السبيل إلى خروجه من بطن أمه، حيث أدار رأسه إلى جهة الخروج، بدلاً مما كان عليه إلى أعلى، وهذا من التيسير في سبيل خروجه، وهذا مروي عن ابن عباس وغيره، وهو اختيار ابن جرير. وقيل: السبيل: أي الدين في وضوحه، ويسر العمل به، فهو الخاص بالإنسان. وهو المطلوب التوجه إليه. فيسر له الدين في التكاليف، وقيل: يسَّر له طريق الخير والشر، يسَّره للخروج من بطن أمه[4].

- **قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾ :**

ثم قبض روحه فأماته، وصيره إلى القبر [5]، أي جعله بعد أن أماته ذا قبر يوارى فيه إكرامًا له، ولم يجعله مما يلقى على وجه الأرض تأكله السباع والطير[6].

- **قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ :**

أنشره أحياه بعد موته، وعلق - سبحانه وتعالى- الإنشار بالمشيئة للدلالة على أن وقته غير متعين، بل هو تابع للمشيئة، وأما سائر الأحوال المذكورة قبل ذلك فإنها تعلم أوقاتها من بعض الوجوه فلم تفوض إلى مشيئة الله تعالى[7].

- **قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾ :**

([1])محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ج2، ص710.

([2])محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير، ج5، مرجع سابق،ص384.

([3]) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج9، مرجع سابق، ص55.

([4])محمد علي الشوكاني، فتح القدير ،ج5، مرجع سابق، ص 384.

([5])محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ج2، ص710.

([6])محمد علي الشوكاني، فتح القدير ،ج5، مرجع سابق، ص 384.

([7])أبو الطيب البخاري، فتح الباري في مقاصد القرآن، مرجع سابق، ص83؛ ومحمد علي الشوكاني، فتح القدير ، ج5، مرجع سابق، ص 384.

كلا: ردع وزجر للإنسان الكافو: أي ليس الأمر كما يقول . ومعنى ﴿ لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴾، لم يقض ما أمره الله به من العمل بطاعته واجتناب معاصيه، وقيل : المراد الإنسان على العموم، وأنه لم يفعل ما أمره الله به مع طول المدة لأنه لا يخلو من تقصير، وقال ابن الأنباري: الوقف على كلا قبيح والوقف على ﴿أَمَرَهُۥ﴾ جيد . وكلا على هذا بمعنى حقًّا[1].

وبالتالي؛ أما يصحو هذا المغرور، أما يفيق هذا المخدوع، فما له لا يقضي ما أمره ربه من الإيمان به وطاعته؟[2].

- **قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ ﴾ :**

أي : ينظر كيف خلق الله طعامه الذي جعله سببًا لحياته؟ وكيف هيأ له أسباب المعاش يستعد بها للسعادة الأخروية ،[3] فلينظر هذا المنكر إلى طعامه، كيف دبَّره له ربه؟[4]

- **قوله تعالى: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾:**

ثم بيّن - سبحانه وتعالى- ذلك: فلينظر الإنسان إلى أنا صببنا الماء صبًّا ، وأراد بصب الماء المطر[5]، أي أنزلنا المطر على الأرض بكثرة[6].

- **قوله تعالى: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ ﴾ :**

أي شققناها بالنبات الخارج منها بسبب نزول المطر شقًّا بديعًا لائقًا بما يخرج منه في الصِّغَر، والكِبَر، والشكل، والهيئة[7].

وقد اتفقت الآيتان على خطوات ثلاث متطابقة فيها . فصب الماء من السماء إلى الأرض. يقابل دفق الماء في الرحم . وشق الأرض للنبات . يقابل خروجه إلى الدنيا . وإنبات أنواع النباتات، يقابل تقادير الخلق المختلفة[8].

([1])محمد علي الشوكاني، فتح القدير ،ج5، مرجع سابق، ص 384.

([2])أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مرجع سابق، ص520.

([3])محمد علي الشوكاني، فتح القدير ،ج5، مرجع سابق، ص 384.

([4])محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، ج2، ص710.

([5])محمد علي الشوكاني، فتح القدير ،ج5، مرجع سابق، ص 384.

([6])عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص911.

([7])محمد علي الشوكاني، فتح القدير ،ج5، مرجع سابق، ص 385.

قال البيضاوي: أسند الشق إلى نفسه -تعالى- إسناد الفعل إلى السبب وتبعه في ذلك الزمخشري، وقد رده بأنه -تعالى- موجد الأشياء، فالإسناد إليه -تعالى- حقيقة.

- **قوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ۝٢٧﴾:**

أي أصنافًا مصنفة من أنواع الأطعمة اللذيذة، والأقوات الشهية، وهذا شامل لسائر الحبوب على اختلاف أصنافها [1]، يعني الحبوب التي يتغذى بها، والمعنى أن النبات لا يزال ينمو ويتزايد إلى أن يصير حبًّا[2].

- **قوله تعالى: ﴿وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ۝٢٨﴾:**

وهو القت الرطب الذي يقضب أي يقطع مرة بعد أخرى وهو علف البهائم [3]، ولهذا سمي قضبًا على مصدر قضبه: أي قطعه، كأنه لتكرر قطعه نفس القطع، وأهل مكة يسمون العنب "القضب"[4].

- **قوله تعالى: ﴿وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ۝٢٩﴾:**

﴿وَزَيۡتُونٗاَ﴾ يأكله حبًّا ويدهن به زيتًا، و ﴿وَنَخۡلاً﴾ يأكله ثمرة بسرًا ورطبًا وتمرًا[5]، والزيتون: هو ما يعصر منه الزيت، وهو شجرة الزيتون المعروفة، والنخل هو جمع نخلة [6]، وخص هذه الأربعة ﴿وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ۝٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ۝٢٩﴾: لكثرة فوائدها ومنافعها[7].

- **قوله تعالى: ﴿وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ۝٣٠﴾:**

جمع حديقة وهي البستان، و الغلب العظام الغلاظ الرقاب . وقال مجاهد ومقاتل : الغلب الملتفة بعضه ا ببعض، يقال : رجل أغلب : إذا كان عظيم الرقبة، ويقال للأسد

---

(1) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج9، مرجع سابق، ص56.

(2) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرج ع سابق، ص911.

(3) محمد علي الشوكاني، فتح القدير ،ج5 ، مرجع سابق، ص385.

(4) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مرجع سابق، ص520.

(5) محمد علي الشوكاني، فتح القدير ،ج5 ، مرجع سابق، ص385.

(6) أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مرجع سابق، ص520.

(7) محمد علي الشوكاني، فتح القدير ،ج5 ، مرجع سابق، ص385.

(8) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص911.

أغلب لأنه مصمت العنق لا يلتفت إلا جميعًا . وجمع أغلب وغلباء كما جمع أحمر وحمراء على حمر . وقال قتادة وابن زيد : الغلب النخل الكرام ، وهي غلاظ الأوساط والجذوع[1]، ويقال: حديقة غلباء أي غليظة الشجر ملتفة وهو مجاز مرسل، وفيه تجوُّز في الإسناد –أيضًا- لأن الحدائق نفسها ليست غليظة وإنما أشجارها[2].

- **قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾:**

الفاكهة: ما يتفكه فيه الإنسان ، من تين وعنب وخوخ ورمان، وغير ذلك . والأب: ما تأكله البهائم والأنعام[3]، وقال الشوكاني: الأب كل شيء ينبت على وجه الأرض، الأرض، وقال ابن أبي طلح ة: هو الثمار الرطبة ، وروي عن الضحاك أنه قال : هو التين خاصة، والأول أولى[4].

- **قوله تعالى: ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾:**

أي التي خلقها الله وسخَّرها لكم ، فمن نظر في هذه النعم، أوجب له ذلك شُكرَ ربه، وبذلَ الجُهد في الإنابة إليه، والإقبال على طاعت ه، والتصديقِ بأخباره [5]، وهذه المذكورات بعضها متاعًا لكم أي منافع تتمتعون بها وبعضها لأنعامكم، فبأي وجه تكفر بربك يا أيها الإنسان الكافر؟[6]

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾:

ثم شرع الله - سبحانه وتعالى- بعد ذلك في بيان أحوال المعاد، و ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ يعني صيحة يوم القيامة، وسميت صاخَّة لشدة صوتها، لأنها تصخ الآذان: أي تصمها فلا تسمع، وقيل : سميت صاخَّة، لأنها تصيخ لها الأسماع، ومن قول ك أصاخ إلى كذا أي استمع إليه ، والأول أصح . وأصل الكلمة في اللغة مأخوذ من الصكّ الشديد، يقال : صَخَّه بالحجر: إذا صَكَّه بها[7].

([1])محمد علي الشوكاني، فتح القدير ،ج5 ، مرجع سابق، ص385.

([2])أبو الطيب البخاري، فتح الباري في مقاصد القرآن ، مرجع سابق، ص85.

([3])عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص911.

([4])محمد علي الشوكاني، فتح القدير ،ج5 ، مرجع سابق، ص385.

([5])عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص911.

([6])أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مرجع سابق، ص520.

([7])محمد علي الشوكاني، فتح القدير ،ج5 ، مرجع سابق، ص385.

- **قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ :**

يفر المرء من أعز الناس إليه وأشفقهم به ، وصاحبته المقصود بها زوجته[1]، في هذا اليوم يفر المرء فيه من أخيه، وأمه، وأبيه، وزوجته التي كانت في الدنيا، وعن أبنائه حذرًا من مطالبتهم إياه بالتبعات والمظالم [2]، أي لكل إنسان يوم القيامة شأن يشغله عن الأقرباء ويصرفه عنهم، وقيل : يفر عنهم لئلا يروا ما هو فيه من الشدة، وقيل: لعلمه أنهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيئًا[3].

- **قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ :**

أي مضيئة مشرقة، وهي وجوه المؤمنين والمؤمنات أهل التقوى وجوههم حسنة مشرقة بالأنوار مستبشرون بالقدوم على ربهم والنزول بجواره الكريم[4]، والإسفار : الإضاءة ، وهو تهلل الوجه بالسرور [5]، ووجوه مبتدأ وإن كان نكرة؛ لأنه في مقام التفضيل، وهو من مسوغات الابتداء بالنكرة، ويومئذ متعلق به، ومسفرة خبره، ومعنى مسفرة : مشرقة مضيئة، وهي وجوه المؤمنين لأنهم د علموا إذ ذاك ما لهم من النعيم والكرامة[6].

- **قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾ :**

ووجوه الكفار يومئذ يعلوها الغبار، يغشاها ويغطيها ظلمة وسواد[7]، لما تراه مما مما أعده الله لها من العذاب، والقتر في كلام العرب الغبار[8].

وهذه الوجوه قد أيست من ك ل خير وعرفت شقائها وهلاكها[9].

- **قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ :**

([1])عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص911.

([2])محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج2، مرجع سابق، ص711.

([3])محمد علي الشوكاني، فتح القدير ،ج5 ، مرجع سابق، ص385.

([4])أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مرجع سابق، ص520.

([5]) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج9، مرجع سابق، ص57.

([6])محمد علي الشوكاني، فتح القدير ،ج5 ، مرجع سابق، ص386.

([7])محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج2، مرجع سابق، ص711.

([8])محمد علي الشوكاني، فتح القدير ،ج5 ، مرجع سابق، ص386.

([9])عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مرجع سابق، ص911.

أي : هؤلاء هم الكفرة بالله في الدنيا ، الفجرة في دينهم، لا يبالون ما أتوا به من معاصي الله، وركبوا من محارمه، ولذلك جازاهم الله بسوء أعمالهم [1]، والفجور هو الخروج عن طاعة الله -تعالى- بترك الواجبات وغشيان المحرمات كالربا والزنا وسفك الدماء[2].

ونخلص من آراء المفسرين إلى نتيجة مؤداها أن النبي – صلى الله عليه وسلم- كان في تلك اللحظات يتعرض لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبي بن خلف وأبي جهل الحكم بن هشام، ولا شك أن هؤلاء سادة المجتمع المكي، كان منصرفً ا إليهم ، يترصد ويتحين الفرص لكي يحدثهم بهذا الإسلام . وحينما كان مستغرقً ا معهم في الحديث جاءه عبد الله بن أم مكتوم – رضي الله عنه- الرجل المسلم الأعمى الضرير ، الرجل دون شك لا يبصر ، أعمى ، فهو إذًا لا يعرف مع من يتحدث رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ، وبطبيعة الحال فهو محجوب عن رؤية هذه التعابير التي كانت ترتسم على قسيمات محمد - صلى الله عليه وسلم- وهو يجد نفسه بين جاذبين ، إنه يتحدث مع زعماء المجتمع المكي ومع ذلك فابن أم مكتوم – رضي الله عنه- الضرير يلحّ عليه إلحاحًا ، ومن لا يعلم ولا يدرك الموقف على حقيقته : يا رسول الله ! علمني مما علمك الله ، يسأله أن يقرئه شيئًا من القرآن وأن يعلمه بعضاً مما أنزل الله تبارك وتعالى عليه ، والنبي عليه الصلاة والسلام بشر كأنما تأذى بإلحاح عبد الله بن مكتوم - رضي الله عنه- ، لكن لم يقل شيئً ا. إلا أن تعبيرات وجهه الشريف - صلوات الله عليه- كانت تشعر بكراهته لهذا الإلحاح الذي يصدر من ابن مكتوم –رضي الله عنه، وقد كشفت الآية عن ذلك ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ ﴾ أي راغبًا بك من تلقاء نفسه دون أن تتعرض له ، وهو يخشى ربه ، ويطلب منك أن تعلمه ما يزيده قربًا من هذا الرب الكريم الرحيم فأنت عنه تلهى ، أي تتشاغل وتعرض عنه ، وقضى النبي - صلى الله عليه وسلم حديثه- مع الزعما ء المكيين وذهب ينصرف إلى بيته ، وجاءه الوحي بهذه الآيات قبل أن يستقر في بيته ، قبل أن يصل إلى بيته جاءه جبريل الأمين بالوحي يكشف له خطأ الأسلوب الذي رأى وتصوّر أنه يكون ذا نتيجة .

([1])محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج2، مرجع سابق، ص711.

([2])أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مرجع سابق، ص522.

فللنبي عليه الصلاة والسلام رجا شيئاً ، وجاءه العتاب في حينه ، يكشف له فشل هذا الشيء الذي رجاه ، فإذا تركنا السورة كلها جانباً ا لم نتعرض لها واكتفينا بإمساك الخ يط الواقع بالحادثة الملموسة فسوف نرى عجباً من أعاجيب الله - جل وعلا- وسرًّا من أسرار إعجاز هذا الكتاب الكريم .

فكأن الله تعالى يريد أن يقرّ في عقول المسلمين وفي أفئدتهم أن موضوع الدين كله برمته قائم على قطبين ، مركز يبث هذه الذكرى ولكن بثّ الذكرى ونشرها واحد من العملين الضروريين اللذين يجب أن يتعاونا على إحداث العمل المطلوب ، لكن بقي الشيء الثاني ، هؤلاء الناس الذين تخاطبهم وتكشف لهم عن كلمات الله – تعالى- لا بد لهم من أن يبذلوا من ذوات أنفسهم ، فقد عبّرت عنه الآية الكريمة بلفظ المشيئة الكاشفة عن الرغبة وعن الإرادة ، فالواقع نحن نلاحظ من سياق الحياة العملية أننا نمشي بساق واحدة .. برجل واحدة .. وهي أيضاً ـ للأسف ـ رجل عرجاء ولا يستقيم لنا سير ، لماذا ؟ إن الدعوة تذاع بين الناس ولكن الأمر المؤسف للغاية أن هؤلاء الناس لا يعينوننا على أنفسهم ، لا يبذلون من أجل ا لتفكير ومن أجل تبيّن وجوه المصلحة والصواب ما يكفي لتحريك العقل ، ما يكفي لإثارة العاطفة ، ما يكفي لوضع الإنسان على القاعدة الصحيحة .

وهكذا يتبين لنا أن هؤلاء سادة قريش دون نزاع، هم الرجال الذين يُشار إليهم بالبنان ويُنتهى إلى رأيهم وينزل الناس عند مشورتهم ، هذا واقع لا ريبة فيه ، وابن أم مكتوم – رضي الله عنه- رجل ضعيف العزوة وضرير وقليل الحيلة، فلننظر إلى النتائج ، أما الرجال الأربع من زعماء المكيين ، فبالرغم من حرص النبي - صلى الله عليه وسلم- على هدايتهم وبالرغم أنه ارتكب خطأً في حق مؤمن جاءه يسعى بدافع ذاتي ، بالرغم من ذلك فقد استمر هؤلاء الأربعة على كفرهم ، وماذا كانت نتائجهم ؟ طعناً بالرماح أو هدرً ا بالسيوف في بدر أو أُحد ، وانتهى أمرهم إلى أن يموتوا على الكفر والضلالة بالرغم من حرص النبي –صلى الله عليه وسلم- على هدايتهم ، وبالرغم من الآمال العراض التي كان يُعلقها عليهم الرسول - صلى الله عليه وسلم .

ولعل أشد ما يلاحظ في هذه السورة الكريمة هو ذلك الوصف المرعب ليوم القيامة الذي يستدعي التأمل والنظر، قبل التورط في هذه المآس ي التي لا علاج لها، . فالسبيل لتفادي هذه الأهوال هو الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله، ففي ذلك

منجاة من الله والفوز بالجنة، والعمل الصالح هو السبيل إلى ذلك وهو الذي يجد القبول عنده - سبحانه وتعالى.

ومن الجدير ذكره أن القرآن الكريم قد أتى بكلمة (الأعمى) التي قد يتأذى منها الناس، إلا أن القرآن أراد أن لا يذيعه، لأن الظروف كلها كانت مواتية، فكلمة أعمى مربوطة بيسعى، والسعي هو المشي بالتحسس، وفي ذلك خشوع ورغبة في أن يلتقي برسول الله - صلى الله عليه وسلم[1].

ونخلص من ذلك إلى أن سورة عبس تمتاز بوضوح هذا التكامل وضوحاً عجيباً مما يحمل على الترجيح بأن السورة بكل إشاراتها وبكل ما أثارته من أمور تهدف إلى تأكيد أن النبي - صلى الله عليه وسلم- كان يرجو ويطمع أن يسلم لله الزعماء المكيون وأن يفتح الله قلوبهم لنداء الله ، ويتبعوا هذا النبي عليه الصلاة والسلام ، وكان في تصور النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك سيقتصر الطريق على الدعوة وسيذلل عدداً كبيراً من العقبات القائمة في وجهها .

فمن أجل هذا كان مشغولاً ومعنياً بالحديث إلى هؤلاء الزعماء حين جاءه رجل من المسلمين ليست له ما لهؤلاء من مكانة ، ولا يملك ما يملك هؤلاء من ثراء وليس له الصوت والجاه الذي يتمتع به هؤلاء الزعماء ، فجاءه يستهديه ، فكأن النبي صلى الله عليه وسلم كره منه هذا الإلحاح وظهرت تعابير هذه الكراهية على وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى هذه السورة الكريمة تعاتب الرسول - صلى الله عليه وسلم- وتبيّن له الطريق الأمثل الذي ينبغي عليه اتباعه.

([1])محمد متولي الشعراوي، المختار من تفسير القرآن الكريم، ج1، القاهرة: دار الجيل، د.ت، ص96.

المبحث الثاني: التعريف بشخصية عبد الله بن أم مكتو م – رضي الله عنه – الذي نزلت فيه السورة:

هو عبد الله بن أم مكتوم – رضي الله عنه - ، وأمه عاتكة بنت عبد الله بن معيص وهو ابن خال خديجة بنت خويلد أخي أمها.

فَقَدَ بصره صغيرًا، وعرفته دروب مكة وأزقَّتها دؤوبًا في طلب الرزق ، متنقلاً يبحث عن المعرفة، لا يتعب، ففق د بصره حال بينه وبين معرفة الكثير من الأشياء، ولكنه يريد أن يعرف، ويعرف كل شيء، فاستعاض عن عينيه بأذنيه فاستعملهما في معرفة الأشياء، فكان يسمع ولا ينسى، وتوصف له الأشياء، فتبقى مجسمة في ذهنه متخيلة في وجدانه(□).

وسمع ذات يوم بتسلل العبيد والخدم والمستضعفين إلى دار ابن الأرقم يتسمَّعون إلى محمد الأمين - صلى الله عليه وسلم - الذي تكلّمه السماء . وأحسَّ أن في مكة حركةً غير عادية، فالأعصاب مشدودة من سادة قريش، حيث العبيد والخدم يسامون الخسف والضرب والتعذيب، كل ذلك بسبب الدعوة الجديدة لمحمد- صلى الله عليه وسلم- ومدرسة ابن الأرقم، فقرر الذهاب إليها ليسمع ما يسمعون، وليعرف الخبر اليقين فحمل عصاه وذهب إلى هناك(□).

ولأول مرة تطرق أذنيه كلمات، فتنزل إلى قلبه مباشرة، فتعطيه السكينة والأمان، وتهبه القوة لا تبالي بقوة الأرض كلها مجتمعة، إنها كلمات الوحي التي نزل بها جبريل - عليه السلام- على قلب محمد - صلى الله عليه وسلم- لتقرر وحدانية الخالق، وتساوي بين البشر جميعًا، وتحقق العدل بين الأقوياء والضعفاء، وتملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلمًا وجورًا(□).

ومد ابن أم مكتوم يده إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معلنًا إسلامه، ومقررًا انضمامه إلى كتيبة الإيمان، ومعاهدًا الله ورسوله على بذل روحه في سبيل الله تعالى، ومنذ ذلك اليوم حرص ابن أم مكتوم أن يتفقَّ ه في الدين وأن يعرف عنه كل شيء، وكانت وسيلته إلى ذلك أن يسأل بلسانه ويعي بأذنيه، وكان يسأل الرسول - صلى الله عليه وسلم - دائمًا، يسأله وحو له حلقة من الرجال يسمعون ويفهمون،

(□)محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، ج4، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1416هـ. ، ص206.

(□)محمد بن إسحاق بن هشام، السيرة النبوية، ج4، بيروت: دار المعرفة، 1427هـ، ص206.

(□)محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، ج4، مرجع سابق، ص207.

ويسأله وهو في طريقه إلى الكعبة، وهو يعترض طريق الرجال ليدعوهم إلى الإسلام، ولكن قريشًا تفقد صوابها، وتشتد في أذى المسلمين وتتكل بهم كل تنكيل . ويأذن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهؤلاء الرجال الصابرين بالهجرة، ففر ابن أم مكتوم بدينه مع المهاجرين.

وتقول إحدى الروايات إنه هاجر إلى المدينة قبل أن يقدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عليها بعد غزوة بدر، ونزل بدار القرَّاء[1].

وهاجر ابن أم مكتوم إلى المدينة ونزل في دار القرّاء، وأخذ يؤدي مهمته، التي أعدَّ نفسه لها بالأسئلة الكثيرة التي كان يوجهها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مهمته في تعليم الناس مهام الدين وتحفيظهم بعض آيات الذكر الحكيم، وتهيئة النفوس والقلوب في استقبال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ولم يلبث طويلاً حتى جاءته الأنباء بقرب وصول الرسول - صلى الله عليه وسلم- إلى المدينة المنورة.

وخرج ابن أم مكتوم مع جموع المستقبلين يتنسم أخبار حبيب الله - صلى الله عليه وسلم- ويتقرب لحظة وصوله حتى يشنف أذنيه بسماع حديثه واستيعاب هديه . وجاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - ونزل في دار بني النجار كما تقول كتب السيرة[2].

ثم أخذ الرسول - صلى الله عليه وسلم - في بناء مسجده؛ ليكون المدرسة الكبرى لأول جيل عرفته البشرية يحمل هدى الله وكتابه، واشترك ابن أم مكتوم في بناء المسجد، ولازم الرسول - صلى الله عليه وسلم- في أكثر أوقاته، لم يتخلف عن صلاة واحدة خلف الرسول الكريم - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- ولم يغب عن حلقة من حلقات التوجيه النبوي، ولم تفته أية واحدة من آيات الوحي كانت تنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن فكره وعقله، بل كان يشرب بأذنيه آخر الكلمات النبوية والتوجيهات السماوية التي يرسلها الله لعباده، وفي بعض الأحيان تطول جلساته مع الرسول - صلى الله عليه وسلم- ويحس بأن الوحي أتى الرسول - صلى

([1])محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، ج4، مرجع سابق، ص206.

([2])المرجع السابق، ص206.

الله عليه وسلم- ويكاد يرى ببصيرته جبريل الأمين وهو يلقن الرسول الكريم - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم[1].

فعن أنس - رضي الله عنه- : "أن جبريل –عليه السلام – أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعنده ابن أم مكتوم . فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : «متى ذهب بصرك؟» قال: وأنا غلام. فقال : «قال الله - تبارك وتعالى- «إذا ما أخذت كريمة عبدي لم أجد له بها جزاءً إلا الجنة»[2].

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يأمره بالأذان للصلاة إذا غاب بلال، وكان صوته العذب يدوِّي بكلمة الله أكبر خمس مرات في اليوم[3]، فإذا حضر بلال وأذَّن للصلاة كان على ابن أم مكتوم أن يقيمها خلف الرسول - صلى الله عليه وسلم- وكان بلال يؤذن في رمضان فلا يمتنع الناس عن الطعام والشراب ؛ لأن أذانه فقط لإيقاظ النائم وتنبيه الغافل، فإذا أذَّ ن ابن أم مكتوم، ك ان هذا إيذانًا بالامتناع عن الطعام والشراب وإمساك الصائمين[4].

وعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنه ما- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال : «إن بلالاً ينادي بليل، فكُ لوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم » قال : وكان ابن أم مكتوم رجلاً أعمى لا ينادي إلا إذا قيل له "أصبحت، أصبحت"[5].

وكان ابن أم مكتوم من أولئك الرجال الذين أُشربت قلوبهم حب النبي - صلى الله عليه وسلم- فهو عنده أحب إليه من الأهل والولد والعشيرة والزوجة، بل أحب إليه من نفسه التي بين جنبيه، وكل واحد من هؤلاء الرجال – وابن أم مكتوم – منهم قد يحتمل الإساءة لأهله وذويه ونفسه، ويكظم غيظه، ويعفو ويصفح، ولكنه لا يقبل بأي حال من الأحوال أن يمس شخص الرسول - صلى الله عليه وسلم- بأذى.

وقد ذكر بعضهم أن ابن أم مكتوم نزل على امرأة يهودية بالمدينة، وهي عمة رجل من الأنصار، وكانت هذه المرأة ترفق به وتحسن إليه وتساعده في طعامه وشرابه،

([1])أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، جا مع الأحكام،مرجع سابق، ج 4، ص210؛ ومحمد بن جعفر الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج3، ص33.

([2])محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، ج4، مرجع سابق، ص206.

([3])محمد بن إسماعيل البخاري، ، صحيح البخ اري، ج1، الرياض: دار الأفكار العلمية للنشر والتوزيع، 1419هـ، رقم الحديث(617)،ص135.

([4])المرجع السابق، ج1، برقم (618)، ص135.

([5])المرجع السابق، ج1، برقم (621)، ص135.

ولكنها أخذت تؤذيه في أحب الناس إلى قلبه، أخذت تسمعه ما يكره في الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم، فلم يطق صبرًا على ذلك، وحاول أن ير دعها فلم ترتدع، فتناولها فضربها فقتلها، ورفع أمره إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فلما مثل بين يديه قال له الرسول - صلى الله عليه وسلم - : «ما حملك على ما فعلت؟ » فقال: "أما والله يا رسول الله كانت لترفقني[1]، ولكنها آذتني في الله ورسوله فضربتها لأحول بينها وبين ما تقول فكان أجلها، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «أبعدها الله - تعالى- فقد أبطلت دمها»[2].

وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يستخلفه على المدينة عند خروجه إلى غزواته. فاستخلفه حينما خرج إلى غزوة قرقرة الكدر إلى بني سليم غطفان، وكان يجمع المسلمين ويخطب إلى جنب المنبر، و يجعل المنبر عن يساره، كما استخلفه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حينما خرج إلى غزوة أحد، وحين خرج إلى حمراء الأسد، وإلى بني النضير، وإلى غزوة الخندق، وإلى غزوة بني قريظة، وإلى غزوة بني لحيان، وإلى غزوة الغابة، وإلى غزوة ذي قرد، وفي عمرة الحديبية[3].

ويروى عن الشعبي قوله: "غزا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثلاث عشرة غزوة ما منها غزوة إلا يست خلف ابن أم مكتوم على المدينة، وكان يصلي بهم وهو أعمى"[4].

وقد شارك في حياة المسلمين الاجتماعية والسياسية، وكان يتابع أخبار الوفود التي ترد إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم- [5].

وكان صوَّامًا قوَّامًا، لم يره أحد إلا في عبادة، أو متجهًا لأداء عبادة، أو مشاركًا للمسلمين في أمر يهمهم . غير أن هناك مغنمًا آخر يتمثل في قوله تعالى : ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ﴾ [النساء:95].

([1])ترفقه: تخدمه برفق وهو لين الجانب.

([2]) سنن أبي داود، بيروت: دار ابن حزم، 1418هـ، رقم الحديث (4562)، وابن سعد، الطبقات الكبرى ج 4، مرجع سابق، ص205.

([3])ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج4، مرجع سابق، ص205.

([4])المرجع السابق، ص210.

([5])المرجع السابق، ص210.

إذًا هناك من يتفوق عليه في الأجر، وفي التقرب إلى الله- تعالى- ومن هو أحظى منه في العبادة، ويتجه إلى ربه، بقلب خالص ونظرة صافية فيقول: يا رب ابتليتني فكيف أصنع؟ يا رب رحمتك التي وسعت كل شيء . فنزل قوله تعالى : ﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:95].

وأخرج البخاري وغيره عن زيد بن ثابت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أملى عليه ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فجاء ابن أم مكتوم وهو يمليها عليّ فقال : يا رسول الله ! لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى ، فأنزل الله على رسوله - صلى الله عليه وسلم- وفخذه على فخذي ﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[1].

وهكذا أخذ ابن أم مكتوم الرخصة من ربه من هذا الذكر الحكيم. فهل ينتفع بهذه الرخصة؟ لقد سمع قول الرسول الكريم: «إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه»[2] ، فقرر أن يكون له أجر المجاهد، وطلب من إخوانه أن يشركوه معهم في حروبهم فاستجابوا له، ورافق الجيش المتجه إلى القادسية، وعندما وصلوا إلى ميدان المعركة، قال: "يا أحباب الله ! يا أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - يا أبطال المعارك ! ادفعوا إليَّ اللواء، فإني رجل أعمى لا أستطيع أن أفر، وأقيموني بين الصفين"[3].

ويروي قتادة عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أن عبد الله بن أم مكتوم يوم القادسية كانت معه راية سوداء وعليها درع، ثم عاد إلى الم دينة فمات بها، رضي الله عنه[4].

وهكذا يتبين لنا من سيرة هذا الصحابي الجليل ما مآل ابن أم مكتوم ؟ هذا الرجل الأعمى القليل الحول والحيلة ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- حينما نزلت عليه هؤلاء الآيات خرج يلتمس ابن أم مكتوم ، فلما لقيه قال له كالمعتذر إليه :

([1])رواه البخاري، ج1، برقم (4594)؛ ومحمد علي الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ص503.

([2])رواه أحمد، مسند الإمام أحمد، ج6، مرجع سابق، ص108.

([3])ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج4، مرجع سابق، ص210.

([4])المرجع السابق، ص211.

هل لك من حاجة ؟ هل من شيء أستطيع أن أقضيه لك ؟ قال : لا يا رسول اللّه ! . وما زال النبي - صلى اللّه عليه وسلم- إلى آخر حياته يدنيه إليه ويقرّبه ، إذا دخل المجلس يتوكّأ على عصاه ويقوده قائده يستقبله النبي - صلى اللّه عليه وسلم- بالبسمة اللطيفة وبالبشر والإيناس قائلاً : أهلاً بمن عاتبني فيه ربي .

وذهب عتبة وربيعة وأبو جهل في معركة بدر قتلى غير مأسوف عليهم، جُروا من أرجلهم كما تُجر الكلاب ، وأُلقوا في قليب بدر .

فابن أم مكتوم مات شهيداً ا بين الصفين يحمل لواء الإيمان للمسلمين ، أين عواقب الناس ؟ كيف تختلف العواقب ؟ كيف تتفرّق بهم ا لسبل ؟ وهم يخضعون لتجارب واحدة .

الفصل الثـالــث

المضامين العقدية المستنبطة من سورة عبس

- المبحــث الأول: الآثار الإيمانية للبعث والنشور
- المبحث الثاني: الآثار الإيمانية المترتبة على الإيمان بالقرآن والملائكة.

تمهيد:

لقد جاءت هذه القصة لتقرر لنا بواقعية أن كل الذين عرض لهم الرسول - صلى الله عليه وسلم- ورجا منهم الإسلام ورجا منهم إسلام آخرين قد ماتوا على الكفر، وجُرّوا جرّ الكلاب بأيدي المسلمين، ولم ينفعهم شيئً ا هذا الحرص الموجود في نفس محمد - صلى الله عليه وسلم- على هدايتهم ، وأن هذا الأعمى الضعيف الذي كره رسول الله - صلى الله عليه وسلم- مقالته وإلحاحه كان واحدً ا من عظماء المسلمين يتمتع بسوية عالية جدًّا في الفضائل النفسية التي تُقدّر على أساسها قيم الرجال.

هذه هي السورة الظاهرة وهي كما ترون حادثة نموذجية . ظاهرها هي قصة رسول الله – صلى الله عليه وس لم- مع عبد الله ابن أم مكتوم – رضي الله عنه ، ولكن لا بد لنا من أن نعرف لماذا أنزل الله - جل وعلا- هذه السورة بهذه الصيغة من العتاب للنبي - صلى الله عليه وسلم- ، وهو عتاب شديد وقاسٍ.

من أجل هذا أخذ الإسلام في جملة ما أخذ موضوع سبل الدعوة وطرائق الدعوة في الحسبان كي تكون خطاها موزونة ومتناسقة ومؤسسة على هذا الذي سنقول، أي على قواعد الإيمان وقواعد العقيدة التي تلقنها المسلمون . ومن الخطأ الكبير أن نتصور أن موضوع العقيدة شيء يسكن القلب أو يسكن الرأس قناعة وتطورً ا دون أن يكون له مردود ودون أن يكون له أثر في السلوك.

فمن أجل ذلك قال الله تعالى هنا في هذه السورة ﴿كَلَّآ﴾ أي:إن الطريق والتصوّر الذي سرتَ فيه يا محم ـد خطأ ، وليس الأمر كم ـا تتصوّر، ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١﴾ مجرد تذكير ، وقلوب الناس بين يدي الله ، فليس لك أن تلحّ هذا الإلحاح وأن تُعرض في ذات الوقت عن هؤلاء الذين يتكففون من حولك ويأتونك دون أن تسعى إليهم ودون أن تنفق معهم هذه الجهود .

وسوف أتناول في هذا المبحث المضامين الإيمانية لسورة عبس من حيث الآثار الإيمانية للبعث والنشور واليوم الآخر، وكذلك الآثار الإيمانية المترتبة على الإيمان بالقرآن الكريم والملائكة.

المبحث الأول : الآثار الإيمانية للبعث والنشور:

أولاً – الآثار : جمع أثر، والأثر جاء عنه في كتب أهل اللغة : أثر الشيء : بقيته، والجمع آثار وأثور، وتأثرته : تتبعت أثره، والأثَر بالتحريك : ما بقي من رسم الشيء، والتأثير: إبقاء الأثر في الشيء، وأثَّ في الشيء: ترك فيه أثرًا..

والأثر: الخبر، والجمع آثار، وقوله - عز وجل - : {وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ } [يس: 12]؛ أي: نكتب ما أسلفوا من أعمالهم، ونكتب آثارهم؛ أي: مَن سنَّ سنة حسنة، كتب له ثوابها، ومن سن سنة سيئة، كتب عليه عقابها، وسنن النبي: آثاره.

وأُثْر الجرح : أثَرُه يبقى بعدما يبرأ، والإِثْر : خلاصة السمن إذا سُلِئَ، وهو الخِلاص(□).

وأثر الحديث: ذكره عن غيره، والأثر (بفتحتين): ما بقي من رسم الشيء(□).

الأثر: حصول ما يدل على وجود الشيء والنتيجة(□).

والأثر له ثلاثة معانٍ : الأول: بمعنى النتيجة، وه و الحاصل من شيء، والثاني : بمعنى العلامة، والثالث: بمعنى الجزء(□).

إذًا؛ فالأثر المقصود هنا هو: الخبر والنتيجة الحاصلة للبعث والنشور..

والآثار بمعنى: العلامة، وتطلق –أيضًا- على النتيجة المترتبة على التعرف، ويطلق عليها بعض الفقهاء : الأحكام، فيقولون : أحكام النكاح أي آثاره . ومن معانيه : الأثر الرجعي أي: رجوع الأثر المترتب على تحقيق الشرط إلى الماضي(□).

ثانيًا – الإيمان لغة: ورد في لسان العرب مادة "آمن" الإيمان ضد الكفر، والإيمان بمعنى التصديق، ضده التكذيب، يقال : آمن به قوم وكذب به قوم . وقال اللحياني : يقال: ما آمنت أن أجد أحد أصحابي إيمانًا أي: ما وثقت، والإيمان –عنده- الثقة . وحد

(□)محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب" ج4، ص5، 6، 9، مادة (أثر).

(□)محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، في : "مختار الصحاح ، تحقيق : محمود خاطر، مكتبة لبنان، بيروت، 1415هـ / 1995م. ج1، ص2 مادة (أثر)،

(□)محمد عبد الرؤوف المناوي، "التوقيف على مهمات التعاريف" تحقيق: د. محمد رضوان الداية ، باب الهمزة فصل الثاء، ،دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1410هـ، ج1، ص33.

(□)علي بن محمد بن علي الجرجاني 740 - 816هـ: "التعريفات" تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1 ، 1405هـ.، ج1، ص23.

(□)معجم لغة الفقهاء، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1422هـ، ج1، ص42.

الزجاج الإيمان فقال : الإيمان إظهار الخضوع والقبول للشيء المؤمَن به واعتقاده وتصديقه بالقلب[1].

وفي المعجم الوسيط: آمن إيمانًا ، صار ذا أمن، وبه وثق وصدقه[2].

الإيمان اصطلاحًا : هو التصديق بالقلب و الإقرار باللسان ، والعمل الجوارح بالأركان[3].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " اعلم أن "الإيمان" و"الإسلام" يجتمع فيهما الدين كله، وقد فرق النبي – صلى الله عليه وسلم- في حديث جبريل –عليه السلام- بين مسمى الإسلام، ومسمى الإيمان، فقال: " الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[4].

ثالثًا – البعث لغة: الإثارة والتحريك.

البعث اصطلاحًا : إحياء الموتى حين يُنفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس حفاة عراة غُرْلا.

رابعًا– النشور أي: الإخراج من القبور، ويراد به أيضًا : الإحياء الثاني، ويراد به : المصير إلى الجزاء[5]، ويراد به: الإحياء في القبر[6].

فالنتيجة الطبيعية لنظرة الإسلام إلى الكون والحياة، هي الإيمان بالحياة الآخرة . فالدنيا مرحلة مؤقتة ،والكون كله ما خلقه الله –تعالى- عبثًا ، بل خلقه إلى أجل مكتوب عنده، فإذا انتهى أجل الكون والإنسان والحياة البشرية كلها ، أفنى الله هذا الكون وأنهى الحياة القائمة عليها ، وأهلك كل شيء فيه، ثم يخلق عالمًا آخر غير هذا العالم، له نظام ومقومات تختلف عن نظام هذا الكون، وحياة أبدية لا موت بعدها؛ ليقدر الله أعمال العباد ، ويزنها بالقسطاس ا لمستقيم، قال تعالى : ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 8 –9].

([1])ابن منظور، لسان العرب، مادة (آمن).

([2])إبراهيم أنيس وآخرون : المعجم الوسيط ، مرجع سابق، ص27، مادة (آمن) .

([3])مجد مكي، البيان في أركان الإيمان ، قدم له د. يوسف القرضاوي، ط1، دار نور المكتبات، جدة، 1419هـ/1999م، ص22 .

([4])أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ،الإيمان، ط3 ، المكتب الإسلامي، دمشق، 1399هـ، ص1- 2.

([5])، أبو محمد عبد الحق المحاربي ابن عطية ، المحرر الوجيز، ج5، بيروت: دار ابن حزم، (د.ت)،ص24.

([6])، محمد بن يوسف بن علي ابن حيان ، البحر المحيط، ج1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1428هـ، ص160.

وفي ذلك اليوم لا يخفى شيء من نوايا البشر وأعمالهم، حيث تشهد عليهم أيديهم وأرجلهم، وينشغل كل امرئ بنفسه ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس :24–27]. فيومئذ لا تنفع الشفاعة، ولا يُقبل من أحد عمل، ولا ينفع مالُ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم خالص من شوائب الشرك.

ويومئذ يتجلى العدل الإلهي حتى يضع الله –تعالى- الموازين القسط، فإذا انقضى الحساب تجلت رحمة الله –تعالى- على عباده المؤمنين، فيدخلهم الجنة خالدين فيها، ويتج لى غضبه على الكفار الجاحدين الذين يُدعّون إلى جهنم دعًا خالدين فيها أبدًا[□].

وإذا ما أردنا تتبع التربية الإيمانية المستنبطة من هذه السورة نجد أن الله – تعالى- قد فَصّل هذه الأمور، من ذلك قوله تعالى : ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ ﴾ ، وهذا لفت نظر قوي، إلى أصل الإنسان الذي يدركه بصراحة ووضوح ﴿مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ﴾ من ماء مهين ، كما وصفه الله –تعالى- في غير موضع من القرآن : ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ﴾ فنلاحظ هنا أدب القرآن في التعبير ، فمعنى السبيل : ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣ ﴾ فالله تعالى يعرض قضية الخلق بدءًا من النطفة وانتهاءً بيوم النشور ، أي سبيل هذا الذي يشير إليه الله ؟ استقرت النطفة في الرحم ، وتكوّن الجنين ، وجاء المخاض، وآن لهذا الجنين أن يخرج إلى الدنيا ، من أي سبيل خرجتَ أيها الإنسان ؟ أنت من فرج أمك نزلت، من أق ذر مكان في الإنسان نزلت، فلهذا جاء أدب القرآن بهذا التعبير اللطيف ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ﴾ يسّر خروجه من ظلمة الرحم، ليخرج إلى فضاء الدنيا ونور الدنيا وهواء الدنيا لتتقلّب به الأدوار ، ثم يقبضه الله تعالى ، ثم ينشره ليوم

(□)عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دمشق : دار الفكر، 2005م، ص97–98.

النشور . أنت أيها الإنسان هكذا ، فلماذا تستكبر على الله تعالى ؟ أهي تجربة بعيدة عنك ؟ أنت تعيشها بدقائقها وبتفاصيلها.

الآثار التربوية للإيمان باليوم الآخر:

1ـ من خلال العقيدة :

"إن الإيمان باليوم الآخر يقع في عقيدة التوحيد التي تمثل حياة المسلم النفسية، ونوازعه، وتفكيره، وأهدافه، وسلوكه، وعاداته، فهي قوى متضافرة ومتعاونة ترمي إلى تحقيق هدف واحد هو الخضوع لله وحده والشعور بألوهيته وحاكميته ورحمته وعلمه لما في النفوس وقدرته وسائر صفاته.

فالإنسان –مثلاً- لديه ميل فطري لحب الحياة والبقاء فيها والعمل لها، ويقابله في ذلك الترغيب، وأما الأمل في رحمة الله وجنته فيقابلها الشعور بأن الله –تعالى- متفرد بالبقاء، وأن الحياة الدنيا دار فناء وزوال.

من هنا نستطيع إن ندرك ماذا يريد الله تعالى في قوله : ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾ هؤلاء الناس لا يشعرون بهذا الشعور اللازم، الإنسان الذي يدرك أنه بانتمائه إلى الإسلام يحقق ذاته ويحقق شخصيته ويرتفع فوق مستوى الطين والتراب ليكون إنساناً أعلى وأسمى، هؤلاء الناس الذين كان يتحدّث معهم وصفهم الأساسي أنهم مستغنون ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾ فالإنسان يشعر أنه بغير حاجة إلى إله، مستغني عن ذلك، المال بين يديه كثير، والجاه متوفر ، والمكانة محفوظة، وكل شيء يريده يراه بين يديه، كل ما يأمر به يُنفّذ ، لكن الله –تعالى- أقام من حوادث الزمان وعبر الدهر وتصاريفه ما يلفت نظر هذا الإنسان إلى هذا التغيّر .

ففي كل يوم نرى غنيًّا قد افتقر، وفقيرًا اغتنى، ويرى حيًّا يموت، ومولودً ا يولد ، وينظر في الآفاق فيرى تعاقب الليل والنهار ، ومرّ الأيام والليالي والشهور والسنين ، هذه الأحوال المتغيّرة أقامها الله –تعالى- شواهد ناطقة لكي تكفف من حدة هذا الاستغناء، لكي تُشعر الغني المنغمس إلى ما فوق أذنيه بالغنى أن الغنى عرَضي زائل

وظلّ حائل وأمل باطل ، وأن المناصب والجاه شيء يزول وأنها لو دامت لغيرك ما وصلت إليك . إن الله تعالى أقام ذلك كله شواهد على هذه القضية .

فذكر الموت والحياة والحساب والبعث لا يغيب عن ذهن المؤمن لأن عقيدة التوحيد تدعوه إلى ذلك، وعقيدة التوحيد لها الفضل في تحقيق وحدة النفس الإنسانية [1]، ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ ﴾.

وترد الآيات على هذا الجحو د الإنساني باستعراض عدد من دلائل القدرة الإلهية المبدعة في خلق الإنسان ، وإعداد طعامه وطعام أنعامه ، وتذكره بالآخرة وأهوالها وشدائدها باستعراض عدد من مشاهدها ، وتصوير انعكاس ذلك عل ى الخلائق فيها الذين سوف يتمايزون إلى مؤمن مستبشر سعيد ، وكافر شقي تعيس..

ولتحقيق هذه الآثار التربوية العظيمة يجب الربط بين كل جوانب التربية ،لذلك لابد للمربي أن يربط كل جوانب التربية بتوحيد الله–تعالى- وبصفات قدرته الألوهية.

فللسورة جاءت لتصحح مسار النبي - صلى الله عليه وسلم- في طريقه إلى دعوة الله تعالى كي لا يكون متأثرً ا بالإضاعات الموجودة في المجتمع، ولك ي يخاطب الإنسان من حيث هو إنسان ، لكي يضع يده على الجوهر الإنساني في الإنسان بقطع النظر عن المركز أو الثراء ،ثم ﴿ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ [سورة الكهف : الآية 29] ونحن لسنا أوصياء على الناس، ﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ٧﴾.

فهب– يا محمد- أن هؤلاء الزعماء لن يسلموا ، هب أنهم استمروا على العداء للإسلام ماذا يكون ؟ هل عليك من حسابهم من شيء ؟ لا ، لأن كل إنسان يجزى بعمله ، ولأن كل إنسان يأتي يجادل عن نفسه . فربما أن يكون هناك طفلاً صغيراً لا تتعلّق به الآمال يكون مفتاح خير في المستقبل ؟ وأن إنساناً قد يكون عديم الحول والطول، قد يكون بلا منصب، قد يكون لا يملك في جيبه قرشاً يأتي الزمان الذي تشحنه هذه الدعوة بكل مقومات الإنسانية السليمة لتجعل منه قائداً عظيماً أو زعيماً قوياً أو ثرياً جواداً سمحاً كريماً أو عالماً مفلقاً ؟

وهكذا يتبين لنا من هذه السورة أن المعول فيه في الإسلام هو هذا القلب، هو هذا التوجه الصادق إلى الله تعالى ، فلا يجوز في طريق الدعوة أن تختلط النظرات إلى الأمور

([1])عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمج تمع، مرجع سابق، ص99.

، ولا يجوز في طريق الله أن ننخدع ببريق الألفاظ والألقاب والمكانة ، إن دعوة الله إلى الناس قاطبة .. قاصيهم ودانيهم ، فقيرهم وغنيهم ، من عاش منهم اليوم ومن يعش فيما بعد ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

إن دعوة الله لم تجئ لتحدد لتدغدغ شهوات الإنسان ولا لتحدد له مصالحه، كما لم تجئ لتنفخ في ه نوازع الكبرياء، وإنما جاءت لتضعه على العبودية المطلقة لله تعالى ، ولتشعره بالفقر المطلق إلى الله تعالى ، ولتشعره أن المنّ لله ، وأن الفضل لله ، وأنه ليست صاحب فضل ، وأنه حينما يستجيب للدعوة فبحظه أخذ ولصالحه اختار، فلن ينفع الله باستجابته ، كما أنه لن يضرّ الله بإعراضه ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ ﴾..

2ـ مـــن خـــلال السلوك الإنساني:

أ – الخوف والرجاء ثمرة من ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

الخوف والرجاء ثمرة عظيمة من ثمرات الإيمان الحق، وهذا ما أكدته النصوص القرآنية، فالمؤمن يخاف ربه ويخشى عذابه، ويرهب عقابه ويسأل الله –تعالى- أن ينجيه من عذاب جهنم يوم القيامة، والمؤمن الحق - من خلال نظرته العقائدية إلى يوم البعث- يرجو رحمة ربه - سبحانه- ويستبشر برضوانه وثوابه في ذلك اليوم ، فللناس كلهم يمرّون بتجارب واحدة ، ولكن النتائج تأتي مختلفة، يوم القيامة يكون ناس في أعلى عليين، وناس آخرون في أسفل السافلين، يوم يتبيّن أن أُناسًا لا نأبه بهم كانوا في المرضيِّ عنهم ، وأن أُناساً كُنا نُعوّل عليهم كانوا في المغضوب عليهم . وجاءت الخاتمة لتعيّن أن الطريق الحقة في الدعوة أن تُبذل الدعوة للعموم ، وأن تُبذل على قدم المساواة ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ والنتائج إلى الله تعالى، فنحن لا نملك أن نمسك بالسوط لنسو ق الناس إلى طريق الله جل وعلا، قال تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ ﴾.. والنتائج في يدي الله ، لا يجوز بتاتاً أن نعوّل على هذه الطريقة التي يعوّل عليها أبناء الدنيا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية [1]– رحمه الله – في معرض حديثه عن الإيمان والخوف والرجاء: "كلُّ سائلٍ راغبٌ وراهب، فهو عابد للمسؤول، وكل عابد لله فهو –

([1])أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، ج1، بيروت: دار المعرفة،1386هـ، ص240.

أيضًا- راغب وراهب، يرجو رحمته، ويخاف عذابه، فكل عابد سائل، وكل سائل عابد، والعابد الذي يريد وجه الله والنظر إليه هو -أيضًا- راجٍ وخائف، راغب وراهب، يرغب في حصول مراده، ويرهب من فواته.

فالله بعد أن عرض التجارب التي يمرّ بها الإنسان ولادة وحياة، ونظراً إلى ما حوله من الأشياء ومن الكائنات ومن النباتات وما أشبه ذلك، مع أن الناس يمرون كلهم بهذه التجارب الواحدة المتطابقة المتشابهة مائة في المائة، فإن القيامة تتجلي عن أمر عجيب ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُوْلَئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ۝٤٢ ﴾، فنتائج التجارب تمحّصت الآن وتمحّص الحق الذي لا يلتبس فيه شيء من الباطل .

فمن هنا كانت نظرات الإسلام أبعد من مقاييس البشر وأشمل من نظرات البشر وأكثر دقة وإحاطة من قدرات البشر ، ومن هنا -أيضاً- يأخذ الإسلام المبرر الكامل والمشروع حينما يطالب الناس بالطاعة المطلقة التي لا مثنوية فيها ولا وجهة . إنه طالما أن هذا الإسلام مُ نَزَّل من عند الله وما دمنا نحن المسلمين نؤمن أن الله عالم وفوق كل عالم ، وما دمنا نؤمن أن الله لا يريد لعباده إلا الخير واليسرى والمرحمة فإنه لا معنى مع هذا الإيمان من إكثار التساؤلات حول المناهج والأساليب التي طلب الإسلام من الإنسان أن يتبناها وأن يأخذ بها نفسه .

ويقول الإمام النووي [1]: "اعلم أن المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفًا راجيًا، ويكون خوفه ورجاؤه سواء، وفي حال المرض يمحض الرجاء، وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك.

ب- المؤمن وسلوك الخوف:

هناك أمور كثيرة تثير في نفس ا لمؤمن مشاعر الخوف والرهبة، فإذا جاء الموت، جاءت سكراته المهلة، وكرباته التي تزيغ الأبصار، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ ﴾ ، والجميع يقفون من الموت وسكراته موقفًا واحدًا، لا حيلة ولا وسيلة ولا قوة ولا

([1])أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين، باب الجمع بين الخوف والرجاء،دمشق: دار المأمون،1412هـ، ص179.

شفاعة، ولا دافع ولا تأجيل، مما يوحي بأنه قادم من جهة عليا لا يملك البشر معها شيئًا.

ويواجه القرآن الكريم الناس بمشهد الاحتضار، هذا المشهد القاسي، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾، إنه مشهد الموت، وقد ثبت في الحديث عن عائشة - رضي الله عنها- أن الرسول - صلى الله عليه وسلم- لما تغشاه الموت جعل يمسح العرق عن وجهه وهو يقول: «سبحان الله إن للموت سكرات»[1]، وفي حديث صحيح آخر «اللهم هوِّن عليَّ سكرات الموت»[2].

ومن دروس التربية الإيمانية المستنبطة أن لهذا المشهد هول نفسي بحت، يفزع النفس ويفصلها عن محيطها، ويستبد بها استبدادًا: فلكلٍّ نفسه وشأنه، ولديه الكفاية من الهم الخاص به الذي لا يدع له فضلة من وهي أو جهد[3]: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾. وما بين السطور أكثر بكثير مما تحويه السطور، والظلال الكامنة في طياتها ظلال عميقة سحيقة، فما يوجد أخصر ولا أشمل من هذا التعبير، لتصوير الهم الذي يشغل الحس والضمير: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

ج- الخوف من أهوال يوم القيامة:

ومما يحرك في نفس المؤمن مشاعر الرغبة والخوف من أهوال يوم القيامة، فيتذكر يوم الحساب وقد عُرض الناس على ربهم[4] قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾ فالصاخة لفظ ذو جرس عنيف نافذ، يكاد يخرق صماخ الأذن، وهو يشق الهواء شقًّا، حتى يصل إلى الأذن صاخًّا ملحًّا .. وهو يمهد بهذا الجرس المزعج للمشهد الذي يليه: مشهد المرء يفر وينسلخ من ألصق الناس به: ﴿مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾

([1])رواه البخاري: ج5، برقم (4446)، ص470.

([2])سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، ط2، دار المعارف بمصر، ص63- 64.

([3])رواه البخاري: ج9، برقم (4357)، ص575.

([4])محمد عبد القادر هنادي، أركان الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، جدة: دار المجتمع للنشر، 1410هـ، ص94–96.

وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ ﴾، أولئك الذين تربطهم به روابط لا تنفصم؛ ولكن هذه الصاخة تشرخ الروابط شرخًا وتشقها شقًّا.

فهذا الإنسان بما أن الله تعالى عُني به بهذا الشكل فقد أوجب عليه واجبات ورتّب عليه حقوقاً وفرض عليه فرائض، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ ﴾ والإنسان مهما يعش، ومهما يطل به العمر، فلن يقضي حق أوامر الله جل وعلا. لو أنك عبّدت الله ليلاً ونهاراً، وأُعطيت عمر نوح وما هو أكثر فلن تؤدي شكر نفس واحد تأخذ الشهيق وتلفظه في الزفير، لماذا؟ لأنك تتقلب في نعم الله تعالى الذي أسبغها عليك ظاهرة وباطنة، ولأنك تتقلب في كون الله المسخر من أجلك أنت أيها الإنسان، فمن أجل هذا قال الله ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ إن الإنسان كفّار وظلوم يكفر نعمة الله تعالى، ويتصور أن ما فيه من عزّ وجاه و نعمة ونعيم هو من صنع يديه، ولكنه لا يدري أو يتجاهل أنها وديعة الله تعالى يسلبها منه متى شاء.

ثم يلفت القرآن نظر الإنسان، وفي ظني أن المراد هنا بالإنسان الأول الوارد في قول الله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ مطلق جنس الإنسان، فالمراد بالإنسان الثاني غير الأول، المراد بالإنسان الثاني وكما يتبادر إليَّ شخص النبي صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ إن هذا التصوير الرائع لدورة الحياة كلها تستدعي أن يقف الإنسان أمام هذه المعجزات الخارقة ويتفكر فيها ليؤمن بها ولا يكفرها؛ فالماء ينزل من السماء ليهبط على الأرض، فتنشق له الأرض، وتبتلعه الأرض، ماذا عندنا؟ عنصران، الماء والتراب، انظر إلى النتائج ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ ﴾ ومع اتّحاد الجوهرين اللذين هما الماء والتراب، فإن النتائج تأتي مختلفة.

فتنظر ما حولك فترى الجبال جدد بيض وحمر وصفر مختلفات الألوان ، وتنظر إلى الأناسي فطويل وقصير وأحمر وأسود وما أشبه ذلك، وتنظر إلى الأخلاق، حسن الأخلاق وسيء الأخلاق ، وتنظر إلى الإيمان، إيمان وكفر وضلال وما أشبه ذلك .

إن اتّحاد المظهر لا يعني أن النتائج يجب أن تكون واحدة بحال من الأحوال ، بل إن قدرة الله تعالى التي أراد أن يلفت إليها الأنظار أن تتعدد الوجوه والأشكال .

إن الله أراد من محمد - صلى الله عليه وسلم- في مقابل موقفه الذي اتّخذه حيال الزعماء المكيين أراد منه أن يعلم أن الدعوة حينما تُبذل للناس من غير تمييز ، ومن غير نظر إلى مال أو جاه ولا شهرة ولا زعامات ، فإن الله هو الذي يحدد النتائج . ، وكما أن الله تعالى ينزل الماء من السماء ليهبط به على الأرض فيخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ، مختلفاً طعمه، فكذلك هذه الدعوة . عليك أن تعرضها ثم تأتي النتائج كما جاءت عبر الزمان مصدقة لإشارة القرآن. عرضتَ الدعوة إلى هؤلاء الناس فكان منهم ابن أم مكتوم الأعمى المؤمن ، وكان منهم هؤلاء الذين جهدتَ معهم وتعبتَ وحرصتَ على إيمانهم وبالغتَ في الحرص حتى أخرجك الحرص إلى ما لا يليق ، فكانت عاقبتهم ما رأيت .

د- سلوك الخوف من اليوم الآخر والرجاء في حياة الرسول والصحابة:

لقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - القدوة العملية في الجمع بين الخوف والرجاء، فعن عبد الله بن الشخير، قال : "أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وهو يصلي وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء"(□).

وعن عائشة - رضي الله عنها- قالت: " ما رأيت رسول الله مستجمعًا ضاحكًا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم، قالت : وكان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عرف ذلك في وجهه، فقالت : يا رسول الله! أرى الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية قالت : فقال : يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح »"(□).

واقتدى الصحابة - رضوان الله عليهم- في التخلق بأخلاق النبي الكريم - صلوات الله وسلامه عليه- فقد أخرج الترمذي أن عثمان بن عفان - رضي الله عنه -

---

(□)رواه أبو داود، سنن أبي داود، ج1، برقم (904)، بيروت: دار ابن حزم، 1418هـ،ص300.

(□)رواه البيهقي، سنن البيهقي، ج 2، بيروت : دار الرسالة، 1429هـ، ص39. ورواه أحمد في مسنده : برقم (1107)، ص210.

كان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له : تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتذكر القبر فتبكي، قال: إني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر، وإن لم ينج منه فما بعده أشد»(□).

فالسلوك الذي توجهه عقيدة الإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب هو الموجه الحقيقي لسلوك الإنسان نحو سبيل الخير، وليس هناك أي قانون من قوانين البشر يستطيع أن يجعل سلوك الإنسان سويًّا مستقيمًا كما يصنعه الإيمان باليوم الآخر. ولهذا فإن هناك فرقًا كبيرًا بين سلوك من يؤمن بالله واليوم الآخر ويعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة، وأن الأعمال الصالحة زاد الآخرة، فترى في اللوحة وجوهًا مسفرة مشرقة ضاحكة مستبشرة، أولئك هم الأخيار البررة، قال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ ﴾.

وهناك فرق بين من كان هذا سلوكه وديدنه، وبين سلوك من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، "فالمصدق بيوم الدين يعمل وهو ناظر إلى ميزان السماء لا لميزان الأرض، ولحساب الآخرة لا لحساب الدنيا "، له سلوك فريد في الحياة نرى فيه الاستقامة وسعة التصور وقوة الإيمان، والثبات في الشدائد، والصبر على المصائب ابتغاء للأجر والثواب، فهو يعلم أن ما عند الله خيرٌ وأبقى(□).

كما أن تحديد النتائج يا محمد ليس إليك، إن عليك أن تبلّغ دعوة الله إلى الناس، وأن تدع إلى الله أن يح دد النتائج. فلما أن تسلك طرائق أخرى مما يعتمده الآدميون في جمع الأنصار وشراء الذمم والضمائر، وتكثير الناس من حولهم، فذلك فشل وخطأ، بل هو خطر. لماذا؟ انظر إلى هؤلاء، انظر إلى الإنسان، يمرّ بكل هذه التجارب المتشابهة، يكون نطفة فعلقة فمضغة إلى آخره .. ثم يخرج إلى الدنيا، ثم يموت، ثم يُنشر، وانظر إلى الطعام، يصب الماء من السماء فيشق الأرض فتخرج منه طعوم مختلفة وأشكل مختلفة. فما الذي لفت إليه القرآن أنظار المسلمين؟ بعد أن ذكر هذا كله قال : ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ ﴾ والصاخة تعبير من التعبيرات الم فردة في القرآن الكريم، إنك تستطيع أن تشعر بثقل هذه اللفظة وأنت تقرؤها، تكاد تخرج

(□)رواه الترمذي، سنن الترمذي، ج4، برقم (2308)، بيروت: دار الكتب العلمية، 1414هـ، ص553.
(□)سيد قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص20.

طبلة الأذن، إنها تعبير عن يوم القيامة الذي يكون فيه الهول كل الهول ، والفزع كل الفزع ، ويوم القيامة يوم تمييز وتمحيص ، ويوم صدور النتائج ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾ هناك في يوم القيامة تكون كل نفس مشغولة بذاتها ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾.

هـ- الشعور بمراقبة الله –تعالى- وخشية حسابه يوم القيامة:

يعد هذا الشعور – مراقبة الله تعالى – من آثار الإيمان باليوم الآخر، والإحساس بثقل التبعة، وعظم الأمانة التي يحملها الإنسان، وقد أشفقت منها السماوات والأرض والجبال، فهو يعلم أن كل كبيرة وصغيرة مسؤول عنها، وإن خيرًا فخير وإن شرًا فشر[□].

أما الذي لا يؤ من باليوم الآخر وما فيه من حساب وجزاء فهو يحاول جاهدًا أن يحقق مآربه في الحياة الدنيا، لاهثًا وراء متعها ومتكالبًا على جمعها، منَّاعًا للخير ، أو أن يصل الناس عن طريقه إليه،وقد جعل الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه، فهو يقيس الأمور بمنفعته الخاصة، لا يهمه غيره ولا يلتفت إلى بني جنسه، إلا في حدود ما يحقق له النفع في هذه الحياة القصيرة المحدودة ، يتحرك وحدوده هي حدود الأرض، وحدودها العمر، ومن ثم يتغير حسابه، وتختلف موازينه وينتهي إلى نتائج خاطئة[□]، فهذا الصنف من الناس تجده أشد حرصًا على الحياة، لأنهم لا يؤمنون بشيء اسمه البعث بعد الموت، ولذلك فهم يحبون طول الحياة، وهؤلاء هم شر الناس، ومنهم اليهود الذين يعرفون ما أعد الله لهم من الخزي في الآخرة ، ولذلك فقد انتشر بينهم الجشع والطمع وقهر الشعوب واستعبادهم وسلب ثرواتهم؛ حرصًا منهم على التمتع بأكبر قدر من ملذات الحياة الدنيا، ولهذا فقد تفشى بينهم الانحلال الخلقي والسلوك البهيمي، فإذا رأوا الحياة الدنيا تراهم يلهثون عليها ولا تقدير عندهم للمسؤولية في حياة أخرى غير هذه التي يحيونها[□].

ومن الدروس المستفادة من هذه الواقعة ألا يخص بالدعوة إلى دين الله أحد دون أحد ، فالله - تعالى- وحده هو الذي يعلم أين يكمن الخير ، والدعوة إلى دين الله

([□])يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل، أشراط الساعة، الرياض: دار ابن الجوزي، 1420هـ، ص29–30.

([□])سيد قطب في ظلال القرآن، مرجع سابق، ص200.

([□])يوسف بن عبد الله بن يوسف الوابل، أشراط الساعة، مرجع سابق، ص31–32.

الخاتم يجب أن تكون للناس كافة بغض النظر عن أعراقهم ، وأنسابهم ، وأجناسهم ، وأعمارهم ، وإمكاناتهم العلمية والتقنية والمادية ، ومستوياتهم الاجتماعية ، وغير ذلك من الفوارق الطبقية التي لا يقرها الإسلام ولا يرضاها ربنا - تبارك وتعالى - أساساً للتفضيل بين خلقه..

ولقد كان في إعلان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لهذا العتاب الإلهي الشديد لشخصه الكريم أبلغ الشهادات علي صدق نبوته ، ونبل رسالته ، وكما ل عبوديته لله الخالق، فلا يقوى على إبواز مثل هذا العتاب إلا نبي كريم ، يعرف حقوق ربه عليه، وقدسية الوحي الذي يتنزل إليه بكلمات الله التامات المنزهة عن الحذف أو الإضافة أو غير ذلك من المداخلات البشرية.

كذلك كان في إعلان هذا القرار الإلهي في وجه زعامات قريش ، والمسلمون في مكة المكرمة قلة مستضعفة في وسط بيئة جاهلية ، تقتلها العصبيات العرقية العمياء ، وتحكمها الأعراف الظالمة الجائرة ، كان في ذلك أعظم الشهادات علي أن هذا النبي والرسول الخاتم - صلى الله عليه وسلم- كان موصولاً بالوحي. ومعلمًا من قبل خالق السماوات والأرض، ومؤيدًا بتأييده الذي لا يضام..!!

المبحث الثاني: الآثار الإيمانية المترتبة على الإيمان بالقرآن والملائكة

فالإيمان بالقرآن له شأن عظيم؛ فهو أعظم كتاب أنزله الله تعالى، وهو كلام الله عز وجل، وهو خطابه الأخير للإنسانية جميعاً.. جعل فيه الخير والهدى والنور للناس كلهم إلى قيام الساعة، وهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، ونوره المبين، الذي أنزله الله على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم؛ فيجب الإيمان به زيادة عن الإيمان بالكتب السابقة، وذلك باتباعه، والعمل بمحكمه، والإيمان بمتشابهه، وأن تقام حدوده كما تقام حروفه، وألا يهجر، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم سيشتكي إلى ربه لأن قومه هجروا القرآن، قال تعالى : ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾[الفرقان:30]، فلا يهجر القرآن هجر تلاوة، ولا هجر عمل، وذلك بأن لا يعمل بما فيه، وألاَّ تقام أحكامه وحدوده، وألا يحل حلاله ويحرم حرامه. بل لابد من العمل بالقرآن، فما كان فيه من أوامر فعلناها ولابد، وما كان فيه من نواهٍ اجتنبناها ولابد.

وقد ذكر الآية من سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[البقرة:136]، وإذا تأملنا في هذه الآية نجد أن هناك حكمة نلتمسها من قوله تعالى : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾[البقرة:136]، وهي أن أول ما يجب علينا أن نؤمن به هو كتابنا هذا الذي أنزله الله على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك فنحن نؤمن أيضاً - وكل الناس مأمورون بذلك ومنهم أهل الكتاب- نؤمن بما أنزل إلى إبراهيم، والذي أنزل إلى إبراهيم يشمل كل ما أنزل الله إليه، وهو الصحف، وكذلك الإيمان والعقائد والدعوة التي جاء بها إبراهيم عليه السلام؛ لأنها كلها من عند الله، ثم عطف عليه إسماعيل وإسحاق، ثم ذكر أنبياء بني إسرائيل : يعقوب والأسباط، ثم أفرد موسى وعي سى عليهما السلام؛ وذلك لأنها أعظم أنبياء بني إسرائيل، ثم قال تعالى : ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾[البقرة:136]، فأجمل بعد التفصيل، فكل ما أوتي الرسل وأنزل إليهم فنحن نؤمن به، ما علمنا منه وما لم نعلم، وهذا هو مفرق الطريق بين إيماننا بكتب الله وبين إيمان أه ل الكتاب؛ لأن أهل الكتاب يفرقون بين الله ورسله، ويفرقون بين كتب الله، ويقولون : نؤمن ببعض ونكفر ببعض، أما نحن فنؤمن بالكتب كلها.

وتستمر الآيات في سورة (عبس) في تأكيد هذا القرار الإلهي ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾﴾ من الله تعالى لمن شاء أن يتذكر، خاصة أن التذكرة مدونة في صحائف القرآن الكريم ، وهي صحف مكرمة عند رب العالمين ، مرفوعة مطهرة بتكريم الله – تعالى- لها ، وحفظه إياها ، وأشارت الآيات إلي أن هذه الصحائ ف مطهرة من أية مداخلات وضعية، أو تحريفات بشرية، أو محاولات للتزييف ، ﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ وهم الملائكة المك رمون الذين حملوا القرآن العظيم إلى خاتم الأنبياء والمرسلين.

وإذا ما عاشت المجتمعات الإسلامية بهذه المعايير الربانية التي ترجح أهل الصلاح والتقوى والورع على أهل الفساد ، والاحتيال ، والشراهة والطمع ، والإقبال على الدنيا ، ونسيان الآخرة ، .. وإذا ما سادت معايير السماء عل ى معايير الأرض سعدت المجتمعات الإنسانية وأسعدت ، ولطالما انعكست الأوضاع ، وانقلبت الموازين ، وسادت معايير الأرض علي معايير السماء.. اضطربت القيم، واختلت المفاهيم، وساد الرعاع، وتكلم في الناس الرويبضة وصدق الكاذب ، وكذب الصدوق .. وائتمن الخائن .. وخون الأمين ... فشقيت المجتمعات الإنسانية وأشقت...!!

ومن واقع السورة يقول الله تعالى حينما يرد على الرسول - صلى الله عليه وسلم- حين يريد أن يهتدي زعماء مكة ورؤوس الكفر، يقول له ﴿كَلَّآ﴾.أي ليس الطريق من هنا، فكلمة ﴿كَلَّآ﴾.كالإشارة الضوئية التي تشير إلى أن هذا الطريق ممنوع ومسدود.إذًا ماذا بعد ﴿كَلَّآ﴾.؟ ﴿إِنَّهَآ تَذْكِرَةٌ﴾ أي أن هذه الرسالة هذه السورة هذه الكلمات والتوجيهات المبثوثة في القرآن تذكر، وتوقظ، وتنبه ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾﴾ وليست القضية التي أريدها في هاتين الآيتين، ولكن أين ؟ ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ .

والشيء الثاني أن ما كان متيسّراً زمن الإنزال من وسائل الف هم والإدراك لم يعد الآن متيسراً ، فالقرآن نزل بلسان العرب وعلى عادتهم في التخاطب، مستعملاً ذات الكلام الذي كانوا يتداولونه فيما بينهم في حياتهم العامة والخاصة . الواحد منهم

كان يعرف ماذا يريد القائل بكلمة كذا أو كذا دون حاجة إلى رجوع إلى القواميس والمعاجم ودون حاجة إلى كد الذهن وإعمال العقل .

الآثار التربوية للإيمان بالقرآن:

القرآن لغة: مأخوذ من مادة قرأ ، بمعنى تلا ، وهذا ظاهر من استخدام هذا اللفظ ومشتقاته في كلام الله - سبحانه وتعالى- وفي كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم- وكذلك القرآن مصدر كالقراءة ، وكذلك قرآنًا وقراءة.

والقرآن اصطلاحًا : هو كلام الله المنزَّل على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم- المُتَعَبَّدُ بتلاوته المعجز بأقصر سورة(□).

فالبشرية كلها مكلفة بالعمل بالقرآن وبكل ما ورد فيه تفصيلاً مع الإيمان بأنه مُنَزَّل من عند الله –تعالى- وله مميزات عديدة، من أهمها:

1 أنه إنساني عالمي خوطبت به البشرية جميعًا ، وكانت الكتب السماوية قبله تخاطب أقوامًا معينين.

2 وصل إلينا سالمًا من التحريف، قرآنًا واحدًا أجمعت الأمة على صحته، وثبت نقله بالسند الصحيح، ولم يصل أي كتاب سماوي آخر كاملاً صحيحًا.

3 كل كتاب كان يتناول بعض جوانب الحياة، في حين أن القرآن يتناول كل جوانب الحياة، فقد جاء كاملاً أتمَّ الله به ما جاء في الكتب السابقة .

4 كل كتاب كان يأمر أتباعه باتباع القرآن إذا أدركوه، ولكن القرآن لم يأمر باتباع الكتب السابقة، بل ضرب أمثلة منها ، وأمر بالإيمان بها جملة.

ولو تتبعنا الآيات التي وصفت القرآن الكريم لوجدنا فيها بعض الأوصاف التي تدل على أهميتها التربوية كقوله تعالى : ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:9].

فالقرآن يربي الإنسان على الحياة المستقيمة والأخلاق القويمة، لما فيه من العِبَر والحِكَم والتشريع العظيم، وكفى به بأنه من لدن ح كيم عليم حكيم يضع التشاريع والعِبَر في مواضعها ، عليم بطبائع الناس وما يصلحهم والإيمان بأن القرآن من عند الله هو الذي يجعله مقومًا لحياة الفرد والمجتمع، قال تعالى : ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ

(□)مساعد الطيار، المحرر في علوم القرآن، الرياض: دار ابن الجوزي، 1427هـ، ص17 – 19.

لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر :28]، ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء :82]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد :24]، ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الزخرف:3].

ومن الآثار التربوية للإيم ان بالقرآن تعويد اللسان على الفصاحة والبيان، وهذا معروف لدى كل مشتغل بالقرآن، فهو بإعجازه وفصاحته يطبع قلب الإنسان على حسن البيان والأسلوب اللغوي المبين، فيصبح واضح القصد موضحًا لمراده(□)، ومع ذلك فهناك إشارات إلى فصاحة القرآن وبيانه، ﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣﴾.

كما يشمل ذلك تربية العواطف الربانية : من خوف، وخشوع، ورهبة، وترقيق للقلب والمشاعر، فالقرآن يوقظ هذه الأحاسيس النبيلة ويصف آثارها عند من يتلو القرآن حق تلاوته.

وحينما كان العربي يواجَه بهاتين الآيتين ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ١٦﴾ ك ان يدرك للتوّ ماذا تعني هذه الكلمة ، وكلمة (السفرة) من هم ؟ هم الملائكة ؛ . الآيتان تعرضتا لبيان شيئين، الأول : هو جنس الوسيلة التي وصلنا بها القرآن والتي أُهِّلت لحمل هذه الكلمات المباركات . والشيء الثاني : خصيصة هذه الرسالة ووصف هذه الرسالة ومزيتها الأولى والأخيرة . قبل كل شيء أُذكّر ، فحينما تريد أن ترسل إلى أحد شيئاً ما رسولاً لقضاء حاجة من الحاجات ، رسولك هذا تحدده أهمية الشخص الذي ترسله إليه ، إذا كان الإنسان عادياً فأنت ترسل ابنك الصغير أو أي إنسان تعطيه بطاقة وتقول له : أعطها إلى فلان . لكنه حينما يكون ذا أهمية وذا مركز وامتياز ، فأنت تتحرج من أن ترسل إليه ولداً صغيراً ، أنت إذاً تكرّم المرسل إليه أيضاً حينما تريد أن ترسل إليه شيئاً هيناً فأي إنسان يمكن أن يوصل هذا الشيء من قبلك ، ولكنك إذا أردتَ أن تبعث إليه بشيء نفيس وثمين وذي قيمة فأنت تدقق وتعتني باختيار الرسول ، فإذاً المسألة كما ترون ذات جانبين ، جانب ينظر إلى المرسل وينظر إلى المرسل إليه ،وجانب ينظر إلى ذات الشيء المرسل . ومن هنا يأخذ الشيء المرسل أهميته أو عدم أهميته.

(□)عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، مرجع سابق، ص127.

أسلوب تربية القرآن للناشئة:

على المربي بواسطة القرآن أن يتبين ما يلي:

أ) أن يربي لسان الناشئ، ويقوّمه بحسن التجويد وعدم اللحن.

ب) أن يربي قلب الناشئ على الخشوع عندما يسمع آية تستوجب الخشوع أو الغضب في الله، أو الحنين إلى الجنة، أو الشعور بمحبة الله تعالى.

ج) أن يربي سلوك الناشئ، فيأخذ العهد عليه ويتعهده ليعمل بتعاليم القرآن أثناء الرحلة مع الطلاب، وعند تناول الطعام، أو في الملعب، أو عند حضور الندوات، أو الجمعيات وغير ذلك من المواطن المختلفة.

د) أن يربي عقل الناشئ بالاستدلال على ما استدل عليه القرآن، ويتأمل ما يدل على عظمة الله، وأن يضع أسئلة كثيرة بعد كل درس لتمرين العقل على ذل ك، وكل ذلك بعد أن ينتهي من فهم المعنى المراد لكل آية من الآيات في دروس التلاوة، أو لكل آية، وكل كلمة في دروس التفسير والحفظ.

وهكذا نجد أن التربية بالقرآن تتناول كل جوانب النفس الإنسانية في هدوئها، وصخبها، وحديثها، وسكونها، والقرآن فوق ذلك كله يجمع قلوب البشرية على مبدأ واحد ودستور واحد، كما أن له الأثر الأول في جمع كلمة الأمة الإسلامية، إذ لا يختلف اثنان من المسلمين على أنه من عند الله وأن اتباعه واجب وحق[1].

الآثار الإيمانية المترتبة على الإيمان بالملائكة:

الملائكة لغة: (ألك) : بين القوم (أَلْكًا) و(أُلُوكًا) أي تَرَسَّل واسم الرسالة (مالُكٌ) و(الملائكة) مشتقة من لفظ (الأُلُوك) وقيل من (المالُك) الواحد (مَلَكٌ) وأصله (مَلاَّكٌ) ووزنه مَعْفَلٌ فَنُقِلَتْ حركة الهمزة إلى اللام وسقطت فوزنه معَلٌ فإن الفاء هي الهمزة وقد سقطت، وقيل مأخوذ من (لاكَ) إذا أرسل (فَمَ لأَّكٌ) مَفْعَلٌ فَنُقِلَت الحركة وسقطت الهمزة وهي عَيْنٌ فوزنه مَفَلٌ[2].

واصطلاحًا: عالم غيبي مخلوق من نور عابدون لله -تعالى- مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

([1])أبو سعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العق ل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، القاهرة : المطبعة المصرية، 1347هـ، ص152.

([2]) أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ ، المصباح المنير، مرجع سابق، ص 15. (مادة أ ل ك).

وأما شرعًا فهم "أجسام لطيفة، أعطيت قدرة على التشكل، بأشكال مختلفة، ومسكنها السموات" ، وعلى هذا جمهور العلماء، كما نقل ذلك الحافظ ابن حجر.

الملائكة هم مخلوقات غيبية عن البشر، ذات أجسام نورانية لطيفة، قادرون على التشكل بالأشكال الجسمانية المختلفة المرئية، ذوو قدرات خارقة، لا حصر لهم، مقربون إلى الله، طائعون لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمون، لا يتناكدون، ولا يتناسلون، ولا يأكلون ولا يشربون، إنما هم عباد مكرّمون، يحملون رسالات ربهم في العالمين ويؤدون وظائفهم في الأكوان بحسب مجرى الاقدار، على مراد الله العزيز الجبار، هذا وقد ورد ذكر الملائكة في جميع الكتب السماوية التي أنزلها الله عز وجل[1].

فللملائكة فهم الموكلون بالسماوات والأرض، فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة، وهم الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل، والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارة يقرن الله تعالى: اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف، وتارة يذكر حفهم بالعرش وحملهم له، ومراتبهم من الدنو، وتارة يصفهم بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو والطهارة والقوة والإخلاص. في قوله: ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [سورة عبس: الآية 16]، وكذلك الأحاديث النبوية طافحة بذكرهم. فلهذا كان الإيمان بالملائكة أحد الأصول الخمسة التي هي أركان الإيمان[2].

وقد صف الله -تعالى- الملائكة بأنهم كرام بررة في قوله: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس :15-16]، وفي وصف آخر هم مخلوقات نورانية لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويتميزون بصفات يشتركون بها مع الإنسان كونهم كرام شرفاء، فأخلاقهم - بلا شك- عالية ونبيلة، ويتميزون كذلك بالطهر والنقاء ، ومن هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون على هذه الدرجة من السمو، ومن صفات الملائكة الحياء وهي صفة كريمة إذا اتصف بها الإنسان أحبه الله -تعالى- وأحبه الناس، وبالإضافة إلى خلقهم الذي يشتركون فيه مع صفوة البشر فإن الله خيَّرهم على القدرة على

([1])راجي الأسمر، الملائكة، حقيقتهم، وجودهم، صفاتهم، دار جروس برس للنشر والتوزيع، بيروت، 1991م، ص3.

([2])علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (المتوفى : 792 هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق : أحمد شاكر ط1 : وزارة الشؤون الإسلامية ،والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1418 هـ ، ص405.

التشكل، فيبدون في صور كثيرة ، منها : كصور البشر العادية ،وقد كان جبريل - عليه السلام- يأتي الصحابة ليعلمهم دينهم، وهم قوم يتصفون بالسرعة التي يعرفها البشر بسرعة الضوء وإن كانت سرعتهم لا تقاس بمقاييس البشر (□).

فإذًا حملُ الرسالة الإسلامية إلى الناس بواسطة الملائكة ا لكرام البررة تكريم لهذا الإنسان ، فعلى الناس جميعً ا أن يفخروا بهذا الدين الذي جاءهم ، لأن الله تعالى اختار لإيصاله إليهم صفوة خلقه وهم الملائكة المقربون . هذا ما يتعلق في المرسل إليه .

وأما الشيء المرسل فمعروف ، وأما واسطة الإرسال فالله تعالى ما قال : أنزلنا هذا الكتاب مع جبريل ولم يقتصر على ذكر الملائكة وإنما جاء بالوصف مطلقاً وبوصف خاص كان العرب يفهمونه طبعاً ، ونحن الآن محتاجون إلى فهمه ، قال ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ والسفرة طبعًا هم الملائكة الكرام الكاتبون ، والسفارة في اللغة التي نزل بها القرآن تدخل من أجل الإصلاح وإزالة الوحشة، تقول : بعثت فلاناً سفيراً إلى فلان لكي يصلح بينه ويزيل الوحشة القائمة بينهما .

ويرى الباحث أن المضمون العقائدي والتربوي في هذه الآية يتمثل في أن هذا الإسلام جاء للكشف ، ومن البديهي أن العالم حينما أُرسل محمد - عليه الصلاة والسلام- كانت تلفه سحابة قاتمة شديدة القتام والسواد من الجهل والضياع والشرود عن الله تعالى والبعد عن مكارم الأخلاق . وحينما جاء الإسلام انشق في وجه الإنسانية فجر لم يكن للناس به عهد، حيث كانت الفوضى تضرب أطنابها، فالناس في الواقع لهم صورة الأناسي ولكن ليست لهم مدارك الإنسان ولا اهتمامات الإنسان ولا تطلعات الإنسان، وإنما هم أشبه وأقرب إلى ما يكونون إلى العجماوات أو حتى إلى الجمادات ، فجاء الإسلام كاشفاً لهذه الظلمة، فهو من هذا الباب صبح مسفر منير ؛ لأنه كشف عن الحقائق التي يجب أن يعرفها هذا الإنسان، هذا واحد .

والأمر الثاني أن (سفر) تعطي معنى التنظيف وإزالة الأوساخ والأدران ، وكذلك هذا الإسلام، فإن الحياة الشريفة النظيفة المعتدلة لا يمكن أن توجد إلا تحت ظل الإسلام، فنحن نجد التاريخ الإنساني ظلمة متراكبة منذ أن بدأ الإنسان يكتب على الطين وإلى الآن، وثمة فترات مضيئة في التاريخ الإنساني، ولكن المتتبع للتاريخ يجد أن هذه الفترات هي فترات النبوات وهي التي سادت فيها المعاني الإيمانية .

(□)عمر سليمان الأشقر، عالم الملائكة الأبرار، عمان: دار النفائس، 1421هـ، ص13–20.

فالحياة الإنسانية بلا دين وساخة وقذارة ، وحياة الإن سانية بدون نظافة وطهارة . وكما أن السفرة تنظيف وتطهير، كذلك هذا الإسلام تنقية وتنظيف وتطهير .

وهذا ما تحمله كلمة السفارة، فالسفارة ليست مجرد رسالة، أي ليست كل رسالة رسالة، وإنما السفارة لا تكون إلا إذا كانت الرسالة تحمل معنى الإصلاح وإزالة الوحشة بين المتخاصمين، ولو اطلعنا على ما جاء الإسلام وما أعطاه من مناهج ونظم ، وبما قدمه إلى الناس من أخلاقيات عالية، بما قدمه للناس من مثاليات رفيعة ، لعلمنا يقيناً أن التفاهم البشري كله موقوف على التعرف على معاني الإسلام.

فالإسلام لا يرى أن السفارة الناجحة بالنسبة للبشرية يمكن أن تتحقق بمجهودات البشر، إلا على أساس الإسلام، وضمن مفاهيم الإسلام ، وفي ظل تعاليم القرآن . حينما نسمع القرآن يتكلم هذا الكلام الموجز ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾﴾ فنحن حينما ندقق في معنى اللفظة المفردة ونحاول أن نتعرف على حكمة إيرادها في هذا المكان ف نحن واجدون هذه المعاني الكبيرة تُرد إلى المرسل إليهم وتُرد إلى أوصاف الرسالة التي يحملها كرام كاتبون إلى الناس، هذه اللفظة بكل إشعاعاتها وما تحدثنا عنه وما لم نتحدث كان الإنسان العربي يدركه لأول وهلة، لمجرد أن قال ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾﴾ يفهم ماذا تعني ك لمة سفرة ، ثم هو يفهم جميع الإشعاعات والمدلولات التي تشير إليها هذه اللفظة المفردة .

فالملائكة سماهم الله (سفرة) وسماهم (كرامًا) وسماهم (أقوياء وأمناء) لماذا ؟ ليشير إلى أن القوي الأمين على حمل هذه الرسالة هو هذا الصنف من المخلوقات ، إن رسالةً بالعظمة التي شرحناها من قليل ، بالتراحب والشمول ، لا يمكن أن يحملها أحد من الناس، وهذا الدين نظرة تخترق حجب الزمان والمكان لتلف البشرية برمتها من الأول إلى الأخير .

وهكذا يتبين لنا أن التاريخ الإنساني له مراحل وأطوار ، وأنه في أوقات الأزمة والشدة لا بد من أن تتوفر نوع ية من نوع تلك التي أشارت إليها كلمة ﴿ سَفَرَةٍ ﴾ وكلمة ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ إننا محتاجون إلى ذلك الصنف من الرجال الذين يتمتعون بخصائص الريادة، خصائص القيادة، خصائص الأسوة الحسنة . إننا اليوم نعيش مرحلة حرجة من تاريخ أمتنا وحاسمة، إن الهجمة الشرسة التي تنصب ع لى الإسلام والمسلمين من كل

جانب، من الداخل ومن الخارج على السواء تعيِّن على المسلمين ضرورة العناية بهذا الذي نقوله . إننا نعيش فترة غير ع ادية ، فترة تتمتع بخصوصية مطلقة ، وهي لذلك تحتاج إلى نوع من الرجال لهم خصوصية.

من أجل ذلك كله يجب علينا شكر الله –تعالى- على عنايته ببني آدم، فهو الذي وكّل من الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة مصالحهم إلى غير ذلك الذي من شأنه أن ينمي في الناشئة الشعور بحب الله تعالى.

كما أن في حرص الإسلام وتكريم الله - سبحانه وتعالى- للملائكة تتجلى أساليب سلوكية تخص اتجاه الإنسان نحو تقدير دور الملائكة فيما يصفونه من الرحمة والعظمة والعلو والقدوة، وليس أبلغ من ذلك أن نشبه الإنسان ذا الخلق العظيم وكأنه ملك كريم، فالقدوة في الأسلوب التربوي توجه السلوك وبهذا يكون لها الفضل في حسن التصرف[1].

([1])أحمد الحمد، التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص64.

الفصل الرابـع
المضامين الاجتماعية المستنبطة من سورة عبس

- المبحـــث الأول: الآثار الاجتماعية المترتبة على المسؤولية الفردية ودور الأسرة.
- المبحث الثاني : الآثار الاجتماعية المترتبة على الطاعة والإيمان والشـرك.

مقدمة:

إن محور القيم الإسلامية يسمو في حقيقته على الاعتبارات الأرضية كلها، مهما كان له ذه الاعتبارات من وزن وتأثير، وضغط شديد على الفرد والجماعة، في أي مكان أو زمان، ذلك أن الإسلام لا يقيم أي وزن لما تواضع عليه الناس من قيم المادة والقوة، والجنس واللون، والعصبية والثراء، وما إلى ذلك من القيم الأخرى، إذا تجردت هذه القيم عن الإيمان والتقوى(□).

فهو بذلك يرمي إلى أن ينطلق الإنسان – فكرًا وشعورًا وسلوكًا وواقعًا- من حدود القيم الباطلة المتوارثة، والتي تراكمت في عصور الجاهلية، وأصبحت بسبب البعد عن المنهج الحق أمورًا ذات وزن واعتبار في حياة الناس، ولا يجد الإسلام لبقائها أي مبرر، مهما اكتسبت من قوة السيطرة على النفوس وأوضاع المجتمع، بسبب عنصر الاستمرار التاريخي، أو الإلف والشيوع، أو الملابسات الاجتماعية، والضغط النفسي، أو الأثر التربوي أو غير ذلك . إن الإسلام الذي جاء ليضع معالم الطريق لخير الإنسان وسعادته وتقدمه وأمنه وفلاحه، لا يعرف المساومة والمها دنة في أمر الحق الذي جاء به، وما انبثق عن هذا الحق من قيم جديدة بلغت الذروة في الاحتفال بخير الإنسان والاهتمام بعزته، وتوفير كرامته.

ولقد تنوعت الوسائل والأساليب التي جاءت بها دعوة الإسلام لتقرير هذه القيم وتحقيقها، وجعلها روح سلوك الفرد، وطابع المجتمع، وسم ة الحياة الإسلامية . وتعمل دعوة الإسلام على توجيه المؤمنين إلى أن يستمدوا موازينهم نم هذه القيم، في تجرد كامل من الملابسات والمواصفات، التي أقامتها في نفوسهم ومجتمعهم الأعراف الخاصة، والمواريث المألوفة، التي لا تتلاءم مع حقيقة الدعوة ومبادئها وأهدافها .. ويقتضي الارتفاع إلى مستوى هذه القيم انعتاق الفرد والجماعة- في إيمان وعزيمة وصبر- من جواذب كثيرة، ورواسب ثقيلة، وظروف وارتباطات وموروثات مختلفة .. إلى الحد الذي يصبح فيه المؤمنون صورة حية صادقة لهذه القيم، ونماذج طيبة صالحة لتطبيقاتها الإنسانية في واقع الحياة.

وفي كتاب الله - عز وجل- وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم- وسيرته، وحياة الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم، أمثلة لا حصر لها من تربية المؤمنين على

(□)عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ط1، جدة، مؤسسة الرسالة، 1393هـ/1973م، ص36- 37.

هذه القيم، وتفاعلهم معها، وصبغ حياتهم بها، وتقريرها وإعلائها لدى الأمم والشعوب التي امتد إليها نور الإسلام، خلال أحقاب طويلة من التاريخ.

ومن هذه النماذج ما قرره القرآن الكريم في سورة (عبس) في إطار التوجيه لرسول الله – صلى الله عليه وسلم- من أن القيمة الوحيدة التي يرجح بها وزن الناس أو يشيل، هي قيمة الإيمان والتقوى، وهي منفصلة عن كل ما تعارف عليه الناس من موازين واعتبارات.

المبحث الأول:

الآثار الاجتماعية الإيمانية المترتبة على المسؤولية الفردية ودور الأسرة

يمثل الأثر الاجتماعي الإيماني مدخلاً مهمًّا من مدخلات علم الاجتماع التربوي في تحقيق أهدافه الرامية إلى إصلاح المجتمع، وذلك بالعناية بالفرد باعتباره اللبنة الأساسية التي يُبنى عليها المجتمع وذلك من خلال التحليل الموضوعي لتحقيق أهداف التربية الإيمانية القائمة على العقيدة الإسلامية في نفس الوقت، وذلك من خلال أن ينقل للأجيال من تراث حضاري للعقيدة واستخدامها في عملية تنشئة الأفراد بأخذ مبادئ العقيدة الإسلامية السامية والعمل على تطبيقها في مجال تنشئة الأفراد.

أما الآثار الاجتماعية الإيمانية فيقصد بها العمليات التي يكتسبها الفرد من الناحية العقائدية وتؤثر في سلوكه عن طريق تفاعله معها تفاعلاً وثيقًا في إطار تربوي يلازم الفرد منذ نعومة أظفاره حتى يكون لبنة فاعلة في مجتمعه.

ومع بداية ظهور علم الاجتماع التربوي، فقد بدأ المهتمون بأمر العقيدة الإسلامية في ترسيخ المعاني الإيمانية التي يحتاجها الفرد في بناء شخصيته على الأسس الربانية[□].

ويدور محور سورة (عبس) الرئيسي حول قيمة إسلامية كبري مؤداها أن التفاضل بين الناس لا يكون إلا على أساس من تقواهم لله ، بغض النظر عن أنسابهم ، وإمكاناتهم المادية ، ومستوياتهم الاجتماعية ، وجاههم ، وسلطانهم ، وأعمارهم ، وألوانهم، وأجناسهم، وهي قيمة أراد الله - تعالى- غرسها في قلوب وعقول المسلمين ، ووضحها بواقعة حدثت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في مكة المكرمة حين انشغل بدعوة نفر من زعماء قريش إلي دين الله الخاتم ، وأعرض عن صحابي كفيف ،

(□)إبراهيم ناصر، علم الاجتماع التربوي، بيروت: دار الجيل،1416هـ، ص138.

من أوائل المسلمين ، جاء يسأله في أمر من أمور الدين ، فأنزل الله –تعالى- في مطلع هذه السورة المباركة عتابًا لرسوله ونبيه الخاتم- صلى الله عليه وسلم - حتى يؤكد الحقيقة التي أنزلها في مقام آخر من محكم كتابه بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [سورة الحجرات: الآية13]

ومن أجل إقرار هذه القيمة الإسلامية التي لا يمكن للمجتمعات الإنسانية أن تتصلح بغيرها ، أنزل الله - سبحانه وتعالى- من فوق سبع سماوات هذا العتاب الشديد لأحب الخلق إليه ، وأقربهم إلى رضوانه ، لتبقى هذه القيمة العليا حاكمة للمجتمعات الإنسانية إذا أرادت أن تعيش حسب منهج الله ، وأن تحقق رسالتها في هذه الحياة . ولذلك حفظ هذا العتا ب في كتابه الكريم الذي سيظل يتلى إلى يوم الدين . تذكرة للناس بهذه القيمة الإنسانية التي يجب أن يلتزم بها المسلمون بصفة عامة في مجتمعاتهم، وبصفة أخص في طريق الدعوة إلى الله.

وتلمس السورة الكريمة المسؤولية الفردية لج حود الإنسان لخالقه - سبحانه وتعالى- ، وتذكره بأصله ونشأته ، وتهيئة الله - تعالى- له ، وتيسير السبل أمامه ، ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ كما تذ كره بنهاية حياته الدنيوية بالموت والقبر ، ثم إعادة بعثه ونشره ليلقي حسابه وجزاءه في الآخرة ، وعلي الرغم من ذلك فإنه لا يتقيد بأوامر الله ولا يقوم بتنفيذها..

تعميق الإيمان وقاية للفرد من المهالك:

إن تعميق الإيمان يعد وسيلة من شأنها إصلاح الفرد وتصحيح ع قيدته الإيمانية بسلوك أمثل وذلك من خلال عدم التكبر أو الاستهانة بالخلق مهما ضعف شأنهم، فقد يكون أحدهم أشعث أغبر خير وأحب إلى الله –تعالى- من غيره، فالمسلم مهما صغر شأنه، إلا أن شأنه كبير عند الله - سبحانه وتعالى- لذلك فإن العتاب الذي عاتب به الله –تعالى- خير خلقه أجمعين النبي - صلى الله عليه وسلم - يشير إلى الاهتمام بالمؤمن أيًّا كان، وعلى أي حالة أو هيئة ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس:3].

وهكذا فإن طريق الهدى الذي رسمه الله -تعالى- يناسب فطرة الإنسان، ويربطه بخالقه، ويوفر له الأمن والطمأنينة في الح ياة الدنيوية [1]، ويحقق له التكامل والتوازن بين قواه الروحية والنفسية والجسمية، فيعيش سعيدًا في قرب من الله، وسلام مع الناس، ووئام مع النفس، ونجاح في الحياة، وبالتالي فإن النتيجة تكون بإذنه تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾

والفرد بهذا السلوك يؤثر في المجتمع تأثيرًا إيجابيًا من وحي سلامة عقيدته وقوة إيمانه ، فالرجوع لله تعالى له والصبر عند ابتلائه فيحمد الله ويشكره في السراء والضراء ويلجأ إلى الله - سبحانه وتعالى- بالدعاء أن يكشف ضره بيقين وإيمان، فالإيمان بالله يبعث في النفس طمأنينة وقوة، وراحة ورضاءً ويقينًا وتوكلاً فيشفي من الآثام ويواجه الصعاب بثقة؛ لأن الفرد المؤمن يحركه إيمانه وعقيدته بأن الله معه دائمًا.

فالفرد حينما يتعلق بالأسس الإيمانية بمعرفة صفات نفسه من الضعف والمحدودية وأن الحياة مشقة وتعب، وأن هدف الوجود هو الابتلاء والاختبار، فإن ذلك يؤدي إلى تكوين وقاية في نفس الإنسان ومن شأنها أن تخفف عنه الضيق والهم والألم، مما يؤدي بالنتيجة إلى حسن سلوكه وتصرفه حيال ما ألمَّ به من الضيق والهم.

فإذا صحح الفرد عقيدته، وعَمَّق إيمانه وصدق فيه، فإنه لا يخاف الأشياء التي يخاف منها بعض ذوي الإيمان الضعيف مثل : الموت، أو الفقر، أو المرض، ولا يخاف ولا يقلق من مصائب الدهر، بل إن هذه العقيدة تربي في نفسه القدرة على تحمُّل المصائب والصبر عليها[2].

إذًا فالإسلام يربي الأفراد على الاتصاف بالأخلاق الحميدة والبعد عن الصفات المذمومة، ك ما أن القيم والأخلاق تبني الحضارات، وطالما حث الإسلام على الاتصاف بالأخلاق الحميدة والصفات الفاضلة والقيم العليا، كما ذم الصفات السيئة ودعا إلى البعد عنها ومحاربتها.

وإذا جاهد الفرد نفسه على التخلق بالأخلاق التي دعا إليها الإسلام ، فقد زكت نفسه، وطهرت من الكبر، أو الاستخفاف بخلق الله تعالى بغية التقرب إلى ما هو أعلى

([1])محمد عودة وكمال إبراهيم مرسي، الصحة الن فسية في ضوء علم النفس والإسلام، ط 2، الكويت: دار القلم، 1406هـ، ص64.

([2])المرجع السابق، ص65 – 66.

شأنًا، ويكون عند الله كحبة الخردل، فكمال الإنسان في تقديره لغيره وحبه لكل الناس من فقراء وذوي حاجات. يقول الشاعر العباس بن مرداس[1]:

ترى الرجل الخفيف فتزدريه وفي أثوابه رجلٌ هصور

ويعجبك الطريـــر فتبتليـه فيخلف ظنك الرجل الطريـــر

فنظرة الفرد لغيره من خلال مظهره لا يمكن أن تجعله يصدر عليه حكمًا صحيحًا، فإما يكون بذلك قد ظلمه، وإما أن يكون قد وضعه في مكانةٍ لا يستحقها.

ولذلك لابد للفرد أن ينظر إلى الآخرين بجدية مهما صغر شأن هم، وأن يلبي رغباتهم إن استطاع إلى ذلك سبيلاً ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾، فإن كان طالب علم أو صاحب مسألة يجب الاستماع إليه بكل حواسه، فالحياة الدنيا أخذ وعطاء، وإذا استفاد السائل من المسؤول في إجابة أمر أشكل إليه فإن أجره عند الله - سبحانه وتعالى- وهو أجر من أنار بصيرة من ظلام الجهل، وهو خير من كسب وجيه في قومه وغني بماله ضعيف العقيدة.

وعلى المسلم أن يعوِّد نفسه على حب استقبال غيره هاشًا باشًا مستمعًا لحاجته لا يشغله عنها شاغل ولو عظيم ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾، وأن تكون نية الفرد في ذلك التربية الخلقية التي حث عليها الإسلام[2].

من أجل ذلك لابد أن ينظر الإنسان في نفسه نظرة واقعية، وأن يحصي صفاته السيئة، ويحاول أن يدرّب نفسه على التخلص منها، وينظر إلى الصفات الحسنة ويعمل جاهدًا على أن يتخلق بها حتى تغدو من صفاته التي لا تنفك عنه، لأن النفس إذا تركت دونما تهذيب وتربية وتأديب انحرفت عن الاستقامة، واندفعت إلى النقائص واستبد بها

([1])العباس بن مرداس السلمي أحد الشعراء المخضرمين، عاصر كلاً من الجاهلية والإسلام، ومن صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام، كان من المؤلفة قلوبهم، هو العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن يحيى بن الحارث بن بهثة بن سُليم ويكنى أبو الهيثم، يقال أن أمه هي الخنساء الشاعرة . كان العباس شاعرًا وفارساً ومن سادات قومه، حرم الخمر في الجاهلية وذمه، وروى الحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام وشارك في عدد من غزوات المسلمين فشارك في فتح مكة وغزوة حنين. أعلن إسلامه قبل فتح مكة بفترة قليلة وشارك في المعركة، كما شارك في عدد من غزوات المسلمين فكان يخرج للغزو ثم يعود مرة أخرى إلى ديار قومه، كان ينزل ببادية البصرة، وقيل قدم دمشق وابتنى بها داراً.ابن سعد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج4، ص15.

([2])عبد الرحمن العيسوي، علم الاجتماع الدعوي، الكويت: دار السلاسل، 1972م، ص227.

الكبرياء والنظر إلى غيره بعين الازدراء والاحتقار والحكم على الناس بمظاهرهم دون جواهرهم، مما يجعل القلق والاضطراب أحد الملازمات لمثل هذا النوع من البشر.

فالإسلام يربيِّ الفرد على أهمية الاستماع للمتحدث والتعـامل معه بالرفق واللين، وألا يلوي عنقه عنه لقوله تعالى : ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤﴾، لكي يرفع المشقة عن الضعفاء بالاستماع إليهم ومعرفة حاجاتهم.

كما أن هناك أهمية لشغل وقت الفراغ فيما يفيد، فلابد من توجيه الوقت فيما يفيد السامع، أو المسموع. فالفرد الذي ليس لديه ما يشغله يظل فردًا فارغًا بعد عمله، فذلك يؤدي به لأن يكون إنسانًا قلقًا يسوقه تفكيره إلى وسوسة الشيطان، لأنه ليس له هدف يعمل من أجله فيتعهده الشيطان، ويزيِّن له الكبائر حتى يقع فيها، أو أن هذا الفراغ يجعله فريسة لأصدقاء السوء، فينحرف سلوكه ويحيا حياة التعساء لا يذوق سكينة[1].

وفي القرآن الكريم أدب جم في التخاطب وصور سامية للحوار، فتخص يص جزء من اليوم لقراءة ورد من أوراد القرآن الكريم ، ومحاولة الالتزام بهذا والإمعان بالنظر فيما تحتويه الآيات، والإحساس بها، والتطبيق العملي لكل ما جاءت به عندئذ يستطيع الإنسان أن يكون قريبًا من الله تعالى، وفي ذلك تطهر النفس و تزكى بالإيمان لما في الإيمان م ن دلائل عظيمة لا يمكن للإنسان أن يستغني عنها، فالمستغني عن الإيمان والهداية مع الإقرار بحقيقتها ناقص الإيمان، ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ فالإيمان والهداية لا يتوافقان عند عظيم، أو فقير ،أو غني . فالإيمان مشرع الأبواب لكل من أراد علمًا فإن كان عالمًا ينفع الخلق بعلمه فلا يبخل عليهم مهما كانت مشغولياته إن طُلب منه ذلك.

والدروس التربوية في القرآن الكريم من الناحية الاجتماعية التي تهتم بدراسة الفرد هي دروس تربوية وتوجيهية يراد بها تربية الفرد وتنشئته على أسس من العقيدة والتوجيه السليم بمراعاة الآخرين وعدم سلبهم حقهم في العلم والاستزادة منه أو السعي إليه بغرض التطهر، وأن أهل الضر والفقر هم أحوج إلى المواساة والترفق بهم لإدخالهم في الإيمان بعد الإسلام؛ لتكون عقيدتهم به قوية وراسخة ، ولتحملهم على تحمل الشدائد

([1])عبد الرحمن العيسوي، علم الاجتماع الدعوي، مرجع سابق، ص228.

التي ألمت بهم، لأن في قوة الإ يمان رضا بالله تعالى ورضا بقضائه وقدره والتسليم بشرائعه وأحكامه[1].

يقول ابن الجوزي - رحمه الله- : اعتبرت على أن أكثر العلماء والزهاد يبطنون الكبر، فهذا ينظر في موضعه وارتفاع غيره عليه، وهذا لا يعود مريضًا فقيرًا يرى نفسه خيرًا منه، حتى إني رأيت جماعة يومًا يرون نفسهم أهم لتصدر الأمور دون غيرهم.

وروى ابن الجوزي –أيضًا- أن رجلاً من الرهبان رأى في المنام قائلاً يقول له: فلان الإسكاف خير منك ، فنزل من صومعته فجاء إليه فسأله عن عمله، فلم يذكر له كبير عمل، فقيل له في المنام عد إليه، وقل له : مم صفرة وجهك؟ فعاد فسأله ، فقال: ما رأيت مسلمًا إلا وظننته خيرًا مني، فقيل له: فبذاك ارتفع[2].

ويعتبر تحمل الفرد للمسؤولية وقدرته على العمل من أهم الأمور لراحة الفرد النفسية، ولذلك فإن الفرد غير المنتج يصاب بأمراض نفسية، ولكي يكون الفرد على قدر من الإيجابية في الاتجاه والعمل لابد أن يربي نفسه على عقيدة أن الله هو الذي ينشئ الخلق، وكل ما ينشأ من الأحداث وما يخلق من الأشياء وهو الذي يصرّف حياة الناس ويكيفها، ولكن قدر الله في الناس يتحقق من خلال إرادة الله وعملهم في ذات أنفسهم وما يحدثونه فيها من تغيرات، وأن ما يقدر على الإنسان يجمع بين المشيئة الإلهية والإرادة الإنسانية، فالإنسان ليس مسيَّرًا كما يعتقد بعض الناس، ولكنه مسيَّرٌ ومخيَّرٌ في آنٍ واحد، فهو مخيرٌ في إرادته وما يختاره لنفسه في هذه الحياة ولعلم الله تعالى بهذه الإرادة، فإن سيره مربوط بقضاء الله تعالى عليه.

ولذلك لابد للمسلم أن يربي نفسه على أهمية إحداث توبة مستمرة كل يوم، وأن يكثر من الندم على معاصيه وذنوبه، ويطلب من ربه المغفرة، ويعترف بخطيئته وذنبه، لأن ترك هذه الذنوب دون الاستغفار أو التوبة يؤدي بالفرد إلى الشعور بالذنب الذي يؤدي إلى الإحساس بالضيق، أما الاعتراف بالذنب وال توبة عنه فيحمي النفس من هذا الشعور، ويحفظ للنفس توازنها من الاضطراب، كما أن الندم يدعو إلى تغيير السلوك وتقويم الخطى كأن يدفع المسيء إلى أن يطلب العفو ممن أساء إليه، وذلك يزيل الضغائن التي حدثت نتيجة هذه الإساءة، مما يساعد على إصلاح العلاقات الاجتماعية،

([1])عويد بن عياد بن عايد المطرفي، آيات عتاب المصطفى في ضوء العصمة والاجتهاد، القاهرة : دار الفكر العربي، 1404هـ، ص283.

([2])أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، صيد الخاطر، بيروت: دار الفكر، 1408هـ، ص231–232.

ولذا يهتم الإسلام بممارسة الفرد لدوره الاجتماعي الإيجابي في المجتمع وإصلاح ذات البين ، ويعد ذلك من أهم ما يمكن أن يقدمه الفرد لغيره محافظة على لبنة المجتمع من الشتات، أو الحقد ، أو الكراهية وفي ذلك اهتمام بحقوق العباد فيما يحدثه الفرد من أثر إيجابي على نفسه أولاً ومجتمعه ثانيًا.

أما النفس التي تخرج من رق هواها إلى عز توحيدها وإنابتها إلى ربها ، فإذا نالها البغي قامت بالانتصار حمية ونصرة للعز الذي أعزها الله به ونالته منه وهو في الحقيقة حمية لربها. والفرد السليم القلب هو السليم من الآفات التي تعتري القلوب المريض ة من مرض الشهوة التي توجب اتباع الظن(□).

يقول ابن الجوزي : "إذا أبغضت شخصًا ، فلا تظهرن ذلك فإنك تنبهه على أخذ الحذر منك، وتدعوه إلى المبارزة، فيبالغ في حربك والاحتيال عليك، بل ينبغي أن تظهر له الجميل إن قدرت، وتبرّه ما استطعت فتنكسر معاداته بالحياء عن بغضك . فإن لم تطق فهجرٌ جميل، لا تبين فيه ما يؤذي، ومتى سمعت عنه كلمة سيئة فاجعل جوابها كلمة جميلة، فهي أقوى في كف لسانه، وكذلك جميع ما يخاف إظهاره، فلا تتكلمن به، فربما وقعت كلمة أسقطت بها عز السلطان، فنقلت إليه فكانت سبب هلاكه، أو عن صديق فكانت سبب عداوته، أو صرت رهينًا لمن سمعها خائفًا أن يظهرها ، فالحزم كتمان الحب والبغض، وكذا ينبغي أن تكتم سنك فإن كنت كبيرًا استهرموك، وإن كنت صغيرًا استحقروك"(□).

والفرد في حياته مقسم بين الاقتصاد والتقصير ، وبين الاحتياط والوسوسة، وبين إلهام الملك وإلقاء الشيطان، وبين التوكل والعجز، وقد ورد في سورة عبس قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس :8 10]. وفي ذلك عتاب رقيق هدفه النصح لا التشهير، فالمخاطب هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم- الذي يحبه الله –تعالى- وهو الذي وصفه بأنه صاحب الخلق العظيم . والفرق بين أن ينصح الفرد أخيه وأن يؤنبه فرق كبير، فالذي ينصح له يكون هذا النصح بصورة الرحمة والشفقة عليه والغيرة له، فهو إحسان محض يصدر عن رحمة ورقة،

(□)إيمان إبراهيم محمد العمريطي، مضامين تربوية مستنبطة من سورة الشرح وتطبيقاتها التربوية، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، 1423هـ، ص165.

(□)أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي الجوزي، صيد الخاطر، مرجع سابق، ص 287 – 288.

ويريد الناصح بها وجه الله –تعالى- ورضاه والإحسان إلى خلقه، فيتلطف في بذلها غاية التلطف، ويحتمل أذى المنصوح ولائمته، ويعامله معاملة الطبيب العالم المشفق على المريض، وهو يحتمل سوء خلقه وشراسته ونفوره، ويتلطف في وصول الدواء إليه بكل شيء ممكن ، فهذا هو شأن الناصح.

أما التأنيب الذي يقصد منه الإهانة والذم ، فهو شتيمة في صورة النصح فيقول الفرد للآخر: يا فاعل كذا وكذا ويا مستحقًا الذم والإهانة في صورة ناصح مشفق، وعلامة هذا أنه في رأي من يحبه ويحسن إليه على مثل عمل كهذا أو شر منه لم يعرض له، ولم يقل له شيئًا، ويطلب له وجوه الأعذار.

ولذلك فإن هناك فرقًا بين الناصح والمؤنب، فالله - سبحانه وتعالى- حينما أراد لفت انتباه النبي - صلى الله عليه وسلم- لعبد الله بن أم مكتوم - رضي الله عنه- أراد أن يكون له الناصح والمهذب، وهذا من تأديب الرب له فليس هو تأنيب، ولكنه يميل نحو العتاب الرقيق، ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس:3].

والفرد الراعي ينبغي أن يكون رؤوفًا عادلاً في حكمه إذا حكم ، وأن يهتم بأمور رعيته ينصحهم، ويستمع إليهم بكل صبر، ويشجعهم ويقف بجانب الضعفاء منهم، ويجادلهم بالتي هي أحسن ؛ حتى يقنعهم أو يقتنع بآرائهم، وهذه الصفات كانت متمثلة في شخصية رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وفي الخلفاء الراشدين [1]، يقول الله تعالى : ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:125].

وقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يستشير أصحابه في كل أمر لم يرد فيه تنزيل صريح من الله - سبحانه وتعالى- وكان يحترم رأي الفرد ورأي الجماعة ويلتزم به، وسار على دربه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم.

فللمجتمع الإسلامي ليس إلا الأفراد التي منها يتكوّن، وبها يُبنى ، وعليها يقوم ، وإذا كان كمال المجتمع بكمال أفراده فإنه من غير الممكن أن يسعد المجتمع مع شقاء الأفراد، أو يشقى مع سعادتهم، فإن ما يصلح الفرد يصلح المجتمع .

([1]) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، الروح، بيروت: دار الكتب العلمية، 1395هـ، ص257.

والإسلام لم يهمل سعادة الفرد، بل عمل على إيفائها في الدارين، ولا تكاد تخلو آية كريمة من جلب الخير للإنسان، أو دفع الشر عنه، أو ضرب في ذلك مثالاً لخير للاتباع، أو مثالاً لشر للامتناع، ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾، كما هذَّب الإسلام وسائل التهذيب الفكري، فلم يجعله ماديًّا فحسب ولا روحيًا فقط، وإنما كان مزيجًا بينهما. وبهذا التفكير يدعو القرآن الكريم الفرد لأن يصل إلى معرفة الآثار المستندة إلى مصدرها؛ لينعم بها ولا يكفر، وبذلك يصلح تفكير الفرد وبإصلاحه يصلح المجتمع كله[1].

([1])أحمد إبراهيم أبو سن، الإدارة في الإسلام، الرياض: دار الخريجي، 1996م، ص11–12.

المبحث الثاني: الآثار الاجتماعية المترتبة على الطاعة والإيمان

إن اهتمام التربية الإسلامية بتنمية الجانب الاجتماعي للإنسان المسلم لم يأتِ من فراغ، وإنما جاء كمدخل لإيمان هذا الفرد بفعل الطاعات؛ تنفيذًا لأوامر الله –تعالى- فعلاقات الإنسان مع والديه وزوجته وأولاده وجيرانه هي جزء من التصرفات الإيمانية في نظر المسلم، يراعي فيها مكمن الطاعة فيعمل به ويكون تأثيره بهذه الطاعة على نفسه وموجهًا ومسددًا لمجتمعه.

وقد اهتم الإسلام بالجانب الوجداني في الفرد المسلم من خلال التأثير الإيماني والعقائدي فيه، وهو مه م في تكوين شخصية الفرد، وجعل الإسلام ذلك مقومًا لشخصية المسلم في توجيهه نحو عمل الطاعة.

ومن أهم الآثار الإيمانية في توجيه الفرد في الإسلام تنمية الجانب النفسي، وذلك من خلال تنمية الوازع الديني عن طريق الترغيب والترهيب، قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ ﴾ .

إن فهم الشريعة الإسلامية من خلال العقيدة والإيمان تربي في المسلم التفكير الصحيح، فهي أثر عظيم من آثار تربية المجتمع للعقيدة وللعبادة وللعلا قات الاجتماعية وتنظيمها على أساس الإيمان، وهي بذلك ترسم للمسلم طريق الطاعات، وتقدم له في الوصول إليها قواعد ونظمًا سلوكية تجعل حياته مثالاً للدقة والنظام والأمانة والخلق الرفيع والمنهجية والوعي السليم والتفكير في كل ما يعمل، أو يريد عمله قبل الإقدام عليه، كما يربي هذا عند المؤمن عادة عظيمة ومفيدة وهي أن يفكر دائمًا قبل أن يعمل، وأن يكون عمله هادفًا ومتقنًا.

فاستنباط الأحكام جزء من التفكير المنطقي الإيماني الموجه لفعل الخيرات، وأهم ما يحدث من آثار اجتماعية من ذلك هو النظرة الشمولية لجميع جوانب الفضيلة في الدنيا وتلمُّسها وجعلها هدفًا للعمل بها بدءًا بالنفس والأسرة وانتهاءً بالمجتمع المحلي، ثم المجتمع الإنساني بأكمله، وهذا ما تقود إليه الأسس الإيمانية الهادفة إلى فعل الطاعات، وبذلك يكثر تداول هذه الأسس عن طريق أحكام الشريعة على المستوى الاجتماعي من خلال حلقات الوعظ وخطب المنابر وتأليف الكتب الداعية لعمل الخير والتوجيه نحو الفضيلة والعمل بكل ما يقرب العبد من ربه . وقد ربى الإسلام هذه

الفطرة الاجتماعية وجعلها أحد الآثار الهامة في تربية الفرد وتربية المجتمع الذي ليس هو إلا أفراد يصلح بصلاحهم ويفسد بفسادهم[1].

والشريعة الإسلامية- فوق ذلك كله- لاتصالها بالإيمان وعمل الطاعات تتولى أوامر تنفيذ الإصلاح الاجتماعي من خلال سلوك الدولة وعلاقاتها برعاياها؛ لاستتباب الأمن، والعناية بمعيشة المواطنين، وصحتهم، وتعليمهم، ومراقبة الغش، أو الاحتكار، وفي هذا الجو المعافى تكون الدول ة نفسها قدوة للأفراد، ويصبح تلقّي فعل الطاعات وموجهاته فاتحاً لكل أفراد المجتمع من المنزل والمدرسة والجامعة، ومن مجال العمل، ومن النداءات التي تتعالى من المآذن، ومن منابر المساجد، ومن الإذاعة، ومن التلفاز وكل شيء يحيط لا يقع البصر فيه إلا إلى فعل طاعة، أو ترك معصية. وهنا لا يطرق سمعه شيء ينكره الإسلام، أو يغضب الله - سبحانه وتعالى- ولا تحدِّثه نفسه بمعصية، مادامت هيبة الدولة المسلمة وهيبة المجتمع المسلم في ظل عمل الطاعات يردعانه عن ذلك[2].

لذلك فإن الإيمان بالله يستوجب فعل الطاعات، ولذلك فقد حرصت الشريعة الإسلامية أن تكون أول أولويات المسلم الحرص على فعل الطاعات كجزء هام وأثر بالغ الإيجابية في تربية المجتمع المسلم في إصلاح الدنيا والآخرة، لذلك فإن الله - سبحانه وتعالى- قد ذكر في كتابه الكريم الكثير من الآيات الدالة على فعل الخير ، قال تعالى : قوله تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤﴾.

ومعنى يدعون إلى الخير أي يرشدون إلى فعل الطاعات، ويرشدون إلى الإيمان، ويحضُّون على الإحسان، ويوجِّهون إلى البر، ويحثُّون على الشكر[3].

والإيمان بالله هو فعل الطاعة المنبثق من العقيدة ومن المؤثرات المهمة في سلوك الفرد والمجتمع على حد سواء، ويمكن توضيح ذلك من خلال ما يلي:

1) العقيدة في اتجاهها نحو فعل الطاعات تجعل المسلم يعي ويفكر فيما حوله من مصلحة فردية أو اجتماعية.

([1])محمد الغزالي، عقيدة المسلم ، مرجع سابق، ص115.

([2])عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، مرجع سابق، ص106 – 107.

([3])محمد منير مرسي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، القاهرة: مطبعة عيسى البابي، 1975م، ص162.

2) إخلاص النية لله –تعالى- والطاعة له يقود الفرد إلى الشعور بعظمته ؛ فينصاع لأوامره في فعل الطاعات فتنتشر الطاعة وفعلها في المجتمع، فيحيا المجتمع في سلام وأمان.

3) الإتيان بالطاعات على الشكل والأسلوب الذي جاء به القرآن الكريم وسنة محمد - صلى الله عليه وسلم - في وعي الإنسان لعبادته وتمشيًا مع الشريعة والتعاليم الشرعية بشكلها ومضمونها، ومادامت كل أعمال المسلم عبادات يقصد بها فعل الطاعة، فإن مثل هذا الوعي الفكري يجعل الإنسان منطقيًّا وواعيًا في كل أمور حياته، إنسانًا منهجيًّا، لا يقوم بعمل إلا إذا ضمن الطاعة فيه، وتجنب المعصية.

4) إن عمل الطاعة - من خلال ما شرع من عقيدة- تربي المسلم على الترابط الاجتماعي والتكامل والتكافل مع المسلمين في مجتمعه المحيط به، وفي المجتمعات الإسلامية كلها حيثما كانت ارتباطًا واعيًا ومنظمًا ومتينًا على عاطفة صادقة، وثقة بالنفس عظيمة، فهو ارتباط واعٍ وليس طاعة عميا ء للمجتمع وارتباط يحس فيه المسلم بأخيه المسلم يشد أزره وينصره، ويمنع عنه الظلم، فهو أخوه في العقيدة، يقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:10]، ويقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى »(□)، ويقول كذلك - صلى الله عليه وسلم- : «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا »(□)، فالصلاة وهي أحد أهم الطاعات تجمع المسلمين في صلاة الجماعة خمس مرات في اليوم والليلة، وأيام الجمع والأعياد، والحج وهو طاعة تهفو إليها نفوس المسلمين كل عام في مؤتمر إسلامي اجتماعي عام، والزكاة تكافل اجتماعي بين الغني والفقير يربطهم برباط المودة، فهي حق وواجب يؤمن به وليس منةً، والصوم مشاركة اجتماعية مادية ومعنوية وتمييز للخبيث والطيب من الناس، وهذه هي المطالب الإيمانية للطاعات العليا.

(□)رواه مسلم، ج8، برقم (6751)، ص20.

(□)رواه البخاري، ج5، برقم (6026)، ص1166.

5) والعبادات في مجملها طاعات تنطلق من نفس المؤمن، فلا خضوع إلا لله تعالى، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، لأن الله أكبر من كل كبير، وأعظم من كل عظيم، وبيده كل شيء، فوجبت له الطاعة الناتجة من الإيمان به حبًّا ورغبة. فكل هذه المعاني ا لسامية توجه الفرد لفعل الطاعات، وفي هذا الإطار يسلم المجتمع بهذه الطاعات، فباستقرار فعل الطاعة يستقر المجتمع وأمور الحياة الدنيا والآخرة، فلا ظلم، ولا استعباد، ولا ذل، ولا استعلاء، ولا تمايز بين الطبقات. فالكل تحت مظلة الله –تعالى- متساوون(□)، وعند قوله تع الى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحجرات:13]، ويقول النبي - صلى الله عليه وسلم - : «كلكم لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أبيض على أحمر إلا بالتقوى»(□).

6) والطاعة في الإيمان الموجَّه نحو عمل العبادات يقدم آثارًا اجتماعية مهمة تتمثل في التعاون، والمساواة، والعدل، كما أن العبادة تربي المسلم على المعاملات اللائقة بإعطاء كل ذي حقٍ حقه، وحقه في المجتمع هو العمل اللائق به وبمهاراته، وقدراته، وتقواه، وصلاحه . وكلها أعمال للخيرات والطاعات التي يوجهها الإيمان في نفس الفرد فيصلح بصلاحه المجتمع(□).

وتتتابع الآيات في تعجب ساخر من موقف الإنسان الذي يكفر بالله ، ويتجاهل ضرورة الإيمان به ، ويعرض عن هدايته ، ويستعلي على رسالته وعلى الخضوع لجلاله بالطاعة والعبادة، فتذكره الآيات بأصله ومنشئه ، وضعفه في بدايات وجوده ، وحاجته إلي رعاية ربه في مختلف مراحل نموه ، وفي جميع لحظات وجوده ؛ وقد أعطاه الله – تعالى- العديد من المواهب والقدرات، ويسر له سبل الحياة ، وطرق الهداية ، والإنسان غافل عن ذلك كل الغفلة، فلا يؤدي ما عليه لله- تعالى- من حقوق، ولا يقوم بدوره على الأرض كما رسمه له خالقه ، فما أكفره بنعم الله ، وما أجحده بأفضال خالقه عليه...!!

(□)محمد منير مرسي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، مرجع سابق، ص163.

(□)رواه الترمذي، ج5، برقم (3270)، ص363.

(□)نجم الدين الواعظ، الدين الحنيف، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، 1415هـ، ص75 – 67.

وتعبيرًا عن هذا الموقف الجاحد من الإنسان الكافر بنعم الله والمتنكر لأفضاله قال تعالى- : ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [سورة عبس: الآية 17]، ولفظ (قُتِلَ) هنا دعاءٌ على الكافر، ولعنٌ له ، وهو من الله - تعالى- غضبٌ عليه في الدنيا ، وعذابٌ ومهانةٌ واقعان به لا محالة في الآخرة ، فمهما يطل عمره في الدنيا فآخرته الموت والقبر تحت الأرض، والقبر إما أن يكون روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران.وأمره في بدء خلقه كأمره في يوم بعث.

وعلى ذلك فإن مصير الإنسان مرهون بيد خالقه من لحظة النطفة المتناهية الضآلة في الحجم إلي خروجه من بطن أمه طفلا ، ثم مروره بمختلف مراحل الحياة حتى الوفاة ، فالله - تعالى- هو الذي خلقه في صلب أبيه حين شاء ، وأخرجه إلى مسرح الحياة حين شاء، وحيث أراد ، وهو - سبحانه- الذي أنه ى حياته حين شاء ، وحيث أراد ، وأبقاه في قبره إلى أن يشاء ، فإذا جاءت الآخرة بعثه ربه من بين التراب كيف يشاء ، وأنشره ليوم الحساب والجزاء ، حيث فريق في الجنة ، وفريق في السعير ، وإنها لجنة أبدًا ، أو نار أبدًا.

وانطلاقاً من ذلك فعلى كل إنسان عاقل أن يستعد ليوم الحساب ، وأن يجد من أجل النجاة من أهواله ، فالحياة ليست للهو والعبث ، ولا يمكن أن تقضي سدي ، فللإنسان فيها رسالة ذات وجهين : عبادة الله - تعالى - بما أمر ، وحسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها ، وإقامة عدل الله فيها.

والناس في غالبيتهم الساحقة تغيب عنهم هذه الحقيقة ، فيهدرون أعمارهم وهم عن الحق لاهون حت ى ينتهي بهم الأجل ، فيفاج أون بلحظة الحساب ، وما أشقها من لحظة..!!

لذلك قال ربنا - تبارك وتعالى - : ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [سور ة عبس : الآية 17]، والله - تعالى- صاغ هذه الآية الكريمة بصيغة الاستفهام الاستنكاري التوبيخي، التقريعي للإنسان الكافر، بمعني ما الذي حمله علي الكفر بالله؟ ، أو ما أشد كفره بالله مع كثرة إحسان الله - تعالى- إليه ، والصيغة في الحالين فيها التعجب من شدة كفره، وتأكيد استحقاقه العقاب بأشد ألوان العذاب...!!

ولذلك أتبعت هذه الآيات بقول الحق - تبارك وتعالى - :﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة عبس : الآية 23]، ولفظة (كلا) هنا بمعنى(حقًّا) إنه لم يفعل ما أمره به الله - تعالى - فاستحق ا لعذاب الذي حذره - سبحانه - منه عن طريق الأنبياء والمرسلين.

ومما يستوجب على الإنسان أن يكون عبدًا مطيعًا لربه ممتثلاً لأوامره ما أفاء الله عليه من الدلائل المعجزة و الآيات الله الكبرى في خلقه ، ألا وهي إعداد الطعام المناسب، والكافي، واللازم لكل حي ع لي الأرض، ومن ذلك الإنسان وأنعامه ، ولذلك تلفت الآيات نظر الإنسان الجاحد إلى هذه الحقيقة وذلك بقول الحق - تبارك وتعالى - :﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [**سورة عبس: الآيات 24 - 32**]

والأمر بالنظر هنا ليس المقصود به مجرد النظر للإبصار ، ولكنه النظر للاعتبار، وذلك لأن الطعام ضرورة من ضرورات الحياة ، ولازمة من لوازمها ، ولا يملك إنسان الادعاء بأن له يدً ا في دورة الماء حول الأرض ، والتي لا ينشئها ، ولا يحركها إلا الله - تعالى- بعلمه وحكمته وقدرته، فعن زيد بن خالد الجهني أنه قال : صلى لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما انصرف النبي - صلى الله عليه وسلم - أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ! قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال: بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب(□).

ولا يستطيع عاقل كذلك الادعاء بأن له يدً ا في إخراج نوع واحد من أنواع نبات الأرض ، وخاتمة عمر الإنسان في هذه الحياة الدنيا ، وخ اتمة تمتعه بمباهجها وزخرفها هي الموت ، والقبر ، ثم البعث ، والعرض الأكبر أمام الله - تعالى - للحساب ، ثم الخلود في الحياة القادمة إما في الجنة أبدً ا وإما في النار أبدً ا ، وفي ذلك تقول الآيات في

(□)علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،كتاب الأدب ، رقم الحديث13271.

ختام سورة عبس : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة عبس : الآيات 33 - 42]. والصاخة هي النفخة الثانية في الصور، وسميت بذلك لأنها تصخ الآذان من شدتها وقد استخدمت اللفظة كاسم من أسماء القيامة ، التي من تعاظم أهوالها تجعل الإنسان يفر من أقرب الناس إليه ، وألصقهم به..!!

وبعد الحساب ينقسم الناس إ لى أصحاب الوجوه المؤمنة وهي مسفرة ، مشرقة ، مضيئة، مستبشرة بتكريم الله - تعالى- لها في الجنة، وقد بشرت بها، ووجوه أخر ى للكفرة الفجرة ، الذين كفروا بالله وبرسالته الخاتمة ، وخرجوا علي حدوده ، وانتهكوا حرماته ، وقد علاها الندم والحزن ، وارتسمت علي قسماتها بوادر الحسرة واليأس، وغشيتها ملامح الذل والعار، وقد علمت أن مصيرها إلي النار...!!

وعلى هذه الوجوه المؤمنة ، وتلك الوجوه الكافرة ترتسم مصائر العباد في الآخرة، وبذلك وضع الله - تعالى- لنا في مطلع سورة عبس معياراً ا من معايير الحق ، من التزم به فاز في الدنيا والآخرة ، ومن ضيعه شقي في الدنيا والآخرة ، ووضع لنا في خاتمة هذه السورة المباركة صورة من صور الثواب والعقاب في الآخرة .

الفصل الخـــامـــس

المضامين السلوكية والأخلاقية المستنبطة من سورة عبس

- المبحـــث الأول: حمل النفس على الطهر والطاعة.
- المبحث الثاني : الأثر الخلقي التربوي المترتب على عتاب الله - سبحانه وتعالى- للنبي - صلى الله عليه وسلم- في قصة ابن أم مكتوم - رضي الله عنه.

مقدمة

إن حمل النفس على الطهر والطاعة يعد من الأمور الجليلة التي يسعى الإنسان المؤمن إليها والامتثال بها، وتطبيقها على أرض الواقع لتؤدي هذه المثل والقيم إلى خلق مجتمع مسلم فاضل، يتخلّق بخلق القرآن الكريم، ويستفيد في حياته من هذه الآداب حتى يكسب رضا الله –تعالى- ورضا نفسه ومجتمعه؛ فيكون عمله وتصرفه من باب الخيرات والنعم في حياته، والعصمة بحبل الله المتين وحسن المآب إليه - تعالى- مادام مؤمنًا بخير الكلام في توجيه سلوكه.

فالله – سبحانه وتعالى- يبين حقيقة هذه الدعوة وكرامتها وعظمتها ورفعتها ، واستغناءها عن كل أحد، وعن كل سند، وعنايتها فقط بمن يريدها لذاتها، كائناً ما كان وضعه ووزنه في موازين الدنيا : ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾، فهي ك ريمة في كل اعتبار كريمة في صحفها ، المرفوعة المطهرة الموكل بها السفراء من الملأ الأعلى ينقلونها إلى المختارين في الأرض ليبلغوها ، وهم كذلك كرام بررة . . فهي كريمة طاهرة في كل ما يتعلق بها ، وما يمسها من قريب أو من بعيد ، وهي عزيزة لا يُتصدى بها للمعرضين الذين يظهرون الاستغناء عنها؛ فهي فقط لمن يعرف كرامتها ويطلب التطهر بها.

هذا هو الميزان الذي توزن به القيم والاعتبارات، ويقدر به الناس والأوضاع .. وهذه هي الكلمة التي ينتهي إليها كل قول، وكل حكم ، وكل فصل .وأين هذا؟ ومتى؟ في مكة، والدعوة مطاردة ، والمسلمون قلة . والتصدي للكبراء لا ينبعث من مصلحة ذاتية؛ والانشغال عن الأعمى الفقير لا ينبعث من اعتبار شخصي ، إنما هي الدعوة أولاً وأخيرًا . ولكن الدعوة إنما هي هذا الميزان ، وإنما هي هذه القيم ، وقد جاءت لتقرر هذا الميزان وهذه القيم في حياة البشر . فهي لا تعز ولا تقوى ولا تنصر إلا بإقرار هذا الميزان وهذه القيم. وهذا ما سوف يستعرضه الباحث من خلال هذا الفصل.

المبحث الأول :

حمل النفس على الطهر والطاعة

فالقرآن عصمة لكل مسلم، وبه نجاحه وفلاحه، وقيام دينه ودنياه، وسعادته في أولاه وأخراه، بتثبيت التوحيد وسائر أركان الإسلام في قلبه، وتزكية نفسه بأخلاق القرآن، وإعداده فردًا صالحًا في أمته. فكل إنسان مفتقر إلى هدايته، وتطهير النفس به من أرجاس الشرك وأدران المعاصي، وتعاهد الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، وباليوم الآخر، والقدر خيره وشره. وذلك بتلاوته، والعمل به، والاتعاظ بمواعظه.

فأول ما يدور في محور هذه السورة هو التأكيد حول شؤون تتعلق بالعقيدة وأمر الرسالة ، يقول علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- عن تطهير النفس وترويضها وكبح جماحها عن الشهوات: "إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم، فإن عاجلها ذميم وآجلها وخيم، فإن لم ترها تنقاد بالتحذير والترهيب فسوقها بالتأميل والإرغاب، فإن الرغبة والرهبة إذا اجتمعتا على النفس ذُلت لهما وانقادت"(□).

معنى السلوك والخلق:

السلوك هو المضي في الطريق والسير فيه؛ لقوله - صلى الله عليه وسلم- «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سَهَّل الله له طريقًا إلى الجنة»(□).

والسلوك هو الأعمال الظاهرة الصادرة عن إرادة؛ بمعنى أعمال الإنسان الإرادية المتجهة نحو غاية م عينة مقصودة تهدف إلى تحقيق مطالب جسدية، أو نفسية، أو روحية، أو فكرية سواء كان ذلك لصالح الفرد، أو لصالح المجتمع(□).

والسلوك نوعان:

الأول خلقي: وهو ما كان نابعًا عن صفة نفسية قابلة للمدح، أو الذم كإعطاء الفقير والإنفاق في وجوه الخير حال كونه نابعًا عن جود و كرم، والإقدام دفاعًا عن الحق وإزهاقًا للباطل حال كونه نابعًا عن شجاعة، وهذه الصفات الحميدة تعد من فضائل السلوك المبني على الأخلاق.

والنوع الثاني: سلوك إرادي غير خلقي، ومنه:

(□)أنس أحمد كرزون، عطر المجالس:وقفات تربوية، جدة: دار نور المكتبات، 2001م، ص96.

(□)رواه مسلم، ج4، برقم (2699)، ص2074.

(□)عبد الله بن سيف الأزدي، فصول من الأخلاق الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، جدة : دار الأندلس الخضراء، 1420هـ، ص63.

1 ما كان استجابة لغريزة جسدية كالأكل المباح عن جوع، والشرب المباح عن ظمأ، أو استجابة لغريزة نفسية كقراءة قصة، أو إرضاء لغريزة حب الاستطلاع، أو جمع مال بطرق مشروعة.

2 ما كان استجابة لترجيح فكري، كأن يرى طالب أن الجلوس في المقاعد الأمامية في المحاضرة أدعى إلى الفهم والوعي.

3 ما كان من قبيل الآداب الشخصية والاجتماعية كآداب الطعام والشراب واللباس والنظافة والنظام.

ومن الآداب في السلوك الشخصي اختلاف الأذواق فيما يناسب الذوق العام دون شذوذ ولإرضاء الأذواق المختلفة.

والسلوك –إذًا- إما أن يكون سلوكًا خلقيًّا، وإما أن يكون سلوكًا لا علاقة له بالأخلاق، فالسلوك غير الخلقي يكون استجابة لغرائز شريطة أن يكون على قدر الحاجة بلا زيادة أو نقص. فإذا زاد عن الحاجة أو نقص تحول السلوك إلى خلق ذميم، لأنه نبع من صفة نفسية مذمومة هي الشره، أما عند النقص فيكون محمودًا إذا كان نابعًا عن قناعة مع نية صالحة، لأنها فضيلة من الفضائل . وهكذا فمقياس السلوك الخلقي لابد أن يكون ن ابعًا عن صفة نفسية حميدة أو ذميمة ومقترنًا بنية صالحة فيُحمد، أو سيئة فيُذم.

والسلوك الأخلاقي قد يكون داخليًّا، وقد يكون خارجيًّا، فمن الأول مثل **أخلاق الفكر**: الصبر على التفكير والتدبير وتحري الحقيقة بإنصاف وتجرد(□).

أما الغاية بالالتزام بالسلوك الأخلاقي يتجلى في الآيات القرآنية : ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:272].

وقوله تعالى : ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ [الليل:17- 21].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه- أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال : «إن العبد يتكلم الكلمة من رضوان الله، لا يلقي لها بالاً، يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يلقي بها بالاً يهوي بها في جهنم»(□).

(□)عبد الله بن سيف الأزدي، فصول من الأخلاق الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، مرجع سابق، ص66 – 67.

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقول في سفره: «اللهم إني أسألك في سفري هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى»(□).

تعريف الأخـــلاق:

الأخلاق لغة جمع خلق، والخلق بسكون اللام وضمها السجية . وفلان يتخلق بغير خلقه، أي يتكلفه(□).

والخلق حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال من خير أو شر من غير حاجة إلى فكر وروية، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4].

والخُلْق والخُلُق: السجية وهو الدين والطبع. فعن عائشة - رضي الله عنها- أنها سئلت عن خلقه - صلى الله عليه وسلم- ، فقالت: "كان خلقه القرآن "(□) أي: كان متمسكًا به وبآدابه وأوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن.

والخَلْقُ والخُلْق في الأصل واحد؛ كالشَّرب والشُّرب والصَّرمْ والصُّرم، ولكن خص الخلق بالهيئات والأشكال المدركة بالبصر. وخص الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة. والخلاق ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخلقه(□).

وهكذا يتبين لنا أن الخلق هو الطبع والسجية، وهذا يدل على أنه من الصفات الطبيعية للإنسان على هيئة صحيحة مستقيمة متناسقة.

معنى الخلق عند العلماء المسلمين:

يتسم مصطلح الخلق بالسعة والشمول بحيث تعددت عبارات علماء الإسلام في تحديده، فمن السلف من يعتبر الدين هو الأخلاق الكريمة، والخلق قد يكون غريزة وقد يكون تخلقًا، ولكن استعماله وفقًا للشرع يحتاج إلى اكتساب علم ونية(□).

وقد قسم ابن مسكويه الأخلاق إلى قسمين(□):

(□)رواه البخاري، ج5، برقم (6113)، ص2227.

(□)رواه مسلم، ج2، برقم (1342)، ص978.

(□)محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مادة خلق، بيروت: دار الكتاب العربي، 1967م، ص432.

(□)رواه أحمد، ج6، برقم (24645)، ص91.

(□)الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي، 1961م، ص158.

(□)فاطمة عمر نصيف، أخلاقنا في الميزان، جدة: دار المحمدي، 1422هـ، ص13 – 14.

(□)أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي المعروف "بابن مسكويه "، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة، (د.ت)، ص55.

منها ما يكون طبيعيًّا من أصل المزاج، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء، نحو غضب، ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتدريب، وربما يكون مبدؤه الفكر، ثم يستمر عليه أولاً فأول حتى يصير ملكة وخلقًا.

ويقول –أيضًا- : إن صناعة الأخلاق هي أفضل الصناعات كلها، لأنها تعنى بتجويد أفعا ل الإنسان بما هو إنسان، فيتبين جوهره فتصدر أفعاله حسب هذا الجوهر (□)، ولذلك فإن الأخلاق صفة مستقرة في النفس وهي فطرية، أما الأخلاق المكتسبة فهي التخلق، والأولى تصدر عن السجايا والطبائع الثابتة في النفس، أما الثانية فتصدر عن الغرائز والدوافع النفسية التي تصد ر عن النفس استجابة لحاجة الجسم، وهذا ما يميزها عن الفطرية في السلوك، فالصفة الخُلُقية المستقرة في النفس إذا كانت حميدة كانت آثارها حميدة، وإن كانت ذميمة كانت آثارها ذميمة(□).

ومفهوم الأخلاق في التصور الإسلامي يقدم على مصادر المعرفة الإسلامية، وهي : القرآن، والسنة، والمصادر التشريعية الأخرى، ويتضح منها اتساع دائرة الأخلاق وشمولها، ويبرز هذا الشمول في ميدان الأخلاق والفضائل، فالأخلاق الإسلامية ليست هي التي تعرف عند بعض الناس بالأخلاق الدينية التي تمثل في أداء الشعائر التعبدية واجتناب النواهي، ولكنها الأخلاق ال تي تشمل الحياة بكل جوانبها، وكافة مجالاتها، والأخلاق في الإسلام لم تدع جانبًا من جوانب الحياة الإنسانية روحية، أو جسمية، أو دينية، أو دنيوية عقلية، أو عاطفية، فردية، أو اجتماعية إلا رسمت المنهج الأمثل للسلوك الرفيع(□).

وقد تنوّع ت الأغراض في سورة (عبس)، إلا أنها تلتقي حول قاعدة واحدة هي انفتاح القلب الإنساني على الله في سلوكه العملي من حيث تحريك القيم الروحية والمعاني الأخلاقية في حياته، ليكون ميزان التقييم لديه هو القرب أو البعد من الله سبحانه وتعالى.

وفي هذا المجال، كان الحديث في بداية السورة، عن حادثةٍ، قد يكون النبي هو المخاطب بها لعلاقتها به، وقد يكون غيره، تتصدّى لمسألة الانفتاح على بعض المترفين من كفار قريش، والانغلاق عن بعض المستضعفين من مؤمني الإسلام . فكان التوجيه

(□)الوجع السابق، ص56.

(□)فاطمة عمر نصيف، أخلاقنا في الميزان ، مرجع سابق، ص13 – 14.

(□)المرجع السابق، ص16.

الإلهي يؤكد على سلبية هذا الأداء، بميزان القيمة الرسالية ، قال تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾.

وفي ضوء ذلك، نلاحظ أن السورة تعمل على إبقاء الإنسان مشدوداً ا إلى الوعي الفكري ـ الروحي ـ الذي يتعمق في وعيه لذاته في عمله، ليكون عمله منسجماً ا مع التزامه وفي ما حوله، مما يتعلق بوجوده وحركة الوجود من حوله، في المفردات التي تحفظ له حياته، ليبقى مشدوداً ا إلى الله، في إحساسه بارتباطه به في كل شيء، فلا يغفل عنه في كل المواقع، ولا يفكر إلاّ به في خطه العملي . ثم يواجه الموقف في الخط المستقيم بالإشراف على الموقف في الآخرة، ليوازن النتائج على ه ذا الأساس، باعتبار ارتباط النتائج بالمقدمات.

فرسول الله ظنّ أن الغني سيكون مؤثراً في الدعوة إن أسلم أكثر من الأعمى الفقير وأنه سيفيد الإسلام أكثر فجاء الرد من الله –تعالى- بأن الدعوة لا بد وأن تكون شاملة للغني والفقير على حد سواء وهذه دعوة عامة للناس جميعاً ا بعدم الاهتمام بالمظاهر المادية للناس، فالله –تعالى- أعلم بالسرائر وأعلم من ينصر دينه، ونزلت الآية تعاتب الرسول صلى الله عليه وسلم عتاباً رقيقاً حتى أن الله تعالى لم يوجه الخطاب مباشرة للرسول تلطفاً به وإنما جاء بصيغة المجهول ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾. ثم بعدها جاء ضمير المخاطب ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾.

وهذا من حب الله تعالى لرسوله ولطفه به لأنه يعلم أنه لم يعرض عن الأعمى تكبرًا وإنما حرصه الشديد على إسلام كبراء قريش.

ولكنّ الله يوجه المسألة إلى ما هو أعمق في قضية هي من الأهمية بمكان وهي تعد في مصلحة الرسالة، باعتبار أن هذا الأعمى قد يتحول إلى داعيةٍ إسلاميٍ كبيرٍ، ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾. وما يمكن أن يستلهمه من آيات القرآن التي يسمعها، مما يُغْني له روحه، فتصفو أفكاره، وترقّ مشاعره، وتتسع آفاقه، وتتعمق معرفته بربه، فيؤدي ذلك إلى عمقٍ في الفكر، وسعةٍ في الأفق، وغنًى في الشخصية، وحيويةٍ في الحركة، مما يؤثّر تأثيرًا إيجابياً على حركته في الدعوة، فيحصل من ذلك على خيرٍ كبير . ﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤﴾. في ما يمكن أن يعيشه من غفلةٍ ع ن بعض الحقائق، أو جهلٍ ببعض القضايا، فتأتي الكلمات القرآنية لتقشع عنه سحائب

الغفلة، وتأتي الكلمات الرسولية لترفع عنه حجاب الجهل، فإذا حدث له ذلك، أمكن لهذا التطور في شخصيته، أن يحقق النفع للخط الإسلامي المستقيم على مستوى الالتزام والدعوة والحركة.

الفرق بين السلوك والخلق:

الخلق في حقيقته حالة باطنية مستقرة في النفس، وصفة تقوم بها، فطابعها طابع محدد، يميل بها إما إلى فعل الخير، وإما إلى فعل الشر، إلا أن أفعال الإنسان الظاهرة تختلف كل الاختلاف عن هذا الأمر المستقر في النفس الإنسانية . فالخلق في ماهيته ومفهومه شيء والفعل الذي يصدر عنه ويكون مظهرًا له شيء آخر [1]. فالعلاقة بين السلوك والخلق هي علاقة الدال بالمدلول، أو علاقة الأثر بالمؤثر.

تطهير النفس:

المعنى اللغوي للتطهير : طهر يطهر، ويجعل الشيء طاهرًا، والتطهير والتطهر هو إزالة النجاسة من الجسم أو الشيء، وأطهره زكَّاه، وزكَّاه المال يعني تطهير المال، قال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:4].

وذكر جمهور المفسِّرين أن المقصود بالثياب هو القلب، والمراد بالطهارة إصلاح الأخلاق، وكذلك قوله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:41].

وقوله تعالى : ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس :3]، والتزكِّي التطهُّر من الذنوب والآثام بالعمل الصالح، بسبب ما يتعلمه ابن أم مكتوم - رضي الله عنه- من الرسول - صلى الله عليه وسلم- أو يتذكر، أو يتعظ فتنفعه الموعظة ، وجاء العتاب صراحة من الله –تعالى- للرسول - صلى الله عليه وسلم - بدعوى أنه قد أتى إليه مسرعًا للهداية والتطهر، والرسول يتشاغل عنه، حتى وإن كان الشاغل من الأغنياء وذوي الحسب والنسب فهم في آخر الأمر جاهليون معرضون عن الإسلام، وبذلك فإنهم نجس، فما بال الفقير الذي يريد أن يتطهر وهو طاهر أصلاً بدخوله في الإسلام[2].

([1])عبد الله بن سيف الأزدي، فصول من الأخلاق الإسلامية، مرجع سابق، ص71.

([2])وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط، ج3، مرجع سابق، ص2822.

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡ﴾ [المائدة :41]، وهذا يدل على أن العبد إذا اعتاد سماع الباطل، وهذه (هي الحالة التي جعلت الرسول ينشغل عن ابن أم مكتوم - رضي الله عنه- لمخاطبتهم) فإنه يكسب ذلك تحريفًا للحق عن موضعه ، فإذا قيل الباطل أحبه ورضاه، فإذا جاء الحق بخلافه رده وكذبه وإلا حرفه، وهذه أيضًا حالة من حالات الكفار.

إذن لم يكن عتاب الله –تعالى- في إعراض الرسول - صلى الله عليه وسلم- حقيقة عابرة وإنما ثابتة أراد أن يعلم بها رسوله وهو الأعلم ببواطن الأمور . فالذين شغلوه عن إجابة حاجة ابن أم مكتوم - رضي الله عنه- هم في الأصل لا يودون التطهر، فابن أم مكتوم - رضي الله عنه- أولى بأن يتزكّى ويتطهّر، وله الحق على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- أن يعلِّمه مما عَلَّمه الله(□).

فالطهارة التي دلت عليها الآية ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس :3]، اهتم بها الله - سبحانه وتعالى- بالدرجة التي عاتب الرسول - صلى الله عليه وسلم- فيها وهو أحب خلقه إليه، لأن قلبه طاهر متخلص من الأدران، ولكنه يطلب الاستزادة في الطهارة، فهو لا يشبع من القرآن، ولا يتغذى ويتطهر إلا بحقائقه والاستزادة في الطهارة ، فأراد أن يطلبها من الرسول - صلى الله عليه وسلم.

وهكذا يتبين لنا أن المعنى المقصود بالتزكّي في الآية يدل دلالة عميقة على أهمية الطهر والتطهر، وفي ذلك طهارة القلب التي أشارت إليها الآية بمعنى الثياب في ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ [المدثر:4]. ولذلك فإن الله - سبحانه وتعالى- قد حرم الجنة على من في قلبه نجاسة وخبث، ولا يدخلها إلا بعد تطيبه وطهره ، ولهذا يقال لهم : ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر :73]، وهذا معنى أهمية عتابه - سبحانه وتعالى- للرسول - صلى الله عليه وسلم - في حرمان ابن أم مكتوم - رضي الله عنه- من التطهر، لأن مستوى التطهُّر يقود إلى الجنة بالتخليد فيها، وبمعنى "طبتم" أي تطهَّرتم أي تزكَّيتم وأصبحتم طاهرين ، وتستحقون دخول الجنة، ولهؤلاء كذلك البشارة عند الموت دون

(□)المرجع السابق، ص2822.

غيرهم كما قال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۖ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل:32].

غير أن الطاعة حصن الله –تعالى- الذي أودعه في البشر من دخله كان من الآمنين، ولا تتم إلا بمخافة الله –تعالى- وذكرّه بالصدقة، وإرشاد الجاهل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووقاية الطاعة للعبد في أنها بمنزلة القوة ترد المرض وتقاومه ، فإن سقطت غلب على العبد المرض فكان الهلاك، وهي الطريق إلى الكمال الإنساني بمعرفة الحق من الباطل وإيثاره عليه وما تفاوتت منازل الخلق في الدنيا إلا بفعل الطاعات(1).

ويرى الباحث أن المقصود بقوله تعالى : ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ ، أن الخطاب الموجه لمعلم البشرية – صلى الله عليه وسلم – أنك لن تتحمل أيّة مسؤوليةٍ من خلال ابتعاده عن الخط ا لمستقيم، وتمرّده على تطلعات الروح إلى آفاق الطهارة وسماوات الصفاء، لأنك لم تقصر في الإبلاغ، ولم تدّخر أيّ جهدٍ في ما حرّكته من الوسائل التي تملكها، وفي ما استخدمته من الأساليب التي تحرّكها في اتجاه التزكية للناس جميعاً.

وقد سمعوا ذلك كله، وأصرّوا على الاس تكبار والتمرّد، لا من موقع شبهةٍ، ولكن من موقع القرار الذي أصدروه مع جماعتهم في عدم الاستجابة إليك . ولم يكن قدومهم إليك من أجل الهداية، بل كان ذلك ـ ربّما ـ من أجل الضغط عليك بطريقتهم الخاصة، لتترك الرسالة، أو لتدخل معهم في حسابات التسويات، لتقدم التنازلات ضد مصلحة الرسالة . وهذا ما يريد الله أن يعرّفك إيّاه من خلال ما يعلمه من خفايا هذا الإنسان وجماعته، وما قد تعرفه من خلال تجربتك الحسية في المستقبل(2).

---

(1)أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، ، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، تحقيق حسين عبد المجيد، القاهرة: دار اليقين للنشر، 1417هـ، ص125 – 128.

(2)أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ،مجمع البيان في تفسير القرآن، ط1، دار البيان، دار المعرفة، بيروت. لبنان،، 1406هـ/.1986م، ج:10، ص 663.

الأخ ـلاق العظيمة طه ـ ارة للنفـ س "الرسول - صلى اللّه عليه وسلم - كقدوة أخلاقية":

لقد دعا الإسلام إلى الأخ لاق الحسنة وتزكية النفوس وتطهيرها حتى تكون كريمة الأخلاق نبيلة السجايا، والمتأمل في أحكام الإسلام يجد أنها تدور مع الأخلاق حيث دارت، فلا ترى حكمًا شرعيًا إلا ويتفق معها، فقد أثنى اللّه- تعالى - على عبده وجعله وريثه في الأرض، وعظم من شأنه، وكان ثناء اللّه -تعالى- على رسوله الكريم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4]، أي على دين عظيم هو أدب القرآن، فلم يذكر خلق إلا وكان للنبي - صلى اللّه عليه وسلم - الحظ الأوفر، وسمي خلقًا عظيمًا لاجتماع مكارم الأخلاق فيه فصار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا وسجية له وخلقًا تطبّعه(□).

وقد ورد في الحديث عن سعد بن هشام قال :"سألت عائشة - رضي اللّه عنها- عن خلق الرسول - صلى اللّه عليه وسلم- فقالت : كان خلقه القرآن "(□)، فكان كل أمر في القرآن وكل نهي عن معصية فيه مترجم ترجمة واقعية في حياته صلى اللّه عليه وسلم.

وقد أوضح سيد قطب – رحمه اللّه – مدلول الخلق العظيم في الآية قائلاً : "هو ما عند اللّه تعالى، مما يبلغ إدراك مداه أحد من العالمين، وأنها ليست فضائل مفردة إنما هي منهج متكامل تتعاون فيه التربية التهذيبية مع الشرائع التنظيمية، وقد تمثلت هذه الأخلاقية الإسلامية بكمالها وجمالها وتوازنها و ثبوتها في الرسول الكريم – صلوات اللّه وسلامه عليه(□).

وقد عبر عن ذلك خادمه أنس - رضي اللّه عنه- قال: "كان رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم- من أحسن الناس خلقًا"(□).

وقد بلغ - عليه الصلاة والسلام- القمة في الكمال الإنساني وهو الذي ارتقى بسلوكه وأخلاقه إلى هذا الأف ق العالي من العظمة، فاستحق هذه الصفة التي لها

(□)عبد الله بن سيف الأزدي، فصول من الأخلاق الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، مرجع سابق، ص24.

(□)رواه أحمد، ج6، برقم (24645)، ص91.

(□)سيد قطب، في ظلال القرآن، ج7، مرجع سابق، ص282.

(□)رواه الترمذي، ج4، برقم (2015)، 368.

دلالتها في تمجيد العنصر الأخلاقي في ميزان الله –تعالى- وأصالة هذا العنصر في الحقيقة الإسلامية.

وتزخر كتب السيرة والتفسير والحديث بذكر أخلاقه - صلى الله عليه وسلم- فلم يذكر خُلُق محمود إلا وكان للنبي - صلى الله عليه وسلم - منه الحظ الأوفر(□).

ومن صفات النبي - صلى الله عليه وسلم – أنه كان رحمة للعالمين، يقول تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء :107]. فعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: "كان محمد - صلى الله عليه وسلم- رحمة لجميع الناس، فم ن آمن به وصدَّق سعد"، فهو الرحمة المهداة للبشرية، فالرسالة المحمدية كانت رحمة للبشرية، وهي من مستلزمات النبوة ، لأن الدعوة لله - سبحانه وتعالى- تحتاج إلى لين ورأفة ، قال تعالى : ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ﴾ [آل عمران:159].

وقد استدلت أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – بما كان عليه النبي - صلى الله عليه وسلم- من مكارم الأخلاق على صدق رسالته، عندما جاءها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد نزول الوحي أول مرة يخبرها الخبر وهو خائف يقو ل لها : « لقد خشيت على نفسي »(□) ، فقالت : "كلا ! لا يخزيك الله أبدًا ، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسي المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الدهر".

وكان من حرص النبي - صلى الله عليه وسلم - على مكارم الأخلاق دعاؤه وطلبه وابتهاله لربه قائلاً: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت»(□).

وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يستعيذ بالله من منكرات الأخلاق فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء»(□).

(□)فاطمة عمر نصيف، أخلاقنا في الميزان، مرجع سابق، ص21 – 22.

(□)رواه البخاري، ج1، برقم (3)، ص4.

(□)رواه مسلم، ج2، برقم (1848)، ص185.

(□)رواه الترمذي، ج5، برقم (3519)، ص575.

وهكذا فقد كان الرسول - صلى الله عليه وسلم- مبعوثًا ليتمم مكارم الأخلاق ومعلمًا لمكارم الأخلاق، فكان القدوة الحسنة، والأسوة العظمى، اجتمع فيه ما تفرق في غيره من مكارم الأخلاق، فكان مجمع العظما ت الأخلاقية مدح الله – تعالى- له ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4]. فكل أقواله - صلى الله عليه وسلم - وإرشاداته وسيرته بالأخلاق(□).

إن اهتمام القرآن الكريم بالجانب الأخلاقي يبدو واضحًا حيث قدمه على الجانب التعبدي في أكثر من موضع من الآيات الكريمة دلالة على أهميته، فالناس كل الناس عبيد الله وحده لا شريك له، والجنسية الموحدة للناس هي جنسية العقيدة تلك التي يتساوى تحت رايتها براية لا إله إلا الله جميع الناس ولا أدل على عدم التفريق في الدعوة لغني أو فقير وعلم أو جهل ولون أو جنس، والاهتمام بجميع الناس وا لمساواة بينهم من العشر آيات الأولى من سورة عبس، وهي قوله تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾.

يقول سيد قطب : "وكان هذا الإيمان مدرسة خلقية وتربية نفسية تملي على صاحبها الفضائل الخلقية من صرامة إرادة وقوة نفس ومحاسبتها والإنصاف منها، وك ان أقوى وازع عرفه تاريخ الأخلاق وعلم النفس عن الزلات الخلقية والسقطات البشرية هو التحول عن الصفات الخلقية الكريمة، ولذلك فإن من آثار الإيمان الصحيح طهارة القلب، ونظافة السلوك، وتزكية النفس من كبائر الإثم ومن الفواحش، والسماحة، والمغفرة تجعل صفة المؤمنين أن هم إذا ما غضبوا يغفرون، وتتجلى سماحة الإسلام مرة أخرى مع النفس البشرية فهو لا يكلف الإنسان فوق طاقته، والله يعلم أن الغضب انفعال بشري ينبع من الفطرة فيقوده إلى أن يغلّب غضبه، وأن يعفو ويغفر، فيجيبهم في هذه الصفة بالمغفرة عند الغضب والعفو عند المقدرة والاست علاء على شعور الانتقام"(□).

(□)فاطمة عمر نصيف، أخلاقنا في الميزان، مرجع سابق، ص24.

(□)سيد قطب، في ظلال القرآن، ج5، ص2577 – 2578.

ويرى الباحث أن المقصود من قوله تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾ الآيات، ليس فيه إثبات ذنب له – صلى الله عليه وسلم- بل إعلام الله لنا أن ذلك المتصدي له ممن لا يتزك ى، فالخطاب لنا.

وفعل النبي – صلى الله عليه وسلم- لما فعل، وتصديه لذاك الكافر ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾، كان طاعة لله وتبليغًا عنه، واستئلافًا له، كما شرعه الله له، لا معصية ومخالفة له.

وفي أثناء مسيرته للدعوة إلى دين الله القويم تتابع التوجيهات التأديبية لتقويم علاقته بالمدعوين ولمواجهة المستكبرين كما هو ملا حظ في الآيات الأولى من السورة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾، وكان من ثمرة هذا التأديب والتربية والرعاية والعناية الربانية ، أن بلغ أعلى درجات السمو البشري والكمال الذي لا يداني ولا يمكن أن يصل إلى مستواه أي بشر فكان - صلى الله عليه وسلم- بحق معلم البشرية الأول يتعلمون منه الأخلاق الكريمة ويكفيه في ذلك وصف القرآن له ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:4].

المبحث الثاني:

المبادئ التربوية المترتبة على عتاب الله -سبحانه وتعالى - للنبي - صلى الله عليه وسلم- في قصة ابن أم مكتوم- رضي الله عنه.

يرى دارسو الأدب والبيان العربي أن هناك دوافع ومحرضات تحمل المتكلم على إظهار ما لديه من معان في نظم من القول تختلف أساليبه وفنونه بحسب اختلاف الموضوع الذي يراد فهمه وإفهامه طبقًا لمقتضى الحال، فليس مقام أداء الحقائق العلمية كأداء المعاني الأدبية، وليس أداء الحقائق التعبدية كأداء حقائق الترغيب والترهيب، وليس القول في المع اتبة كالقول في التعصب والهجرن، وهكذا في سائر مقامات الكلام إذ لكل مقام مقال كما يقول أرباب البلاغة.

وقد عالج القرآن الكريم مقامات الكلام وأساليبه بحسب موضوعاتها فنرى اختلاف الأساليب المكية التي جاءت لإثبات العقيدة والبرهنة عليها ومجادلة المخالفين لها- في الأعم الأغلب- عن أساليبه في السور المدنية التي جاء- في أكثر أحوالها ومناسباتها- لبيان الأحكام الشرعية والآداب الاجتماعية، والصفات الخلقية، وأحوال المجتمع السياسية، وأصول الحكم وغير ذلك(□).

وعلى هذا الأساس نجد أن آيات التربية والعتاب للنبي – صلى الله عليه وس لم- وما يجري مجراها مما جاء للذود عن النبي – صلى الله عليه وسلم- والدفاع عنه تجري في هذا المجرى، وهذا ما جاء في مفتتح سورة عبس التي اتسمت بالطابع التربوي الذي جاء بأجلى وأروع صورة.

وسوف أتناول في هذا المبحث المبادئ التربوية المترتبة على عتاب الله – سبحانه وتعالى- لرسول الله – صلى الله عليه وسلم- وما تم استنتاجه من تلك المواقف التربوية الخالدة.

(□)عويد بن عياد بن عايد المطرفي، آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم في ضوء العصمة والاجتهاد، مرجع سابق، ص110.

العتـــــاب:

العتاب لغة : تستعمل مادة (عتب) لمعان كثيرة منها : أن العتاب مخاطبة الإدلال والإشفاف. قال الخليل: " وحقيقة العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموجدة"[1].

وقد بسط الأزهري في التهذيب عبارة الخليل فقال : " ... والعتاب مخاطبة الإدلال وكلام المدلين أخلاءَهُم طالبين حسن مراجعتهم ومذاكرة بعضهم بعضًا ما كرهوه مما كسبهم الموجدة"[2].

ويرى الباحث أن هذا المعنى هو أنسب معاني العتاب وأمسها بموضوع الدراسة.

وتأسيسًا على ذلك فإننا نفهم أن عتاب الله تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم- معناه : تذكيره – صلى الله عليه وسلم- في تلطف وإشفاق- بما يقع من الخطأ في اجتهاده توصلاً إلى تصحيح هذا الخطأ الذي يعود به الرسول – صلى الله عليه وسلم- إلى موافقة مراد الله تعالى، وتحقيق المطلوب منه – عليه الصلاة والسلام- فينال كامل الرضا.

العتاب هو التوجيه الرقيق بلفت النظر إلى الخطأ، وهو أقسام : عتاب التوجيه، وعتاب التنبيه، وعتاب التحذير[3].

أما عند الأدباء واللغويين فإن العتاب له غاية تربوية، وأخلاقية ت دعو إلى الحفاظ على أواصر المودة ، والمحبة بين الناس في علاقاتهم ، والالتزام بالقيم الإنسانية النبيلة التي تحفظ للمجتمع تقدمه ، ورقيه من خلال الكشف عما يضعف العلاقات الاجتماعية بين الناس وعدم الرضا عن ذلك الضعف[4] .

وعتاب الله - سبحانه وتعالى- لرسوله الكريم - صلوات الله وسلامه عليه- إنما كان على ما حكم فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو تصرف فيه باجتهاده محتمل الخطأ، وفيما جاء من عتاب الله - سبحانه وتعالى- للنبي الكريم

([1])أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير، مرجع سابق، ص203 ، مادة (عتب).

([2])أبو منصور، محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق وتقديم عبد السلام محمد هارون، وراجعه محمد علي النجا، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1384هـ، ج2، ص278.

([3])عويد بن عياد بن عايد المطرفي، آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم في ضوء العصمة والاجتهاد، مرجع سابق، ص288.

([4])محمد زكي العشماوي، النابغة الذبياني، مع دراسة للقصيدة العربية الجاهلية، ط1، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، 1988م، ص86.

- صلى الله عليه وسلم- إنما هو من قبيل تصحيح الخطأ في الاجتهاد، فوجهه الله – تعالى- إلى الأخذ بالصواب عن طريق الوحي.

وعتاب الله - سبحانه وتعالى- لرسوله - صلى الله عليه وسلم- أن كل موضع فيه يعقب بنوع من الترفق برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الخطاب طمأنةً لقلبه الطاهر، تنادي بأن ما صدر منه من خطأ وتوجيهه للأخذ بالصواب وتجربة له وعظة فيما يستقبله من أحداث آتية دون أن يؤثر ذلك مما ناله من شرف القرب من الله تعالى والرضا عليه، وأنه فقط مسح بيد الرحمة على قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم- الطاهر المطهر.

ومن الآثار المباشرة لهذا العتاب في القرآن الكريم من الله - سبحانه وتعالى- لنبيه الكريم تثبيت إيمان المؤمنين بمعرفتهم الصحيحة لمعاني هذه الآيات، وإظهار مكانة النبي - صلى الله عليه وسلم - وحفاوة الله تعالى في تربيته ومخاطبته فيما يعلمه الله إياه ليكون قدوة لأمته . وفائدة ذلك توطيد إيمان المؤمنين وتقوية محبتهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- ومعرفتهم بمكانته العالية واهتمام الله - سبحانه وتعالى- به وتعظيمه له.

الأثر الخلقي التربوي للعتاب:

يمثل الأثر الخلقي في التربية دورًا مهمًّا إذا ما تم اقترانه بالعتاب، فالعتاب ليس تعنيفًا ولا استصغارًا لشأن طالب العلم وإنما هو توجيه تربوي قصد به أن يأتي بشكل رقيق للإصلاح، أو للتنبيه من الوقوع في الخطأ.

وهو يستخدم في تربية الأبناء دون أن يترك جرحًا في مشاعرهم بقدر ما يوجههم نحو التصرف السليم، وليس بينه وبين العقاب في إيذاء النفس معنويًا أي صلة أو رابط، لأن صفة التوجيه لإدراك الخطأ فيه تتم دون سخرية أو تعنيف أو إيذاء، وإنما توجيه نحو الصواب دون إنقاص من قدر الموجَّه من الموجِّه[1].

([1])عويد بن عياد بن عايد المطرفي، آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم في ضوء العصمة والاجتهاد، مرجع سابق، ص289.

المبادئ التربوية المستنبطة من أسلوب العتاب في السورة:-

إن سورة (عبس) هي سورة من سور القرآن الكريم، لها ما لسور القرآن كلها من أحكام التلاوة والتجويد والقراءة بها في الصلوات السرّية والجهرية، وهي السورة التي تؤكد أمانة الرسول - عليه الصلاة والسلام - في تبليغ ما يوحى إليه، كما تؤكد صدقه والتزامه بإرشاد الناس إلى ما فرض عليهم ربهم من الفرائض وشرع لهم من الأحكام، ورغَّبهم فيه من الآداب.

ثم إنَّ العتاب في هذه السورة عتاب توجيه إلى الأولى والأفضل في مسألة التعامل مع الناس، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - اجتهد في حرصه على محادثة كبراء المشركين رغبةً في هدايتهم التي ستكون - إذا حدثت - سبباً في هداية كثير من الناس، ولما جاءه الأعمى (عبد الله بن أم مكتوم) وكان حينها مسلمًا أعرض عنه النبي - صلى الله عليه وسلم- حرصاً على هداية من كان يتحدَّث معهم من المشركين، وهنا نزل العتاب الإلهي موجهًا رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إلى الأولى بناءً على علم الله - عز وجل - بنفوس عباده، وهو علم غيبي تؤكده السورة في قوله تعالى : ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤﴾، ونحن نعلم أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وكلَّ الأنبياء المرسلين لا يعلمون الغيب، وإنما يتلقون علمهم من الله عز وجل، ويتأكد هذا بوضوح في قوله تعالى في السورة ذاتها: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾، فالآية تتضمن بيانً ا لاطلاع الله - سبحانه وتعالى - على ما في نفوس أولئك الكبراء الذين كان الرسول - صلى الله عليه وسلم- حريصاً على هدايتهم.

ولو أننا نظرنا لوضع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وموقفه من القوم لوجدنا أنَّ هذه السورة "أي سورة عبس" ليس فيها شيء من العتاب، بل إن موقف رسول الله - صلى الله عليه وسلم- من هؤلاء الزعماء يتطلب مثل هذا الوضع ، وذلك مما تقضي به السياسة الحكيمة وعمله - صلى الله عليه وسلم - موافق للمراد الإلهي تمام الموافقة..

وسورة عبس – كما سيتبين لنا- أنها مليئة بالمبادئ التربوية التي دعت إليها هذه السورة الكريمة، وكان من أهمها ما يلي:

1) **التلطف في المعاملة**:

لقد كان تلطف الله - سبحانه وتعالى- في معاملة نبيه الكريم - صلى الله عليه وسلم- واضحًا بعدم ذكر الفاعل في الفعلين الماضيين ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ وفي هذا احترام لمشاعر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بذكر اسمه أو ربطه ب العبوس والتولي، وهذا التلطف في المعاملة يقودنا إلى الآثار الأخلاقية التالية:

1 الحرص على المعاملة بين الأفراد بالرفق واللين ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤﴾.

2 الوصول إلى تصحيح الأخطاء دون إشعار المخطئ بالحرج.

3 التعامل بلطف بين أفراد المجتمع بهدوء واحترام.

4 التلطف في المعاملة يرفع من قدر أفراد المجتمع ويحثهم على التآلف.

5 رفع الحرج في التعامل ليصل بالمجتمع إلى حقائق دون إحساس بالأخطاء أو الذنوب طالما أن التوجيه في فعل الخيرات، أو ترك المعاصي.

6 إظهار مكانة من صدر في حقه العتاب وعظمته بالمخاطبة الجميلة.

واللطف –عمومًا- يشيع المحبة بين الناس ويوجههم نحو مساعدة بعضهم البعض والإحساس بالضعيف وتقديم المساعدة والعون له، وهذا من شأنه أن يجعل التعامل رقيقًا وسهلاً لا تعقيد فيه.

ويمكن القول إن العتاب القرآني لما صدر عن النبي من سلوك وهو في معمعان الدعوة، قد رسم سلوكً ا إسلاميًّا راقيًا يحث بالأساس على عدم استصغار الآخر أو تحقير قيمته، ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾ مهما كانت الفوارق، سواء أكانت مادية أو ثقافية أو جسدي ة أو عرقية أو غيرها . كما أن أثر هذا العتاب القرآني الوارد في سورة عبس، بقي حيًّ ا في ضمير الرسول، فكان كلما رأى ذلك الصحابي الأعمى، إلاَّ وهشَّ له ورَحَّ ب قائلاً : "أهلاً بمن عاتبني فيه ربي"(□).

(□) محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج9، مرجع سابق، ص49.

2) **التوادد والتعاطف**:

في تصحيح الله - سبحانه وتعالى- بعتابه ا لرسول - صلى الله عليه وسلم - عتابًا رقيقًا أراد أن يكون التوادد والتعاطف بين الناس لاسيما فقراءهم بقوله : ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ [سورة عبس :الآية 11]، وهذه التذكرة تؤكد أثرًا مهمًّا من الآثار التربوية الأخلاقية لهذه الآية هو التوجيه نحو التوادد والتعاطف واح ترام الناس بعضهم بعضًا ،فالمجتمع المتآلف والمتجانس لا بغض فيه بين الناس. فعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يثلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة»[1].

لقد بيَّن الله – تعالى أن الهداية والإيمان ليست مرتبطة بالأشخاص وحالاتهم من فقر وضر أو ثراء ومكانة في الحياة الدنيا، فقال تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾[سورة عبس: الآيتان 11- 12]، وإنما هي تذكرة ينتفع بها من في قلوبهم استعداد لقبول الهداية، ولو كانوا من أهل الفقر والضر.

وهذا درس تربوي وتوجيه إلهي ختم الله تعالى به الآيات ليبين لرسوله – صلى الله عليه وسلم- أنه في رسالته الخاتمة للرسالات الإلهية لا ينبغي له أن يلتفت إلى الأشخاص، ومكانتهم في الحياة الدنيا وتكثير عدد المسلمين بكثرتهم؛ لأنه في هدايته قدوة عامة خالدة يتأسى بها كل من تشرف باتباعها.

ولاشك أن أهل الفقر والضر في الناس أكثر عددًا من أهل الثراء والمعافاة.

وأهل الضر والفقر هم أحوج إلى المواساة والترفق بهم لإدخالهم في حظيرة الإيمان؛ ليكون الإيمان عدتهم على تحمل شدائد الحياة والصبر على نوائبها لما في الإيمان من رضى بالله تعالى وقضائه والتسليم بشرائعه وأحكامه[2].

وهكذا يتبين لنا أن المجتمع المتذكر لتوجه الله –تعالى- ونبيه الكريم ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾ يسعد بسعادة التآلف والتوادد

([1])رواه البخاري، ج2، برقم (2310)، ص862.

([2])عويد بن عياد بن عايد المطرفي، آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم في ضوء العصمة والاجتهاد، مرجع سابق، ص311.

والتعاطف بين أفراده، لأن التوادد يشيع المحبة والاحترام المتبادل دون غرض يدخل الصفاء في النفس منذ بداية تربية الوالدين لأبنائهم، فإن وهباه ما يحتاجه من الحب والتوادد والتعاطف أصبح عنده الاستعداد لمحبة الآخرين، وإن لم يرويا عنده الحاجة إلى أن يحب هذه الصفات الحميدة ظهر عنده التبرم والسخط على الآخرين وأهم أنواع المحبة والعطف هو حب الله، وإشباع النفس بعاطفة حبه والتودد إليه[□].

وقد جعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - محبة قوم ثبتت نصرتهم لله ورسوله من علامات الإيمان وبغضهم من علامات النفاق:

فعن البراء بن عازب - رضي الله عنهما- عن النبي - صلى الله عليه وسلم- أنه قال في الأنصار «لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»[□].

وبهذه المح بة التي غرست في القلوب تصافت العقول فتلاقت، ويصبح عندئذ المجتمع القوي النقي المتماسك الذي وصفه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقوله: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[□].

ولهذا كله أثر تربوي رباني على النفس البشرية وتهذيبها وتزكيتها وتطهيرها من الأدران والرذائل والعيوب، ولهذا لم يرد في كتاب الله والسنة الشريفة عن الحث على شيء مثل ما ورد في الدعوة إلى المحبة والتآخي والتوادد والتراحم وتقدير الناس بعضهم لبعض دون تمييز لغني أو فقير أو عرق أو لون ، فأكرم الناس عند الله أكرمهم خلقاً، والمحبة والتعاطف يجمعان الخير كله.

من أجل ذلك فقد كان الإسلام شديد الحرص على تربية المسلم وعيشه في مجتمع متوحد ومتماسك وقوي، يعيش فيه الناس أخوة متحابين متعاونين تلفهم الرحمة وتربطهم المودة، وقد وردت توجيهات نبوية ع الية لتحفظ على المجتمع وحدته ، وعلى الآخرة رباطها لتسلم الصدور وتصفو النفوس، قال صلى الله عليه وسلم : «أيها الناس

([□])عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، مرجع سابق، ص148.

([□])رواه البخاري، ج3، برقم (3572)، ص1379.

([□])رواه مسلم، ج8، برقم (6751)، ص20.

أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام»[1].

والمحبة بالمعنى الأخلاقي هو أن تحب لغيرك كما تحب لنفسك، وهي تتجاوز العدل، لأن العدل يقضي فقط احترام حقوق الآخرين، بينما المحبة تدعو إلى بذل الذات[2].

3) **الرفق بالمتعلمين**:

الرفق هو: لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل . والنفس البشرية تميل إلى الرفق ولين الجانب وطيب الكلام وتأنس به ، وتنفر من الجفوة والغلظة. ولذا كان حري بالمعلمين والمربين أن يعوا هذا الجانب ويطبقوه على تلاميذهم وطلابهم .والمعلم الرفيق هو الذي يقدّر الأمور، ويعطيها حقها، متغاضيًا عن بعض الأخطاء والهفوات اليسيرة التي تصدر من الطالب عن غير قصد، خاصة إذا لم تترتب عليها مفاسد خُلقية، أو أضرار بالآخرين[3].

ويعد حسن التربية والرفق بالمتعلمين والإحسان إليهم، من أعلى الدرجات، وأرفع المقامات، فالتلطف في التوجيه مما لا يجرح حياء المتعلم أمر يشجع على بذل الجهد والطاقة في تحصيل المعرفة. قال– تعالى- : ((فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)) [سورة آل عمران: الآية 159].

وقد حث المربون المسلمون المعلمَ على التقليل من استخدام التوبيخ أو العتاب في التعامل مع المتعلمين، وأن يحل محله الود والبشاشة ، وعلى المعلم المسلم الناصح أن " لا يحقر ناشئًا، ولا يستصغر مبتدئًا، ولا يُعنّف متعلِّمًا"[4].

وقد كان –صلى الله عليه وسلم- أرفق الناس للناس، وكا ن –صلى الله عليه وسلم- يراعي نفسياتهم وأحوالهم، كيف لا وهو الذي قال :"إن الرفق لا يكون في

([1])رواه الترمذي، ج4، برقم (1854)، ص286.

([2])إبراهيم يس الخطيب وأحمد محمد الزيادي، صورة الطفولة في التربية الإسلامية، عمان : دار وائل للنشر، 2001م، ص71..

([3])صالح بن سليمان المطلق البقعاوي، مبدأ ا لرفق في التعامل مع المتعلمين، دار ابن الجوزي ، الدمام ، السعودية ، 1412هـ. ص291.

([4])جمال الدين القاسمي، جوامع الأدب في أخلاق الإنجاب، بيروت، لبنان، دار القادري، 1996م، ص35.

شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه "(□)، وقال عليه الصلاة والسلام: "إن الله - عز وجل- يحب الرفق في الأمر كله "(□).

وكان رسول الله –صلى الله عليه وسلم- أرفق الناس با لمتعلمين، وأبعدهم عن الشدة والغلظة ، حتى لو بدر منهم ما يقال أنه خطأ، فالرفق بالمخطئ والإشفاق عليه، ليس هو السكوت، بل الواجب أن ينبه على خطئه ويزجر عنه بالرفق المناسب لظروفه ومدى خطئه، وأن يرشد إلى الصواب بالحكمة وبالتي هي أحسن " لذا فإن من أدب المعلم في الإسلام: أن يرفق بالمتعلم ويأخذ بيده، ويعامله معاملة الأب لولده "(□)، مقتديًا بالرسول- صلى الله عليه وسلم- الذي قال عنه الله - جل شأنه- : ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِ يمٌ))[سورة التوبة: 128].

وقد ضرب الرسول –صلى الله عليه وسلم- أروع الأمثلة وأعلاها في حسن تعليمه ورفقه بصحابته رضوان الله عليهم، فقد روى الإمام مسلم عن معاوية بن الحكم السُّلَميﷺ قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم- إذ عطس رجل من القوم فقلت: "يرحمك الله". فرماني القوم بأبصارهم، فقلت واثكل أمياه* ، ما شأنكم تنظرون إليّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يُصَمِّتونني لكني سكتُّ. فلما صلى –صلى الله عليه وسلم- فبأبي هو وأمي ما رأيت مُعَلِّمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه . فوالله ما كهرني * ، ولا ضربني ، ولا شتمني * قال : " إن هذه الصلاة، لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة

(□) أبو الحسين مسلم بن الحجاج صحيح مسلم،كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق ،مرجع سابق، ص 661، رقم الحديث2594.

(□) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، مرجع سابق ، ص 841، رقم الحديث6024.

(□)يوسف القرضاوي، الرسول والعلم. القاهرة: دار الرسالة 1984م، ص117.

* (واثكل أمياه): الثكل بضم الثاء وإسكاف القاف، وبفتحهما جميعًا لغتان كال بُخْل والبَخَل، حكاهما الجوهري وغيره: وهو فقدان المرأة ولدها . وأمياه: بكسر الميم (انظر: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط2 ، 1392هـ، ج5، ص20).

* كهرني : أي ما انتهرني، والكهر الانتهار قاله أبو عبيد . وفي النهاية يقال كهره إذا زجره واستقبله بوجه عبوس . (محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب ، عون المعبود شرح سنن أبي داود ، ج3، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الثانية ،1415هـ، ص926).

* ولا شتمني : في رواية أبي داود (ولا سبني) : أراد نفي أنواع الزجر والعنف وإثبات كمال الإحسان واللطف . عون المعبود شرح سنن أبي داود، مرجع سابق، ج3، 926.

القرآن "، أو كما قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- (ثم قال معاوية في تمام الحديث)..قال: وكانت لي جارية ترعى غنمًا لي قبل أحد والجوانية * فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسَف * كما يأسفون، لكنِّي صككتها * صكة ، فأتيتُ رسول الله فعَظَّم ذلك عليَّ قلت : يا رسول الله ! أفلا أعتقها ؟ قال : ائتني بها ، فأتيته بها ، فقال لها : أين الله ؟ قالت : في السماء، قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال أعتقها فإنها مؤمنة "[1]. قال النووي في شرحه لهذا الحديث: "فيه بيان ما كان عليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم- من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به ورفقه، بالجاهل ورأفته بأمته وشفقته عليهم . وفيه التخلُّق بخلقه ﷺ في الرفق بالجاهل وحسن تعليمه واللطف به وتقريب الصواب إلى فهمه . أهـ"[2] .

ثم إن لك أن تقارن بين الموقفين السابقين الذين وقعا لمعاوية بن الحكم رضي الله عنه ، وكيف عامل الرسول ﷺ معاوية في كلا الموقفين . ففي الحادثة الأولى :لم يعنفه الرسول –صلى الله عليه وسلم- ولم يوبخه . لأنه كان جاهلاً والدليل على ذلك ، الحديث الذي أخرجه البخاري وأبو داود من رواية عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي قال: لما قدمت على رسول الله –صلى الله عليه وسلم- علمت أمورًا من أمور الإسلام ، فكان فيما علمت أن قال لي : إذا عطست فاحمد الله ، وإذا عطس العاطس فحمد الله فقل : يرحمك الله . قال : فبينا أن قائم مع رسول الله في الصلاة ، .. الحديث) وفي الحادثة الثانية : عامله الرسول –صلى الله عليه وسلم- بنقيض ذلك، حيث أنكر ذلك الفعل على معاوية ويؤخذ هذا من قوله : (فعظّم ذلك عليَّ) .وإنكار الرسو ل –صلى الله عليه وسلم- هذا الفعل من معاوية وهو ضرب الجارية، يحتمل وجهين وقد يحتمل أكثر من ذلك :

---

* قبل أحد والجوانية: موضع بقرب أحد شمالي المدينة. عون المعبود شرح سنن أبي داود، مرجع سابق ج3، 926. وشرح النووي، مرجع سابق، ج5، ص23.

* آسَف: بفتح السين أغضب، شرح النووي، ج5، ص24.

* صككتها: أي لطمتها، المرجع السابق، ج5، ص24.

([1])أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ، مرجع سابق ، ص130 رقم الحديث537.

([2])شرح النووي، مرجع سابق، ج5، ص20.

الأول: وهو أن معاوية لم يعد جاهلاً حيث أمضى فترة في الإسلام وعلم شرائعه وآدابه .

الثاني: وهو أن هذا الصنيع من معاوية ليس من الأمور التي تجهل عادة، فالرفق والإحسان إلى الناس من الأمور المركوزة في الفطرة وليست من باب العلم المكتسب . وقد كان من خلاصة ذلك الموقف هو فداؤه أبويه على رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ، وأن الذي حمله على هذا هو التعليم المقرون بالرفق بفصل الله تعالى.

ومن شيم المصطفى –صلى الله عليه وسلم- أنه كان لا يلجأ إلى توبيخ المتعلمين ، وأن هذه الطريقة تؤدي إلى تقوية الإيمان لدى الطلاب عمومًا ، فتنشئ لنا جيلاً قوياً في معتقده ، وثيق الصلة بربه . فعن عائشة - رضي الله عنها- أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قال: " يا عائشة إن الله رفيق يُحب الرفق، ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف، وما لا يُعطي على ما سواه "[1].

وقد قررت الآيات الكريمة ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾ [سورة عبس: الآيات 7–10].أن عتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - من عند الله تعالى كان عتاباً رقيقاً ليلفت نظره إلى إجابة نداء ابن أم مكتوم - رضي الله عنه، حيث إن المعلم يقوم مقام الوالد، فيجب عليه أن يسمع سؤالهم ويمدهم بما يستطيع من العلم، ولعل قوله تعالى في الآية الكريمة في شأن تقدير دور الرسول صلى الله عليه وسلم كمعلم قوله : ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:128].

وكذلك ينبغي للعالم أن يكرم أهل العلم والفضل والمبرزين من طلابه وأن ينزلهم منزلة العزة والشرف، وعلى المعلم أن يتفقد حال طلابه وأن يرفق بمن جفا طبعه منهم، وأن يصبر عليه ويسوسه بالرفق واللين، وألا يتلهى أو يتشاغل عن إكسابهم العلم مما علمه الله تعالى بما في ذلك بذل غاية ما في وسعه بالاهتمام بالطلاب والسؤال عن حالهم.

والواقع أن الرغبة في التعليم قد تدفع بعض طلبة العلم إلى إضجار المعلم "لم يراعِ ابن أم مكتوم - رضي الله عنه- انشغال الرسول - صلى الله عليه وسلم- بجماعة

([1])أبو الحسين مسلم بن الحجاج ،صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: فضل الرفق، مرجع سابق، ص 661 رقم الحديث 2593.

غيره وإن كان كفيفاً فإنه كان يسمع" ولكن رغم ذلك فإنه سأل الرسول العلم، فلما لم يجبه الرسول - صلى الله عليه وسلم- لمبتغاه عاتبه الله تعالى في ذلك، وهذا دليل واضح على أهمية الاهتمام بتلبية أسئلة وتوجيه طلاب العلم(□).

وهكذا يتبين لنا أن الصادق المصدوق الناطق بالوحي —صلى الله عليه وسلم- كان خير داعية للرفق؛ لأنه يزين الأمور، كما دعا لمن رفق بأمته أن يرفق به الله تعالى.

4) الصدق هو طريق النجاح والفلاح:

الصدق صفة أساسية من صفات الرسل والأنبياء - عليهم السلام- وقد تحققت فيهم جميعًا، فوصفُ الله تعالى لنبيهِ بالصدق دلالة على تمكن صفة الصدق فيه . فقد كان تبليغ الرسول — صلى الله عليه وسلم- هذه الآيات التي عاتبه الله فيها وقال له : "كلا !! وهذا دليل دامغ على أن هذا القرآن من عند الله وليس من تأليفه هو، فلو كان من تأليفه لما سجَّل على نفسه أنه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝﴾..قال ابن زيد :"لو أن رسول الله كتم شيئاً من الوحي لكتم هذه الآيات"، فهذا دليل على صدق وأمانة الرسول - صلى الله عليه وسلم- في إبلاغ الرسالة، وإلا لأخفى هذه الآيات وما استطاع أحد من البشر أن يعرف إذا كانت أنزلت أم لا.

وقد تحققت شهادة الله - سبحانه وتعالى- لرسوله بالحق والصدق ، إذ قد سمح له بعمل المعجزات ، واستجاب له الدعوات، وحقق له النبوءات ، ولم يتوفاه حتى أكمل رسالته ، وسمح له في النهاية أن ينتصر على كل من وقف في وجه دعوته ، وأن يؤسس لدولته ويثبت أركانها ، فصارت له الحُجَّة وكتب له النصر، بعد أن كان ضعيفاً وهم أقوياء وكان فقيراً وهم أغنياء وكان وحيداً وهم ذوو عدد ... وكأنه- سبحانه وتعالى- يقول لنا من خلال هذه المظاهر: صدق عبدي ونبيي فيما يرويه عني ، وأنا الذي بعثته نبياً رسولاً.

فهنا يتجلى لنا هذا الموقف التربوي الرائع وهو استحالة كتمان الرسول - صلى الله عليه وسلم- لشيء من الوحي ، فبلغ كل شي أمر به وما كتم منه شيئًا حتى يختص به مما قد يكون فيه شي من العتاب، قد قالت أم المؤمنين عائشة - رضي الله

(□)سالك أحمد معلوم، الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي، 1413هـ، ص275.

عنها- : " لو كان للرسول أن يكتم شيئًا من وحي الله لكتم عتاب الله تعالى له في عبس وتولى "(□).

5) اتباع أسلوب الترغيب والترهيب وذلك لتربية النفس وتهذيبها:

يعتبر أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب التي وردت كثيرًا في القرآن الكريم، فالترغيب في طاعة الله – سبحانه وتعالى – والامتثال لأوامره والبعد عما نهى عنه وزجر، وأما الترهيب فهو التحذير من غضب الله – سبحانه وتعالى- وعقابه الذي توعد به ، وقد كان ذلك واضحًا في بيانه – جل وعلا- عن المسؤولية الفردية في مسألة المصير، فلن ينفع الإنسانَ أحدٌ في يوم القيامة الذي يواجه فيه مسؤوليته، بحيث يفر –هناك- من أقرب الناس إليه، لينطلق الناس في هذا الجو، بين وجوهٍ ضاحكةٍ مستبشرةٍ، وهي وجوه المؤمنين المتقين، ووجوهٍ عليها غبرة، وهي وجوه الكفرة الفجرة . ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ ، فإيثار الدنيا على الآخرة، والآجلة على العاجلة هو سمة الصالحين المتأدبين بأدب نكران الذات والصابرين على شظف العيش وضيق الحال، وهي صفة أخلاقية دمثة تدل على قوة الإيمان بالله ، وقد حذر الله –تعالى- من إيثار الدنيا على الآخرة ، وقد اعتبر الصوم أعلى درجة من درجات الإيثار لترك الصائم طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده(□).

ولما ختمت سورة عبس بوعيد الكفرة الفجرة بيوم الصاخة لجحودهم بما لهذا القرآن من التذكرة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾، فصور ذلك اليوم بما يكون فيه من الأمور الهائلة من عالم الملك والملكوت حتى كأنه رأى عين.

(□)محمد بن جرير أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، مرجع سابق، 711.

(□)حليمة عل ي أبو رزق، توجيهات تربوية من القرآن والسنة في تربية الطفل، الرياض : الدار السعودية للنشر، 1420هـ، ص85 – 86.

يقول البقاعي : فقال بادئاً بعالم الملك والشهادة لأنه أقرب تصوراً لما يغلب على الإنسان من الوقوف مع المحسوسات، معلماً بأنه سيخرب تزهيداً في كل ما يجر إليه وحثاً على عدم المبالاة والابتعاد من التعلق بشيء من أسبابه .

فلأهوال يوم القيامة وفرار الإنسان من كل من يحبّ من شدة هول الموقف الذي يجد نفسه فيه ، يقول تبارك وتعالى : ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾، ففرار الإنسان من أحبابه ورتبهم على مراتبهم من الحنو والشفقة فبدأ بالأقل (أخيه) وختم بالأقرب (بنيه) لأن الولد هو أحب الناس إلى قلب الإنسان والأكثر مدعاة للشفقة، وكل ذلك من قبيل الترهيب.

6) الإرشاد إلى فعل الخير:

لقد أراد تعالى أن يبيِّن لرسوله - صلى الله عليه وسلم - أن هداية الإنسان أمر منوط بالإنسان ذاته ومتروك إليه وحده ، وما على الرسول - صلى الله عليه وسلم - سوى التذكير والبيان ولذلك قال تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾﴾ وتريد كلمة (كلا) في هذه الآية أن تخفِّف عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعض ما يجده من الحزن على الخلْق، وأن تسرِّي عن نفسه ما بها من الضيق بسبب عدم موافقة قومه له في الخروج من الظلمات إلى النور والسير في طريق الإيمان.. كما تريد من جهة ثانية أن تبيِّن لرسول الله - صلى الله عليه وسلم- ما منحه الله للإنسان من حرية الاختيار. ويكون مجمل ما نفهمه منها: أي ليس الأمر بتودُّدك ومداراتك وليست هداية الخلق بمتيسِّرة لك ما لم يُقبلوا هم بأنفسهم على خالقهم ويتطلّبوا الهدى بذاتهم.

وفي هذه الآية ما يشعر بأن اجتهاد رسول الله – صلى الله عليه وسلم- في حديثه مع الكافر ليستميله إلى الإيمان رجاء أن يؤمن بإيمانه عدد ممن يتبعه كان غير متمش مع طبيعة الهداية الإلهية- التي عليه – صلى الله عليه وسلم- أن يعرضها على الناس دون أن يبخع نفسه حرصًا على إيمانهم، فجاءت الآية الكريمة تصحح هذا الاجتهاد، وتبين الطريق للدعاة إلى الله – تعالى- الذين يرثون دعوة رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وتبليغ رسالته ونهجه في إيصالها إلى جميع الناس إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فقد منح الله – سبحانه وتعالى- عباده حرية الاختيار ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٣٢﴾﴾، وأقبل على ذكر ما تتلوه عليه من البيان وعرف قدر خالقه وموجده ، فكل امرئ إنما هو مسؤول عن نفسه وما أنت إلاّ نذير مبين، وبعد بيانك فمن شاء فليؤمن ومن ش اء فليكفر..

فهذه الآيات كما نرى ليس فيها شيء من لوم ولا عتاب، وإنما بيان لحرص رسول الله - صلى الله عليه وسلم- على الخلق وشديد اهتمامه بهم كما هي تشريع وبيان، بيان من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ولكل مرشد من بعده بما أُعطيه الإنسان من حرية الاختيار، وأن ه ذه الإرادة المُطلقة التي مُنحها الإنسان من حرية الاختيار لا يستطيع أحد أن يوجِّهها إلى جهة ما مهما جَهِدَ وتَعِبَ ما لم تتَّجه هي بذاتها "أي النفس المخيَّرة " فتتعرَّف إلى خيرها من شرِّها..

ومنه –أيضًا- قوله تعالى : ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس :3]، فبالإضافة إلى التطهُّر، فإن لعمل الخير والإرشاد له أجرًا عظيمً ا، فالحرص على عمل الخير يشيع في المجتمع الرحمة والتآلف ويستفيد الطالب من الإرشادات التربوية التي تصقل نفسه وتوجه سلوكه توجيهًا سليمًا نحو فعل الخير.

كما يشمل الإرشاد إلى فعل الخير، والتزكي، وطلب التطهر في معاني الآية إلى الدعوة إلى سبيل الله - سبحانه وتعالى-

والقرآن الكريم مليء باللمسات الرقيقة اللطيفة الموحية والمؤثرة التي تهز الوجدان وتؤثر فيه بكل وسائل التأثير(□).

7) التلطف في العتاب:

العتاب هو حديث رقيق لتصحيح الخطأ دون جرح مشاعر المخطئ، وهو التأنيب البسيط الذي يدل على حرص المعاتِب على مصلحة المعاتَب، وقد عاتب الله - سبحانه وتعالى- نبيه الكريم في شأن انشغاله عن ابن أم مكتوم رضي الله عنه، وليس الهدف من ذلك الإقلال من شأن النبي - صلى الله عليه وسلم- وإنما لعظم التربية الخلقية في القرآن، فالمعا تَب هو خير البشر أجمعين الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه- وفي العتاب تلطُّف، ووجه العتاب من قبيل التنبيه يوجه المرء إلى تصحيح مساره

(□)محمد قطب، مناهج التربية الإسلامية، ج1، القاهرة: دار الشروق، 1400هـ، ص190.

في القول أو الفعل، ولذلك فإن العتاب الرقيق هو الذي يوجه الطالب ويرغّبه في محبة معلمه بعد أن يصحح خطأه عن قناعة، فالمعرو ف أن النفس البشرية أمَّارة بالسوء، وأن الشيطان دائمًا يتربص بالإنسان، فإذا عاتبه أحد رأى أن هذا فيه نقص من قدره فلا يسمع له كلامًا، أو يصحح خطأ رغبة في العناد، وهي طبيعة لدى كثير من الناس . إذن وجهت الآية إلى معنى سامي من معاني الأخلاق الفاضلة من المعاتِب والمعاتَب، وفي العتاب إرشاد يراد به التوجيه للعمل الحسن(□).

أما في ذكر الأعمى والعتاب في حقه ففيه بيان أن من قد يظن أنه أبعد عن الفائدة (بكونه أعمى مثلاً) هو أقرب إليها من المبصرين، فهو هنا أولى بالاهتمام من سراة القوم وكبرائهم، وإن كانوا مبصرين مؤثرين.

يقول ابن عاشور: "وصيغة الخبر مستعملة في العتاب على الغفلة عن المقصود الذي تضمنه الخبر، ...ولمّا كان صدور ذلك من اللّه لنبيه ﷺ، لم يشأ اللّه أن يفاتحه بما يتبادر منه أنه المقصود بالكلام، فوجهه إليه على أسلوب الغيبة ليكون أول ما يقرع سمعه باعثًا على أن يترقب المعنيَّ من ضمير الغائب، فلا يفاجئه العتاب، وهذا تلطف من اللّه برسوله ﷺ، ليقع العتاب في نفسه مدرجًا وذلك أهون وقعًا، فكذلك توجيه العتاب إليه مسندًا إلى ضمير الغائب، ثم جيء بضمائر الغيبة، فَذَكَر الأعمى، فظهر المراد من القصة، واتضح المراد من ضمير الغيبة"(□).

وليس هذا العتاب بمنقصة له ﷺ؛ إذ إنَّ ما فعله كان في مصلحة الدعوة، "ويظهر أن النبي ﷺ رجا من ذلك المجلس أن يُسلموا فيسلم بإسلامهم جمهور قريش، أو جميعهم، فكان دخول ابن أم مكتوم قطعًا لسلك الحديث، وجعل يقول للنبي ﷺ: يا رسول اللّه استدنني، علمني، أرشدني، وياديه، و يكثر النداء والإلحاح، فظهرت الكراهية في وجه الرسول ﷺ؛ لعله لقطعه عليه كلامه وخشيته أن يفترق النفر المجتمعون، وفي رواية الطبري أنه استقرأ النبي ﷺ آية من القرآن"(□).

كما أن هذا التلطف في العتاب يفيد ببيان مقام النبي - صلى اللّه عليه وسلم - الرفيع، وأنه أشرف مقام وأسماه دل على ذلك أسلوب عتاب اللّه تعالى له ، حيث خاطبه

(□)عويد بن عياد بن عايد المطرفي، آيات عتاب المصطفى في ضوء العصمة والاجتهاد، مرجع سابق، ص193.

(□)محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس،1997 م،ج 16، ص 93.

(□)المرجع السابق، ج 16، ص 93.

في أسلوب شخص غائب حتى لا يواجهه بالخطاب فيؤلمه، فتلطّف معه، ثم أقبل عليه بعد أن أزال الوحشة يخاطبه: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾.

8) المساواة:

يعد مبدأ المساواة جوهر رسالة الإسلام إلى البشرية: الأخوة والعدل والمساواة، مبادئ سامية بشر بها الإسلام، وسعى المسلمون إلى نشرها لتكون الخلفية الحضارية البديلة التي جاءت بها الرسالة المحمدية، فلم يكن أكرم الناس هو الوسيم أو السليم أو المعتد بهيأته و "ك ماله"، بل هو صاحب التقوى، أي الوفي لرسالة الدين في بعدها الإنساني. هذا التصور تؤكده آية أخرى في نفس القوة وعمق الدلالة

وقد كفل الإسلام التحرر من جميع وجوهه، وطالب بالمساواة بين بني البشر لتستقيم الحياة على وجه البسيطة، فيتحرر الفقير من فقره وضعيف الشأن من ضعفه حتى تكون المساواة بين الناس أحد الاتجاهات الأخلاقية والتربوية وحتى يتلاشى الإحساس بالمهانة.

وتعتبر نظرة الإسلام بمثابة الثورة الفكرية الكبيرة، وذلك منذ أن عاتب الله تعالى رسوله الكريم حين أعرض عن عبد الله بن أم مكتوم الأعمى أمام عظمة أحد أغنياء قريش فنزل في حقه قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾.لتكرس مساواة المعاق للسوي باعتبار أن كليهما إنسان يؤدي دوره في المجتمع، وينبغي أن يجد من الرعاية والعناية والتقدير ما يجده الآخر.

ولم يكن عتاب الله - سبحانه وتعالى- لأكرم الخلق مسألة سهلة وإنما تمتد جذورها في التربية الأخلاقية للبشر أجمعين، لأنه -تعالى- يعلم مدى ما يحيق بالإنسان إن قلّت قيمته وهو الذي فضله على جميع خلقه، فالتخلص من الحاجة، والتحرر من الشهوة، وحرية السؤال، والعلم والحرص عليه، فكان الحرص من النبي - صلى الله عليه وسلم- على الأثرياء من كبار قريش من الكافرين أمله في أن يدخلوا الإسلام شغله ذلك عن إجابة حاجة ابن أم مكتوم رضي الله عنه(□).

(□)سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، القاهرة: دار الشروق، 1395هـ، ص47.

ومن المساواة كذلك قوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ ﴾أي: هذه السورة، أو الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم من شريفهم، ووضيعهم.

9) تكريم النفس بالطهر:

لقد بيَّن لنا الله –تعالى- ما تحلَّى به قلب رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم من الرأفة، وما اصطبغت به نفسه - صلى الله عليه وسلم - من الكمال الإنساني في رحمته بالخلْق عامة ، فقد تجلت في قوله - تعالى : ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ [عبس:3–4]. فطهارة النفس وتزكيتها عن الصغائر والنقائص يعد من عوامل الوقاية من كافة المشكلات السلوكية ومنهجًا لمواجهتها، وأن أهم ما يكرم النفس البشرية هو تكريمها تكريمًا عظيمًا فكان قتلها إثمًا عظيمًا.

وتكريم النفس هو البعد بها عن المعاصي وكبح جماحها من الشهوات ، فهناك الكثير من المشكلات النفسية منبعها الجهل بقيمة الإنسان وكرامته التي هي أكبر من أن يساء إليها، فلا ينبغي أن يُشْعِرَ إن سانٌ إنسانًا آخر أنه غير مهتم به فلعل في الاهتمام به أجر عظيم(□) ، قال تعالى: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس:3].

إذًا فليس المراد من ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ ﴾.ذلك العتاب الذي صاغوه على ذلك الشكل، وصبُّوه في قالب تلك القصة الجاهلية المموَّهة، وليس في هذه الآيات أدنى أثر للعتاب، فالله عاصمه ومؤيده وحافظه من الخطأ والزلل وإِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى.

فالله تعالى يريد أن يُصوِّر لنا نفسية الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - العطوف على الخلق الحريص على هدايتهم، فزعماء قريش – الذين كان الرسول بصدد دعو تهم إلى الإسلام- عمي البصيرة وعبد الله بن أم مكتوم بصير، مفتِّح البصيرة فلا يصحُّ أن يهتمَّ بالمبصر ويُهمل العميان الذين إذا التفتوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم، فهم محرومون حرموا أنفسهم، والآن حضروا فهل يجوز إهمالهم وتركهم عمياناً والالتفات إلى النا جي المفتِّح الذي نال استحقاقه؟ حاشا لرسول الله أن يظلم فهو العادل، لذا قام بواجبه على خير ما يرام وأثنى عليه تعالى وأقرَّه على تصرُّفه وشجعه على المثابرة على السعي لإخراج العمي البصائر من الظلمات إلى النور، والالتفات

(□)محمد شحات الخطيب وآخرون، أصول التربية الإسلامية، الرياض: دار الخريجي للنشر، 1421هـ، ص224.

والتولي وإرجاء من يجب إرجاءه ممّا تقتضيه الحكمة نحو الأفضل، وذلك ما يقتضيه المنطق السليم والرأي الراجح..

10) **التـواضــع**:

فخلق التواضع من الأخلاق الفاضلة الكريمة، والشيم الع ظيمة التي حث عليها الإسلام ورغّ ب فيها، وتمثله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهجً ا عمليًّا في حياته، فقد كان - صلى الله ع ليه وسلم- مع علوِّ قدره، ورفعة منصبه أشد الناس تواضعًا، وألينهم جانبًا، وحسبك دليلاً على هذا أن الله - سبحانه وتعالى - خيَّره بين أن يكون نبيًّا ملكً ا، أو نبيًّا عبدً ا، فلختار أن يكون نبيًّا عبدً ا صلوات الله وسلامه عليه.

وخلق التواضع كان سمةً ملازمةً له - صلى الله عليه وسلم - في حياته كلها، في جلوسه، وفي ركوبه، وفي أكله، وفي شأنه كله.

ويتجلى موقف التواضع في الآية الكريمة من خلال امتثاله لأوامره جل وعلا في قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝﴾، فـ (كلا) كلمة ردعٍ وردٍ وإبطال، تشعر بأن ما قبلها غير موافَقٌ عليه، ويكون المراد إبطال ذلك الفعل المعاتب عليه، أو ما يمكن أن يقع في النفس من المعاتبة على عرض الآيات على القوم.

فرسول - صلى الله عليه وسلم - هو خير البشر أجمعين باختياره من الله - سبحانه وتعالى- رسولاً فهو صاحب التواضع الجم والأدب القويم والأخلاق الرفيعة، فقد بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم بتأديب ربّه له مستوى لم يبلغه سواه، فقد كان إذا جاءه ابن أم مكتوم يوسع له في المجلس ويجلسه إلى جنبه ويقول له: مرحباً بالذي عاتبني ربي من أجله، وولاه على المدينة مرات، وكان مؤذناً له في رمضان.

ولعزة المؤمن مهما بلغ شأنه فـإنه إذا تقرّب من ربه طاعة ومحبة وعملاً أحبه الله تعالى وأسبغ عليه ظلالاً من صفاته، فالمؤمن عزيز بالله، وكل من يريد هذه العزة عليه أن يطلبها من مصدرها من الله لا أحدًا سواه، فالله عنده خزائن السماوات والأرض(□).

وهكذا يتبين لنا أن خلق التواضع كان خلقً ا ملازمً ا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وأنه من الأخلاق التي ينبغي على المسلم أن يتحلى بها و يحرص عليها اقتداء برسول الله - صلى الله عليه وسلم- كي ينال خيريِّ الدنيا والآخرة.

(□)غازي صبحي، آيات قرآنية ومضات من القرآن الكريم – عرض وتحليل – دمشق: مكتبة الأسد، 1998م، ص211.

11) **تبليغ أمانة العلم**:

لقد عاتب الله –سبحانه وتعالى- أحب خلقه إليه و أفضلهم عنده وأخشاه م له وأتقاهم بتشاغله عن هذا الأعمى ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ ظناً منه أن هناك من هو أهم منه و أنفع إذا ما دخلوا في الإسلام مع أنه - عليه الصلاة والسلام - لم ينهره ولم يعنفه وإنما جاء العتاب حرصاً على مشاعر ذلك الأعمى أن تجرح.، فدل هذا على القاعدة المشهورة أنه لا يُترك أمرٌ معلومٌ لأمرٍ موهومٍ ولا مصلحةٌ متحققةٌ لمصلحةٍ متوهمة ، وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم المفتقر إليه الحريص عليه أزيد من غيره.

ومن –هنا- يتبين لنا أن هناك دلالة عظيمة على أن الإسلام دين نور و هدى للناس يحرص على الناس أشد من حرصهم على أنفسهم، وبهذا وصف رسول الهدى - صلى الله عليه و سلم - ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُ ؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ))[سورة التوبة : الآية 128]. والموصوف هنا هو المعاتب هناك - فحرصه - عليه الصلاة والسلام - هو سبب المعاتبة وكم كان حرصه على هداية الناس سبباً للمعاتبة من ربه .

فبالعلم تسمو مكانة الإنسان، كما أن الأمانة العلمية في الاتجاهات التربوية سمة أخلاقية كريمة، وقد حرص الرسول - صلى الله عليه وسلم- على تعليم الصحابة مما علمه الله، فهو ذات الدافع الذي دفع ابن أم مكتوم في أن يتلقى العلم من الرسول - صلى الله عليه وسلم- ووقف الله - سبحانه وتعالى- بجانبه لهذا الطلب العظيم وعاتبه عتابًا رقيقًا في انشغاله - صلى الله عليه وسلم- عنه أحب الناس إليه، وهذا يدل على أن طلب العلم وجهة أخلاقية وتربوية، لأنه يطهر النفس ويزكيها . فالإرشاد إلى المبادئ والأعمال النافعة تصلح حياة الإنسان وتوجهه نحو فعل الخيرات والابتعاد عن المعاصي، لذلك فإن أمانة تبليغ العلم أحد الأمان ات المهمة التي يجب أن يؤديها المعلم حيال طلابه فهي التي تقوّي إيمانهم وتنقذهم من الشرور وتحصّنهم من الآثام والشرور.

وقد دل قوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ ﴾، على الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم وكافة أطيافهم، وقد كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- خير من قام بتبليغ العلم.

12) **التأمل والتفكر في آيات اللّه واتخاذ العبرة** :

لقد أمرنا اللّه - سبحانه وتعالى - بالتأمل والتدبّر في كتابه العزيز بآياته المعجزة الخالدة، و أمرنا بالتالي - من خلال كتابه - بالتدبّر في كونه وخلقه وشؤونه ، فكثيرًا من النعم نراها ، ولكن الكثير منا لا يقف عندها حتى بالشكر والثناء ناهيك عن التأمل والتفكر في قدرة اللّه عز وجل،فللحكمة من التأمل والتدبر والتفكر في ملكوت اللّه هي تقوية الإيمان والشعور بعظمة اللّه في خلقه.

وإذا ما أطلق الإنسا ن عنانه بالتأمل في مخلوقات اللّه، فإنه يمكن أن يصل إلى حقائق تزيد من قوة إيمانه وتصل به إلى الدرجات العليا ، قال تعالى : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ [عبس:24–25]، فللمقصود بالنظر هنا التأمل نحو : نظرت في هذا الأمر، أي تأملته ، وقد ذهب العلماء إلى أنها تحتمل ثلاثة معانٍ : الأول، أن المقصود بذلك التأمل في الطعام و التفكير في تركيب هذا الغذاء ، وما يقوم به من دور هام في حياة الإنسان ، من في تامينات و أملاح وعناصر غذائية أخرى لا يمكن للإنسان أن يعيش من دونها . هذا التأمل يدفع الإنسان إلى الإيمان بالخالق الذي أوجد هذا الغذاء وتعميق الاتصال به سبحانه وتعالى، أما المعنى الثاني ، فهو أن يتأمل الإنسان في هذا الغذاء من ناحية الحلا ل و الحرام، بمعنى أن يراعي الإنسان الجوانب الشرعية والأحكام الفقهية المرتبطة بالغذاء، فلا يأكل طعاما حرامًا ، أو طعامًا به شبهة ، وأما المعنى الثالث ، فللراد بالطعام هنا ، هو العلم.

يقول ابن عاشور: إن الفاء هنا "مع كونها للتفريع فإنها تفيد معنى الفصيحة، إذ التقدير. إن أراد أن يقضي ما أمره فلينظر إلى طعامه، أو إن أراد نقض كفره فلينظر إلى طعامه "، وذكر مادة (النظر) هنا في غاية الدقة والروعة، حيث إنه يشمل نظر (البصر)، ونظر القلب والعقل، وإن كان المقدم هنا نظر العين لتعدية الفعل بـ (إلى)، ولو أريد الثاني لعدي بـ(في).

ومجيء النظر بالمضار ع (فلينظر) يوحي بضرورة تكرار ذلك أكثر من مرة، وتجدده في أكثر من موقف وصورة.

وتكرير كلمة (الإنسان) فيه عناية بشأنه مع الاستدلال خصوصً ا ، لذا لا تجد هذه الكلمة تكررت (ظاهرة) مع ما قبله.

وتعدية الفعل بـ (إلى) دون (في)، للإشارة إلى النظر ينبغي أن يبدأ بنظر العين ، ويمكن أن ينتقل منه إلى التأمل والاستدلال.

و"تعدية فعل النظر هنا بحرف (إلى) تدل على أنه من نظر العين إشارة إلى أن العبرة تحصل بمجرد النظر في أطواره، والمقصود التدبر فيما يشاهده الإنسان من أحوال طعامه بالاستدلال بها على إيجاد الموجودات من الأرض . وجُعل المنظور إليه ذاتَ الطعام مع أن المراد النظر إلى أسباب تكونه وأحوال تطوره إلى حالة انتفاع الإنسان به، وانتفاع أنعام الناس به"(□).

وكذلك إضافة الطعام إلى الإنسان (طعامه) فيه إيحاء بقربه منه، وغفلته عما فيه من الدلالات، لأنه لها عنه بمقتضى التكرر والعادة، فهل نح ن بعد قراءة هذه الآية نتأمل في طعاماً لنشكر ربنا.

ومما يبعث على تقوى الله - عز وجل- أن يحرك الإنسان ذهنه ، وعقله، ولبَّه، وفكره، من هذا قالوا : التفكر باعث على الإيمان ، والإيمان باعث على استقامة السلوك، لكن هناك أصل كبير جدًّا في التأمل هو : أنك إذا قرأت القرآن الكريم ، وقرأت آية فيها أمرٌ ينبغي أن تأتمر بها امتثالاً لقوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ ﴾، وقوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِىٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ ، وأيّ آية ينبغي أن يكون لك موق ف منها، فهذه آية أمر ينبغي أن تأتمر، وإذا قرأت آية فيها نهي ينبغي أن تنتهي، فإذا قرأت آية فيها وصف لمشاهد أهل الجنة فينبغي أن تسعى إلى الجنة ، كقوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ ، أو قرأت آية فيها وصف لأهل النار فينبغي أن تتقي النار ، ولو بشق تمرة ، ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ قرأت آية فيها قصة أمم غابرة كفروا فأهلكهم الله - عز وجل- فينبغي أن تتعظ.

والعاقل هو الذي يحسب حساب الغد الآتي . فمن تأمل وبحث وصل إلى وجود الله ووحدانيته ، وأنه – سبحانه - الآمر الناهي يفعل ما يشاء .

(□)محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق،ج 16، ص 113.

وهكذا نلاحظ ذلك في الآيات التالية من السورة وهي توجه الإنسان نحو التفكُّر والتأمُّل في خلق الله في الأرض، فيصفو إيمانه لهذا الإبداع الإلهي، وفي صفاء النفس سكينة، ك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾. [سورة عبس: الآيات 26–30]

13) تعظيم القرآن الكريم خاصة والكتب السماوية عامة وإعلاء شأنها:

القرآن كلام الله، وتعظيم القرآن هو تعظيم للمتكلم به، وقد عظم الله هذا القرآن، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [سورة البقرة: الآيتان 1 - 2]، يقول الشيخ محمد العثيمين - رحمه الله من فوائد الآية: بيانُ عُلوِّ القرآن، لقوله تعالى: (ذلك)، فالإشارة بالبعد تفيد علو مرتبته، وإذا كان القرآن عالي المكانة والمنزلة، فلا بد أن يعود ذلك على المتمسك به بالعلو والرفعة، وكذلك ما وُصف به القرآن من الكرم، والمدح، والعظمة فهو وصف أيضاً لمن تمسك به.

فمن أعظم الصفات الأخلاقية التربوية تعظيم كتاب الله تعالى وفهم معانيه وتطبيقها في حياتنا على كافة مستوياتها، وهذا ما أكده قوله تعالى: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾﴾ [سورة عبس: الآيات 13–14]. فقد حدّد مكان الذكر وهو الصحف المكرمة، وبالتالي فهو يشعر بعظم شأن المذكَّر به، وقد وصفها بـ (مكرمة) وهذا دليل على عظم مكانتها، لأن التكريم يدل على التعظيم.

وأما ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ فهو الوصف الثاني لها، وهو يدل أيضاً على التعظيم.

وأما ﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ فهذا هو الوصف الثالث لتلك الصحف، وهو يدل على النقاء

وبهذا تكون أوصاف تلك الصحف ثلاثة (التكريم، الرفع، التطهير)، ولعل في ذلك إشارة إلى أن هذا ما ينبغي استحضاره في التعامل مع القرآن العظيم، لأنه مصدر التذكرة.

14) الدعوة إلى حسن الخلق فهو الطريق إلى الهداية والفلاح:

فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - قدوة لأمته في هذه الأخلاق ، لذلك يجب على المسلمين أن يعرفوا أخلاقه ومعاملته لل ناس حتى يتأسوا به ، من هنا يجب علينا جميعًا أن نتعايش ونجعل أخلاقنا هي الأحسن مع علاقتنا للآخرين ومع المجتمع حتى نكون المثل الأعلى كما وصف ربنا –سبحانه- نبينا الكريم محمدً ا - صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن أخلاق الإنسان هي سجاياه وطبائعه التي يدير بها حياته ويتعامل من خلالها مع الناس . وما ذكره العلماء والمفسرون في قوله تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ ﴾ من قصته مع ابن أم مكتوم وكان عنده بعض أكابر قريش والذين طمع في إيمانهم إلا دليل على أمانته وصدقه، وبالتالي حسن خلقه – صلى الله عليه وسلم.

إن أخلاق الإنسان هي سجاياه وطبائعه التي يدير بها حياته ويتعامل من خلالها مع الناس، فهناك الكثير من الأفراد يقعون تحت وطأة الاستسلام للسلوكيات التي ألفوا السير عليها، ولا يقبل مناقشته معللاً ذلك بأن هذه طريقته وطبيعته.

والمروءة في قوله تعالى : ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ۝٣٧ ﴾ [سورة عبس : الآية 37] . مشتقة من المرء، أي الإنسان، وهذا يعني أن المروءة مشتقة من هذا المعنى، والإنسانية تعني اتصاف الإنسان بطبيعته الإنسانية الأصلية والتي تنسجم مع ميزة الإنسان على سائر المخلوقات .

وقد حاول المستشرقون البحث في القرآن والتنقيب عن الآيات التي ورد فيها عتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ليتخ ذوها وسيلة للتخطيء وإظهار أن النبي - عليه الصلاة والسلام- لم يكن على صواب، وأن أخلاقه لم تكن مثالية، وإلا لما ورد هذا العتاب في القرآن.

ويرى الباحث – بعد تبيان تلك الصفات الحسنة الجمة التي اتصف بها المصطفى عليه الصلاة والسلام - أنهم عكس ذلك، فقد أثبتوا بادع ائهم ما يلي:

- أن القرآن منزل من عند الله وصل إلينا كما أنزل، وأنه لم يحدث فيه تبديل ولا تغيير، ولو حدث ذلك لحذفت منه هذه الآيات التي تتضمن العتاب أو على الأقل حرفت.

- كما أثبتوا صدق أمانة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في إبلاغ الرسالة، وإلا لأخفى هذه الآيات وما استطاع أحد من البشر أن يعرف إذا كانت أنزلت أم لا.
- ك ما أنهم أثبتوا أن القرآن لو كان كلام بشر ما كان يحتوي عتاباً ا لرسول الله، فالبشر من عاداتهم لا يتقبلون النقد ويدَّعون الكمال، وما من منهج بشري يلوم فيه صاحبه نفسه أو يعاتبها، بل كل منهج وضعه بشر يحاول أن يوهم نفسه والناس بأنه هو الكمال المطلق.

فهذه الحادثة التي نزلت في عبد الله بن أم مكتوم – رضي الله عنه- والذي أعرض عنه الرسول - عليه الصلاة و السلام - لانشغاله مع كبراء قريش، لعلهم يسلمون ويُسلم معهم من يتبعهم، وهذا الفعل لم يقصد به النبي - صلى الله عليه وسلم- أي انحياز طبقي بين الغني أو الفقير، ولكنه ظنَّ أن الغني سيكون مؤثراً في الدعوة إن أسلم أكثر من الأعمى الفقير، ونزلت الآية تعاتب الرسول - عليه الصلاة و السلام- عتاباً رقيقاً حتى أن الله –تعالى- لم يوجه الخطاب مباشرة لرسوله الكريم تلطفاً ورحمة به ،وإنما جاء ب صيغة المجهول ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ ثم بعدها جاء ضمير المخاطب ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾ ، وهذا من حب الله تعالى لرسوله ولطفه به، لأنه يعلم أنه لم يعرض عن الأعمى تَكَ بوًّا، وإنما حرصه الشديد على إسلام صناديد قريش وزعمائها ما هو إلا عزة للإسلام و المسلمين.

من أجل ذلك كله نقول : إن عتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في القرآن لم يكن عتاب لوم، ولكنه عتاب إسراف في الاجتهاد في الدعوة، فنهاه الله عنه، وما ذلك إلا دليل على صدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم- لذكره هذه الحادثة وفي ذلك درس تعليمي للأمة على قدر هذه القيم والمبادئ والأخلاق ، كما في ذلك ضرورة الاهتمام بكل الأفراد في مسيرة الدعوة، وألاَّ نتجاوز ذوي الحاجة، فقد يكون فيهم من الخير ما لا يكون في غيرهم .، ولو كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم- كما يدَّعي هؤلاء المغرضون لأخفى ما أخفاه من شأن هذه السورة، ولكن معلم البشرية ينأى عن ذلك؛ لأن الله - سبحانه وتعالى- هو الذي وصفه بصاحب الخلق الحسن، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤ ﴾ [سورة القلم: الآية 4] .

15) **التحذير من الجحود والإنكار**:

لعل أبرز ما توضحه هذه السورة الكريمة من خلال قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس :17–22] جحود الإنسان لخالقه - سبحانه وتعالى، وتذكّره بأصله ونشأته، وتهيئة الله تعالى له، وتيسير السبل أمامه، كما تذكّره بنهاية حياته الدنيوية بالموت والقبر، ثم إعادة بعثه ونشره ليلقى حسابه وجزاءه في الآخرة، وعلى الرغم من ذلك فإنه لا يتقيد بأوامر الله ولا يقوم بتنفيذها..

ويستأنف البيان الإلهي في عرض النعم التي أنعم بها على هذا الإنسان، فيقول: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة عبس: الآيات 25- 32]، فتسرد هذه الآيات على هذا الجحود الإنساني باستعراض عدد من دلائل القدرة الإلهية المبدعة في خلق الإنسان، وإعداد طعامه وطعام أنعامه، وتذكّره بالآخرة وأهوالها وشدائدها؛ باستعراض عدد من مشاهدها، وتصوير انعكاس ذلك على الخلائق فيها الذين سوف يتمايزون إلى مؤمن مستبشر سعيد، وكافر شقي تعيس.

وهكذا تتتابع الآيات في تعجب ساخر من موقف الإنسان الذي يكفر بالله، ويتجاهل ضرورة الإيمان به، ويعرض عن هدايته، ويستعلي على رسالته وعلى الخضوع لجلاله بالطاعة والعبادة، فتذكّره الآيات بأصله ومنشئه، وضعفه في بدايات وجوده، وحاجته إلى رعاية ربه في مختلف مراحل نموه، وفي جميع لحظات وجوده؛ وقد أعطاه الله - تعالى - العديد من المواهب والقدرات، ويسّر له سبل الحياة، وطرق الهداية، والإنسان غافل عن ذلك كل الغفلة، فلا يؤدي ما عليه لله - تعالى - من حقوق، ولا يقوم بدوره على الأرض كما رسمه له خالقه، فما أكفره بنعم الله، وما أجحده بأفضال خالقه عليه...!!

وتعبيرًا عن هذا الموقف الجاحد من الإنسان الكافر بنعم الله والمتنكر لأفضاله قال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [سورة عبس: الآية 17]. ولفظ قُتل هنا دعاء

على الكافر، ولعنٌ له، وهو من الله - تعالى- غضب عليه في الدنيا ، وعذاب ومهانة واقعان به لا محالة في الآخرة ، فمهما يطل عمره في الدنيا فآخرته الموت والقبر تحت الأرض، والقبر إما أن يكون روضة من رياض الجنة أو حفره من حفر النيران .وأمره في بدء خلقه كأمره في يوم بعثه .

وانطلاقاً من ذلك فعلى كل إنسان عاقل أن يستعد ليوم الحساب ، وأن يجد من أجل النجاة من أهواله ، فالحياة ليست للهو والعبث ، ولا يمكن أن تقضى سدً ى، فللإنسان فيها رسالة ذات وجهين : عباده الله - تعالى - بما أمر ، وحسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض بعمارتها ، وإقامة عدل الله فيها . والناس في غالبيتهم الساحقة تغيب عنهم هذه الحقيقة، فيهدرون أعمارهم وهم عن الحق لاهون حتى ينتهي بهم الأجل، فيفاجئون بلحظة الحساب، وما أشقها وأشقاها من لحظه..!! لذلك قال ربنا - تبارك وتعالى: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾.

فالله - تعالى - صاغ هذه الآية الكريمة بصيغه الاستفهام الاستنكاري التوبيخي، التقريعي للإنسان الكافر، بمعنى: ما الذي حمله على الكفر بالله؟ ، أو ما أشد كفره بالله مع كثره إحسان الله - تعالى - إليه ، والصيغة في الحالين فيها التعجب من شدة كفره، وتأكيد استحقاقه العقاب بأشد ألوان العذاب...!!

ولذلك اتبعت هذه الآيات بقوله تبارك وتعالى : ﴿كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة عبس: الآية 23]. ولفظة (كلا) هنا بمعنى (حقًّا) إنه لم يفعل ما أمره به الله - تعالى- فاستحق العذاب الذي حذره - سبحانه- منه عن طريق الأنبياء والمرسلين.

وهكذا يتبين لنا أن الجحود هو بالقلب دون اللسان مما أوجب الله –تعالى- عليه المعرفة به، ويعلم بدليل شرعي أنه يستحق العقاب الدائم الكثير .، والجحود والإنكار للجميل هو خلق ذميم ، فقد نهى الله عنه في قوله : ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [سورة عبس : الآيات 17–22]، قتل الإنسان الكفور الجحود ، يغرقه الله بنعمه ويكفر ولا يشكر، ويتحبب –سبحانه- إليه بالثناء على بعض ما عمل من الصالحات، ويكون هو سبحانه مكّنه من ذلك ، فيدير له ظهره معتدًّا بقدرته البشرية، وهي لا تقوم إلاَّ بالله الذي تقوم به السموات والأرض ،

والجحود والإنكار من صفات التكبر ، ولذلك ينبغي على المدرسة حفظ الطلاب من خلُق التكبر ونكران الجميل، وأن يعمل المعلم على غرس عق يدة الإيمان في نفوس الطلاب، وذلك أن الإيمان والكبر لا يجتمعان في نفس مؤمنة، قال - صلى الله عليه وسلم- : «لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء»[□].

ولهذا فإن تحقيق العقيدة الصافية من شأنها أن تسمو بأخلاقيات الطلاب وتوجههم نحو التواضع والمثالية، كما أن على المعلم أن يكون قدوة حسنة في تواضعه مع طلابه، وذلك بأن يظهر لهم رحمته بهم وشفقته عليهم وتعاطفه مع مشاكلهم ، ومساعدتهم في كل كبيرة وصغيرة، وعليه أن يجعل نفسه محبوبًا لديهم لا يهابه الطلاب بكل يجعلونه أبًا واعيًا، يتحدثون له عن كل ما يواجهونه من متاعب، فيكون لهم الأب والمربي والناصح الأمين، فكل هذا يدل على تواضع المعلم وعدم تكبره على طلابه.

أما القائمون على المناهج فينبغي عليهم أن يحرصوا على تضمين مواد الحديث، والثقافة الإسلامية، والقراءة والمطالعة موضوعات عن التكبر، وإيراد الآيات والأحاديث التي حذرت منه، وكذلك إيراد قصص عن عاقبة المتكبرين من الأولين والآخرين، وأما القائمون على النشاط المدرسي فمن الممكن أن يكون دورهم في ذلك استغلال الإذاعة المدرسية في التحذير من التكبر والحث على التواضع.

أما الإدارة المدرسية فهي أساس كل عمل مدرسي، ويتمثل دورها في تنمية صفة التواضع والتحذير من ال تكبر، فيكون ذلك في احترامها للمعلمين والطلاب، وأن تكون قراراتها واعية، ليس فيها استبداد، أو تسلط، أو دكتاتورية، بل عليها أن تعمل على تطبيق مبدأ الشورى، كما يجب أن تقوم بدع م كل ما يقوم به المعلم من تطبيقات تساهم في التحذير والتنفير من الكبر والكبرياء[□].

16) تنمية "الحوار الخطابي" الأخلاقي التربوي:

([□])رواه مسلم، ج1، برقم (275)، ص65.

([□])أحمد بن سلامة بين محمد العمراني، المبادئ التربوية المستنبطة من سورة (ص) وتطبيقاتها التربوية، مرجع سابق، ص194 – 195.

إن توجيه الكلام إليه - صلى الله عليه وسلم - بأسلوب الغيبة كان لحكم ونكت بلاغية ربما تغيب عن ذهن من لم يتذوق أساليب اللغة العربية وبلاغتها ... فقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ بأسلوب الإخبار عن الغائب فيه تعظيم له وتكريم فكأن الكلام موجه لغيره ... ثم يلتفت ويأتي بأسلوب الخطاب ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾ تأنيساً له - صلى الله عليه وسلم، قال صاحب روح المعاني: وضمير عبس وما بعده للنبي - صلى الله عليه وسلم وفي التعبير عنه عليه الصلاة والسلام بضمير الغيبة إجلال له - صلى الله عليه وسلم لإيهام أن من صدر عنه ذلك غيره ؛ لأنه لا يصدر عنه - صلى الله عليه وسلم- كما أن في التعبير عنه - صلى الله عليه وسلم - بضمير الخطاب في قوله سبحانه ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾ ذلك لما فيه من الإيناس بعد الإيحاش والإقبال بعد الإعراض والتعبير عن ابن أم مكتوم بالأعمى للإشعار بعذره في الإقدام على قطع كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم- وتشاغله بالقوم.

قال ابن عاشور: "ولما كان صدور ذلك من الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم- لم يشأ الله أن يفاتحه بما يتبادر منه أنه المقصود بالكلام فوجهه إليه على أسلوب الغيبة ليكون أول ما يقرع سمعه باعثاً على أن يترقب المعنى من ضمير الغائب فلا يفاجئه العتاب وهذا تلطف من الله برسوله - صلى الله عليه وسلم - ليقع العتاب في نفسه مدرجًا وذلك أهون وقعًا... ثم جيء بضمائر الخطاب على طريقة الالتفات"[1].

إن مخاطبة الله - سبحانه وتعالى- لنبيه الكريم لإرشاده إلى طريق الخير وتوجيهه وعتابه - إن دعا الأمر- لها مضامين في الحوار الخطابي للتذكير وللإيضاح، أو لبيان مسألة من المسائل التي ينفع بها أمته ويوجهها بها، ومن أوضح صور هذا الحوار ما يراد به من تذكير- كما ورد في قصة ابن أم مكتوم - رضي الله عنه- وتذكير الله - سبحانه وتعالى- لنبيه خطابيًّا بما فاته من عمل كان لو أداه في حق ابن أم مكتوم – رضي الله عنه- لكان أعظم له مما يؤديه لعظماء قريش وسادتهم، وليس هذا فحسب، فالله- سبحانه وتعالى- أنزل الحوار في كتابه الكريم كأحد أه م المحاور الأخلاقية التربوية.

([1])محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الطبعة التونسية، مرجع سابق، ج 16، ص 93.

كما يلاحظ الباحث أن البيان الإلهي والإعجاز القرآني يتجلى في طريقة عرض هذا الخبر، بحيث يجذب القارئ إليه وبالتالي يدعوه لإدراك هذا الخطاب وأن يكون دعوة عام ة للأمة جمعاء وإعجازها على إيراد مثل ذلك الخطاب، فإتيانه هذه القصة بعبوس وجه النبي- صلى الله عليه وسلم- بسبب هذه الحادثة أو غيرها لا يتنافى مع ما جاء في حسن خلقه والأمر بالاقتداء به، فهو - صلى الله عليه وسلم- أحسن الناس خلقًا، وهو وحده الأسوة الحسنة، لكنه ب شر يعتريه ما يعتري البشر من الأعراض كالغضب والسرور والمرض والصحة ... ويظهر ذلك على جسده وملامح وجهه، فكان صلى الله عليه وسلم يتغير وجهه عندما يرى ما يكره... ويظهر عليه السرور عندما يرى ما يحب.

وقد ورد ذلك في أحاديث كثيرة صحيحة، وسبب عبوس وجهه - صلى الله عليه وسلم- إلحاح ابن أم مكتوم وهو معذور - طبعًا- لأنه لا يرى حال النبي - صلى الله عليه وسلم- وانشغاله عنه، فهذه الحادثة وطريقة عرض الخطاب الإلهي كان لها وقع كبير في جذب الانتباه، والذي من شأنه أن يدعو الأمة كلها للاقتداء بكيفية عرض الحوار الخطابي، وكيف بدأ!! والصورة التي بدأها!! فكان "افتتاح هذه السورة بفعلين متحملين لضمير لا معاد له في الكلام وذلك تشويق لما سيورد بعدهما، والفعلان يشعران بأن المحكي حادث عظيم، فأما الضمائر فيبين إبهامها قولُه : ﴿ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ ﴾ [سورة عبس: الآية 6] وأما الحادث فيتبين من ذكر الأعمى ومَن استغنى"(□).

كما أن السورة بُدأت بكلمة (عبس) ، وهي تدل على تعبير للوجه، وختمت بما يذكر الوجه ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ ﴾ وهذا من تناسب المطلع والختام.

كما اشتملت الآية على كلمتين ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ ﴾ صوَّرتا حالة الإعراض، واحدة بدلالة الوجه (عبس)، والأخرى بدلالة الجسد كله، أو صرف الاهتمام (وتولى)، والعبوس: حالة تعتري الوجه، ومظاهرها التقطيب المصحوب بمسحة غضب . وقد تقدم العبوس على التولي؛ لأنه الحالة الأولى، ويكون التولي بعده.

(□)محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتزوير، الطبعة التونسية، مرجع سابق، ج 16، ص 92.

وكذلك عدم ذك ر الفاعل من قبل مع أنه معروف من سياق النزول أنه محمد ﷺ، تكريمًا له ﷺ، ويظهر الفرق لو قيل : عبس محمد وتولى، لكان في الأسلوب إلصاق دائم لهذه الصفة به ﷺ، "وآذن بمدحه صلى الله عليه وسلم بأن ذلك خلاف ما طبعه عليه سبحانه من رحمة المساكين ومحبتهم والسرور بقربهم وصحبتهم"[1] .

ويستفاد من الحوار [2] داخل المدرسة من خلال اللقاءات المفتوحة مع الطلاب كمجموعة، أو الالتقاء بهم فرادى لمناقشة مشكلاتهم والعمل على حلها، كما ينبغي للمعلم أن يستمع لطلابه دائمًا، ويلاحظ سلوكهم، ويحاورهم حوارًا هادئًا إذا ما علم أن بعضهم يتجهون وجهة خاطئة، ومن أبرز المجالات في ذلك ما يتفشى بين الطلاب من عادات سيئة كالعنف، أو التدخين، أو ممارسة بعض السلوكيات المرفوضة.

من أجل ذلك فإن للحوار هنا أثرًا كبيرًا في توجيه سلوك الطلاب، كما يمكن أن يؤدي ذلك إلى الشعور بالندم عند الطلاب الذين يرتكبون الأخطاء ف يعدلون سلوكهم.

كذلك يمكن للمعلم أن يسوق قصصًا تصب في معاني الحوار الإيماني بقصد معالجة قضايا الطلاب التربوية وحل المشكلات التي تواجههم.

([1])إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، نظم الدرر، طبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدراباد – الهند، ج 9، ص 332.

([2])عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، مرجع سابق، ص173.

الفصل الســـــادس

التطبيقات التربوية المستنبطة من سورة عبس

- المبحــث الأول: في المجال الأسري.
- المبحث الثاني: في المجال المدرسي.
- المبحث الثالث: في المجال الاجتماعي.
- المبحث الرابع : دمج ذوي الاحتياجات الخاصة والأخذ بأيديهم تعليميًّا واجتماعيًّا.

المبحث الأول:

المضامين التربوية المستنبطة من سورة عبس في المجال الأسري:

سورة (عبس) غنية في دلالاتها ثرية بمعانيها، مما يج علها ملأى بما يصلح لاستنباط تطبيقات تربوية في غاية الأهمية؛ لهذه السورة مو قع خاص في حياة الدعوة الإسلامية، فهي تصحيح لمسار الدعوة ، وإصلاح لخطواتها، وهي تعطي ميزانً ا لأقدار الرجال ، فبعد أن مدح الله سبحانه نبيه الكريم - صلى الله عليه وسلم- في سورة (النجم) ، بأحسن الصفات التي ترفع قدره ، وتعلي ذكره ، تأتي سورة (عبس) التي نزلت بعد سورة (النجم) – لتريه درساً في طريقة الدعوة، وفي تقدير الناس، فهي تعتب عليه عتبً ا رقيقاً رفيقاً، لكنه مؤثر، لما أعرض عن رجل فقير أعمى هو عبد الله بن أم مكتوم – وقد جاءه ليتعلم منه شيئاً مما علمه الله – إذ كان في هذه الأثناء يدعو بعض صناديد قريش – ومنهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب . فترى فاتحة السورة عتابً على هذه الطريقة، وبياناً لأن قدر الرجل يتحدد بناءً على إقباله على الحق لا على هيئته بين الناس ..

ثم تتابع قضايا الدعوة الإسلامية بعد ذلك ؛ فيذكر الإنسان بأصل خلقته، ومنة الله عليه بكيفية خلقه، وتيسيره إلى السبيل، و بنعمة ستره حتى بعد الموت بالقبر، ثم بالنشر، لأن القادر على الخلق قادر على النشر، وتقرع الإنسان على تفريطه في قضاء أمر الله عليه، وهو الذي ييسر له الحَ بَّ والفاكهة والعُ شبَ والمرعى له ولأنعامه . فكيف إذا جاءت الساعة التي تهز الأسماع، وتخلع القلوب، فيفر المرء من أحب أحبائه ، وأولى أوليائه؟ إنه يوم عظيم ينشغل المرء بأمر نفسه، ولا يهتم بأمر غيره ، الوجوه هنالك إما بيضاء منيرة مشرقة بعمل الصالحات ، أو مغبرة كئيبة مسودة من إدمان السيئات.

وفي هذا الفصل يقترح الباحث مجموعة من التطبيقات التربوية التي تحقق التطبيقات التربوية المستنبطة من سورة (عبس) ، وفي الختام يتقدم الباحث بمشروع تربوي يربط التطبيقات التربوية ببعضها في تكامل وشمول ، ومن ثم التطبيقات التربوية على ذوي الاحتياجات الخاصة . ولعل من الأهمية بمكان أن نبدأ الحديث عن دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأسرة و المدرسة في تطبيق المضامين التربوية التي جاءت في سورة عبس.

الأسرة لغة:

الأسرة هي " الدرع الحصينة، وعشيرة الرجل ورهطه الأدنون؛ لأنه يتقوى بهم، وه ي القوة والحبس، وسمي الأسير أسيرً لأنه يربط ويشد"(□).

فالأسرة في اللغة تأتي بمعانٍ مختلفة، ولكنها متقاربة في مجملها، ويقصد بها القوة والربط والتحصين . ولم ترد كلمة (الأسرة) إطلاقًا بهذا اللفظ في القرآن الكريم، إنما هناك استخدام لكلمة (الأهل) بمعنى الأسرة، فللأرجح أن كلمة الأسرة قيد ثقيل يثقل كاهل الإنسان، ومهما يكن من التفسير فإن الأرجح أن كلمة الأسرة قد دخلت حديثًا إلى اللغة العربية(□).

الأسرة اصطلاحًا:

أجمع دارسو علم الاجتماع أن الأسرة منظمة اجتماعية تمارس نفوذًا كبيرًا على أفرادها باعتبارها أول منظمة تتلق ى الفرد وتوفر له الرعاية والغذاء وكل متطلبات التنشئة الاجتماعية وهو في داخل هذه المنظمة يتشرب قواعدها التنظيمية ويخضع لسننها الاجتماعية وعاداتها وأعرافها وتقاليدها ويتفاعل مباشرًا مع بقية أفرادها.

والأسرة هي " الدرع الحصينة، وعشيرة الرجل ورهطه الأدنون؛ لأن ه يتقوى بهم، وهي القوة والحبس، وسمي الأسير أسيرً لأنه يربط ويشد"(□).

والأسرة المسلمة هي لبنة من لبنات المجتمع، تتكون من الزوج والزوجة وأبنائهما، وتعيش في مكان واحد، ويسود بين أفرادها تفاعل متبادل وعلاقات خاصة يجمعها المودة والألفة والرحمة، كما قال تعالى: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) اسورة الروم: الآية21].

وتعتبر الأسرة أهم الوسائط التربوية التي تؤدي وظيفة ا لتنشئة الاجتماعية، فهي المحضن الأول الذي يتلقى فيه الفرد لبنات البناء المعرفي والقيمي في الحياة.

فالأسرة المسلمة –إذن- هي المؤهلة لرعاية الأبناء وتربيتهم، بما يكفل لهم حياة سوية، ووقاية من الخسران في الدنيا والآخرة.

دور الأسرة في تحقيق المضامين التربوية :

(□) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج4، ص19.

(□)حسن مصطفى عبد المعطي، الأسرة ومشكلات الأبناء، القاهرة: دار السحاب، 2004م، ص17.

(□) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج4، ص19.

وقد لفتت سورة عبس إلى قضايا مهمة في مجال تربية الأسرة، فالأسرة منوط بها أن تحتضن أبناءها بالرعاية والتربية، وتصونهم عن الوقوع في مسالك الانحراف والزلل، " ولقد دلت تجارب العلماء على ما للتربية في الأسرة من أثر عميق خطير، يتضاءل دونه أثر آية منظمة اجتماعية أخرى في تعيين الشخصيات وتشكيلها، وخاصة خلال مرحلة الطفولة المبكرة، أي السنوات الخمس أو الست الأولى من حياة الفرد. وتكون السنوات الأولى من حياة الطفل فترة حاسمة خطيرة في تكوين شخصيته، وتتلخص خطورتها في أن ما يغرس في أثنائها من عادات واتجاهات وعواطف ومعتقدات يصعب أو يستعصي تغييره أو استئصاله فيما بعده، ومن ثم يبقى أثرًا ملازمًا للفرد في عهد الكبر"(□).

فللوالدين دور مهم في بناء شخصية الطفل بناء سويًّا، من الجهة الجسمية وكذا النفسية حتى يشب سويًّا، يقول الإمام أبو حامد الغزالي : " اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه؛ فإن عُوِّد الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عوّ ده الشر وأُهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له"(□).

وقد دلت تجارب العلماء أن للتربية في الأسرة أثرًا كبيرًا وخطيرًا، يتضاءل دونه أثر أية منظمة اجتماعية في تعيين الشخصيات وتشكيلها، ولاسيما في مرحلة الطفولة المبكرة – أي السنوات الخمس أو الست من حياة الفرد- وتكون السنوات الأولى من حياة الطفل فترة حاسمة وخطيرة في تكوين شخصيته، وتتلخص خطورتها في أن ما يغرس أثنائها من عادات واتجاهات وعواطف ومعتقدات يصعب أو يستعصي تغييرها فيما بعد، ومن ثم يبقى الأثر ملازمًا للفرد في عهد الكبر(□).

فللوالدين دور مهم في بناء شخصية الطفل بناءً سويًّا من الجهة الجسمية والنفسية، حتى يشب سويًّا، يقول الإمام أبو حامد الغزالي: "اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه،

(□)أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، المكتبة المركزية جامعة الملك عبد العزيز، جدة ،ص426.

(□)أبو حامد محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، صيدا: المكتبة العصرية، 1420هـ. ص72.

(□)أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، مرجع سابق، ص426.

فإن عُوِّد الخير وعَلِمَه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له مؤدب، وإن عوّده الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيّم عليه والوالي له"(□).

ويرى الباحث أن القضايا المهمة التي يمكن استنباطها من سورة (عبس) كمضامين تربوية في مجال الأسرة عديدة حملت معاني تربوية جليلة في جوانب حياة المسلم كافة ، ومنها في الجانب الأسري وكيفية تربية الأطفال والتعامل مع الأهل والأبناء وعلاقة الآباء بالأبناء وعلاقة الأبناء بالآباء، وغير ذلك والتي من أهمها ما يلي:

1ـ تحقيق مبدأ المساواة والشفافية في علاقات الأبناء بالآخرين:

يعد مصطلح الشفافية مصطلحًا معاصرًا فشى استعماله في السنوات القليلة المتأخرة ؛ الأمر الذي كان مثار العديد من التساؤلات حيال مفهوم هذا المصطلح ونشأته وتحديد أبعاده ، فللشفافية - في حقيقتها وفيما يبدو للباحث- تعد مركبًا يضم عددًا من القيم الإنسانية الفاضلة كالصدق والعدل والحرية والمساواة والنزاهة ونحوها وبالتالي فاستيعاب تلكم القيم - على غزارة مدولاتها وسعة مجالاتها- في تعريف محدد الصياغة يعد أمرًا متعذرًا .

ولكن، وفي ضوء ما تقدم يمكن إعطاء تصور عام عن الشفافية يقال فيه : إنها مجموع القيم الفاضلة كالعدل والصدق والأمانة والمساواة والنزاهة ونحوها الموصلة إلى غايات نبيلة كحفظ الحقوق ومحاربة الفساد والظلم والتعدي على الغير ونحوها في محاسبةٍ ومكاشفةٍ مع قبول نفسي ورضًا داخلي لما للإنسان وما عليه.

وتتجلى رعاية الإسلام لمبدأ الشفافية من خلال تضمن القرآن الكريم عرضًا لكثير من المواقف التي صدرت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تنبيهًا إلى لزوم العدل والمساواة والصدق والمكاشفة والمحاسبة وغيرها ، فيما بينه وبين أصحابه يقول جل شأنه : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١﴾ [سورة عبس: الآيات 1- 11].

(□)أبو حامد محمد الغزالي، إحياء علوم الدين،ج3، مرجع سابق، ص72.

وهكذا فقد قرر الإسلام مبدأ المساواة بين الناس في أكمل صوره وأمثل أوضاعه واتخذه دعامة لجميع ما سنّه من نُظُم لعلاقات الأفراد والجماعات.

لذلك يجب الاستماع وا لإنصات للصغير والكبير من الأبناء دون تمييز بينهم ، أو استخفاف برأيهم أو تسفيههم ، فيجب على الأب أو الأم الاستماع لمشاكل أطفالهم وأبنائهم وهمومهم ومحاولة مساعدتهم على حلها ، بل ومناقشتهم في حل مشاكلهم، فلربما كان في قول الصغير ما يرشد الكبير للهدى والحق، وهذا ما أشارت إليه الآيتان الكريمتان: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ ﴾.

فالمساواة في الإسلام –إذًا- تعني المماثلة في الحقوق والواجبات بين الناس جميعًا فلا تمييز لأحد على آخر بلون أو عِرق أو جنس وهي مساواة شاملة

فقد استعمل الله - جل وعلا- وهو الخالق المتصرف في مخلوقاته أسلوب التنبيه اللطيف مع سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم حينما خاطب بصيغة الماضي الغائب بقوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ ﴾ وهو سبحانه وتعالى يعلمنا بذلك ضرورة الرفق واللين مع جميع الناس، فمن الأولى والأصلح مع الأهل والزوجة والأبناء.

لذلك يجب أن يكون التعامل مع الأبناء والبنات من منطلق الأبوة أو الأمومة التي لا تميز بين الصبي والفتاة، أو الابن الكبير والابن الصغير، بل يجب أن يتساوى الجميع بحظوظهم من الرعاية الممنوحة لهم من الوالدين حتى لا يشعر أحدهم بج فوة لنقص فيه ولا يتمادى غيره فيسيء الأدب مع والديه لميزة وهبها الله له، فالجميع أبناء وبنات متساوون في الحقوق والواجبات أمام الوالدين، وبالتالي فالوالدين يتعاملون مع الأبناء والبنات بنفس السوية دون تمييز أو حياد ، وهذا متضمن في قوله تعالى : ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ ﴾.

كما أن على الوالدين –مثلاً- تعميق الصلة بين جميع أفراد الأسرة وبين الله - سبحانه وتعالى- عن طريق الاهتمام بكتاب الله عز وجل، وتخصيص وقت محدد لقراءة ورد معين، وعدم التهاون في ذلك، لأن متابعة قراءة القرآن الكريم وتدبر معانيه والإحساس بأهميته يغرس في النفس محبة الله تعالى والأنس به، وكذلك ينبغي مراعاة معرفة الله - عز وجل- عن طريق صفاته، كأن يبين الوالدان للأبناء أن الله هو

الحليم والغفور والكريم والرزاق، وغيرها من الصفات التي تشعر الأبناء بأن الله هو ملك الكون وبيده مقاليد الأمور، فلا يعود يحتاج إلى أحد من البشر، بل سيلجأ مباشرة إلى خالقه مما يحقق له راحة نفسية عميقة(□).

2ـ تربية الأبناء على التواضع وعدم التكبر:

كما نلمس في هذه السورة الكريمة ضرورة تنبيه أبنائنا وتربيتهم على التواضع وعدم التعالي والغرور، فالإنسان مهما سما وعلا وشَرُفَ فهو عبد لله وما به من نعمة فمن فضل الله، فآخره ومرجعه إلى الله، فأنى له التعالي على خلق الله وهو صنوهم في العبودية، وربما دونهم، ويكفيه التساوي معهم بالخلق من نطفة مذرة، والنهاية بالموت المحتوم على كل المخلوقات، وما بينهما فكل ميسر لما خلق له، وهو ما يحاسب عليه الإنسان يوم القيامة.

لذلك يجب على الآباء تذكير الأبناء وتنبيههم إلى أمر هام ؛ ليتفكروا فيه وهو كيفية خلق الإنسان وم ا تجنيه يداه في حياته ثم انتهاؤه بالموت، وهو ما يوضحه قوله تعالى : ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [سورة عبس : الآيات 17–22].

وقد ذكر وصف الاستغناء ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾﴾.(استغنى) يشير إلى الكِبَر والاكتفاء والإعراض عما يدعو إليه النبي ﷺ، "فالسين والتاء للحسبان، أي حسب نفسه غنياً، وأكثر ما يستعمل الاستغناء في التكبُّر والاعتزاز بالقوة "(□). ومثل هؤلاء ينبغي ألا يصرف كل الوقت والجهد لهم، ويهمل المحتاجون المقبلون، وفي هذا المجال يذكر المعتنون بالخطاب والجمهور أن على الملقي والمتحدث أن يهتم بالجمهور الراغب، وألا ينشغل بالجمهور المعرض.

فحقيقة الكِبَر هي في القلب، من رؤية النفس فوق الخلق، واحتقار الناس، وعدم قبول الحق، والكِبْرُ في القلب وله مظاهر عدة، جاء بعضها في نصوص الكتاب والسنة، فمنها ما بينه النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث السابق من بطر الحق أي

(□) أبو عبد الله محمد بن أبي بكرابن قيم الجوزية ، الفوائد، بيروت: دار الكتب العلمية، 1393هـ، ص201.

(□)محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 16، ص 95.

عدم قبوله، فيترفع المتكبر عن قبول الحق بكافة أشكاله، من نصح وإرشاد وعلم وتعليم، والحق يجب أن يخضع له كل أحد وهو أحق أن يتبع.

ومن مظاهره ازدراء الآخرين واحتقارهم والترفع عنهم، وقد كان سيد الخلق صلى الله عليه ولم وأرفعهم مقامًا أكثر الخلق تواضعًا، فقد كان يسلم على الصبيان، وكانت الأمة تأخذ بيده في أسواق المدينة في حاجتها، وكان مبتسماً بشوشًا.

فلينظر المتكبر المختال في أصله ومآله، وفي ضعفه وموته، ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ۝٢٣ ﴾ [سورة عبس : 18- 23]. فيا أيها المغتر بأصله، إنك من تراب، ومردك إلى الموت والتراب، ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢ ﴾ سورة عبس: 21- 22].

3ـ التفكر في آلاء الله تعالى وشكرها:

فمن تفكر في آلاء الله دلَّهُ على عِظَمِ ربه عز وجل وأصابه طمأنينة وسكينة وخشوع وخضوع للرب - عز وجل - .لهذا أمرنا ربنا –سبحانه- بالتفكُّر في آلائه وملكوته وآياته، لذلك لابد للمسلم من تربية نفسه وأهله وأولاده على التفكُّر في آلاء الله –سبحانه وتعالى- في المخلوقات، وأن كل شيء خلقه الله بقدر، فلابد من تربية الأبناء على الحفاظ على مخلوقات الله وحسن استعمالها ، وشكر الله –تعالى- عليها حتى تدوم تلك النعم عليه ، فينتفع بها ، فالذي أنزل الماء من السماء ، وروّى به الأرض بعد موتها ، وأنبت فيها من ألوان النباتات والمزروعات ما ينتفع به الإنسان ويستعين به على عبادة الله وحده، قادر على سلب تلك النعم ومنعها عن الإنسان إذا لم يشكر الله عليها أو لم يحافظ عليها، وجاء ذلك في السورة تنبيهًا وتذكيرًا للإنسان بقوله تعالى : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ۝٣٢ ﴾ [سورة عبس: الآيات 24- 32].

4ـتعزيز مبدأ (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته):

إن هذه الآداب الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها رب الأسرة أو الوالد ان، إنما هي تذكرة وتنبيه من الخالق - عز وجل- حتى تصبح منهاجً ا في التعامل مع الأبناء؛ وبالتالي غرسها في نفوس الأبناء وتربيتهم على الخلق القويم وذلك بالقول وال سلوك م ن الآباء والأمهات، فكل منهم راعٍ ومسؤول عن رعيته وتربيتهم وتزكيتهم وتذكيرهم وتنبيههم في مواطن الزلل ومكافأتهم في مواقف البر والخير، حتى ينشئوهم على الخلق القويم الذي أمر الله به عباده في التعامل فيما بينهم، وهذا ما يتضمنه قوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢﴾.

5ـتكريم العلم والعلماء:

بعد هذه الموعظة والتذكرة من الله - عز وجل- لحسن التربية على الخلق القويم السليم نجده تعالى يحضنا على تكريم العلم وإعلاء شأنه والسعي في طلبه، وبالتالي أن نحث أبناءنا على تحصيل، وهذا ما نلمسه في قوله تعالى : ﴿ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ١٢ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ١٣ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ١٤ ﴾ ، فيجب علينا غرس حب العلم والسعي في أبوابه المختلفة وتطبيقه التطبيق النافع المفيد في نفوس أبنائنا حتى يسمو بهم العلم والعمل به إلى مرتبة الكرام البررة وهم الملائكة رضوان الله عليهم.

وقال الطبري: ﴿ مُّكَرَّمَةٖ ﴾ في الدين لما فيها من العلم والحكم . وقيل: ﴿ مُّكَرَّمَةٖ ﴾ لأنها نزل بها كرام الحفظة، أو لأنها نازلة من اللوح المحفوظ . وقيل: ﴿ مُّكَرَّمَةٖ ﴾ لأنها نزلت من كريم؛ لأن كرامة الكتاب من كرامة صاحبه. وقيل: المراد كتب الأنبياء

6ـتذكير الأبناء بيوم القيامة وفرار الإنسان من أقرب الناس إليه:

إن التذكير بيوم القيامة وفرار الإنسان من أقرب الناس إليه وهم أمه وأبوه وأبناؤه وسعيه في نجاة نفسه يفيد في أن الإنسان لا ينجيه إلا عمله ، ولذلك وجب على الآباء والأمهات تربية أولادهم وبناتهم على ذكر ذلك الموقف الرهيب والعمل من أجله، قال تعالى : يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧ ﴾، فقد جمع الأم مع الأب لوضوح التناسب بينهما فهما الوالدان ومرتبتهما متقاربة، وتم تقديم الأم على الأب لميزتها، وعظم شأنها بالنسبة لأولادها، ولأن ابنها أكثر شفقة عليها لضعفها، ومع هذا هو يفر منها، ولا ينصرها.

وجمع الصاحب مع البنين لما بينهما من التوافق والتقارب، و ذكر الزوجة بلفظ (الصاحبة) لما في الصحبة من النصرة، فناسب هذا اللفظ هذا الموقف، يقول ابن عاشور: "وإنما ذُكرتْ بوصف الصاحبة الدال على القرب، والملازمة دون وصف الزوج؛ لأن المرأة قد تكون غير حسنة العشرة لزوجها فلا يكون فراره منها كناية عن شدة الهول، فذكر بوصف الصاحبة".

ذكر الأبناء بهذا اللفظ دون أولاد مثلاً، لأن الموقف ليس للتناسل والتكاثر، بل هو للعون والتناصر، والبنوة هنا آثر، وأكثر دلالة، "وكون أقرب الناس للإِنسان يفرّ منهم يقتضي هولَ ذلك اليوم، بحيث إذا رأى ما يحل من العذاب بأقرب الناس إليه توهم أن الفرار منه يُنْجِيه من الوقوع في مثله، إذ قد علم أنه كان مماثلاً لهم فيما ارتكبوه من الأعمال، فذكرت هنا أصناف من القرابة، فإن القرابة آصرة تكون لها في النفس معزة وحرص على سلامة صاحبها وكرامته، والألفُ يحدث في النفس حرصً ا على الملازمة والمقارنة، وكلا هذين الوجدانين يصد صاحبه عن المفارقة، فما ظنك بهول يغْشَى على هذين الوجدانين، فلا يَترك لهما مجالاً في النفس"(□).

(□)محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 16، ص 117- 118.

المبحث الثاني:

المضامين التربوية المستنبطة من سورة عبس في المجال المدرسي:

لاشك أن للمدرسة دورًا كبيرًا في تحقيق تلك المضامين التربوية ؛ لأن المدرسة ما قامت إلا لغرس القيم والأخلاق في نفوس الطلاب، وأي قيم أو مبادئ أعظم مما ذكر الله سبحانه في محكم كتابه الكريم ؟ ! كما أن للنشاط المدرسي أهمية كبيرة في تحقيق التربية الشاملة للطالب، وقد أصبح النشاط جزءًا لا يتجزأ من العملية التعليمية في المدرسة الحديثة يستوي في ذلك حصة النشاط، واليوم المفتوح، والمسابقات المختلفة، ونشاط التوعية، والإذاعة المدرسية، ونحوها، وكل ذلك ينبغي أن يستثمر الاستثمار الذي يضيف إلى الطالب بعدًا تواصليًّا مع ربه سبحانه، ومع مناحي القدوة في سيرة الرسول ﷺ وسيرة أصحابه – رضي الله عنهم أجمعين.

وللمعلم كذلك دور مهم في القيام بالرسالة التربوية؛ إذ هو المحور الأساسي الذي بني عليه الإصلاح ويناط به مناحي التربية؛ لذا نجد كافة الأمم الناهضة تضع آمالها على (المعلم) من أجل الإصلاح المنشود.

فالمعلم هو المنفذّ للسياسة التعليمية، ينفذّها عبر الوسائل المختلفة من مناهج وطرق تدريس وتوجيه وتقويم، ويتوقف نجاحه في قيامه برسالته وفق إتقانه لهذه الوسائل كلها، ولذا يعد المعلم المرتكز الذي يتوقف عليه نجاح التربية في تحقيق أهدافها وبلوغ غايتها.

ولا يخفى على ذي بصيرة مدى تأثرُّ التلاميذ بمربيهم ومعلمهم ومؤدبهم، ومما ورد في هذا الشأن وصية عمرو بن عتبة لمؤدب ولده، إذ قال له : " ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح ولدي إصلاح نفسك؛ فإن عيونهم معقودة بعينك، والحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت"(□).

وقال الإمام أبو حامد الغزالي: " ومثل المعلم من المرشدين مثل النقش من الطين، والظل من العود، فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه، ومتى استوى الظل والعود أعوج!" (□).

(□)أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، وضع هوامشه عبد المجيد الترحيني، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1998م، ص192.

(□) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، مرجع سابق. ص58.

وحتى يحقق المعلم رسالته التربوية على النحو الأكمل عليه أن يقتدي بالمعلم الأول والأسوة الحسنة محمد ﷺ الذي قدَّم خير نموذج للمعلم المربي؛ فأي معلم من المربين تخرَّج على يديه عددٌ أوفر وأهدى من هذا الرسول الكريم، الذي تخرَّ ج به هؤلاء الأصحاب والأتباع؟ فكيف كانوا قبله؟ وكيف صاروا بعده؟! إن كل واحد من هؤلاء الأصحاب دليل ناطق على عِ ظَمِ هذا المعلم المربِّي الفريد الأوحد، وهذا يذكِّ رنا بما قاله الإمام القرافي: " لو لم يكن لرسول الله ﷺ معجزة إلا أصحابه، لَكَفَوْه لإثبات نبوته"(□).

والواقع التربوي المعاصر ينبغي أن يستفيد من أساليبه ﷺ والتي تتسق مع وظائفه ﷺ ومعالم رسالته، والمعلم المعاصر ينبغي أن ينهل من معينه ﷺ فيعنى بجملة أمور:

1) الاهتمام ببناء الشخصية المتكاملة السوية، التي تلم بالعلم وتحيط بالأخلاق ، ولا تخالف فعالها أقوالها.
2) العناية بمشكلات التلاميذ، والحرص على حلها بالطرائق التربوية المناسبة.
3) إرشاد الطلاب إلى أهمية الوقت في الإسلام، وكيفية استغلال أوقات الفراغ فيما ينفع، وعدم تضييع الأوقات فيما لا يفيد.
4) إقامة علاقة طيبة بين المعلم والطلاب، واستثمار هذه العلاقة في توجيه الطلاب الوجهة العلمية والتربوية الصحيحة.
5) ربط المعلم طلابه –دومًا- بالله –سبحانه- وجعل المناهج التعليمية متسقة مع هذه الصلة، بحيث لا تكون المناهج مادة علمية مجردة من تحريك المشاعر والوجدانيات، فالمرء جسد وروح، وكلما توزعت المادة التعليمية في خطاب الاثنين اتسمت بالتوازن والتكامل، وفي ذلك استثمار للطاقات الكاملة للطلاب.
6) توجيه المعلم طلابه إلى القدوة الحسنة، التي تمثلت في سيرة الرسول ﷺ ، والتي تقدم النموذج العملي لكمال التربية وجمالها، وما يتصل بذلك من تزكية للنفس والسمو بها إلى مراقي الفلاح والصلاح والنجاح.
7) من مهمات المعلم التيسير على التلاميذ والرفق بهم، فالرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه.

(□) محمد بن إبراهيم البقوري ترتيب فروق القرافي، تحقيق الميلودي بن جمعة،،مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 2003م، ص170.

8) تربية التلاميذ على الجدية والعمل الهادف والنشاط البناء، وترك البطالة والعجز والكسل، وعلى المعلم أن يكلف طلابه ببعض الأنشطة التي تنا سب قدراتهم وتراعي الفروق الفردية بينهم، بما تنهض بهم إلى روح الجد والنشاط.

9) تأكيد الانتماء إلى المؤسسة التعليمية، عن طريق تنمية مدركات حب العلم والمعرفة، وروح الجماعة، والعمل في فريق متعاون منسجم، وفي ذلك تفعيل ثقة الطلاب في أنفسهم وفي مؤسساتهم ومجتمعهم.

10) لابد للمعلم من استثارة كوامن الفطرة السوية في نفوس الطلاب، فهذه الطريقة – إذا انطلق منها المعلم- أدى ذلك إلى التيسير والراحة في أداء العملية التعليمية التربوية بخلاف الممارسات المتكلفة التي لا تثمر نفعًا أو صلاحًا، إذ " بالرجوع إلى ما فطرت عليه النفس تحصل الوحدة، ويصبح هم المرء واحدًا، ويستجمع نشاطه لغاية نهائية فذة"(□)، وبهذا تحصل الراحة النفسية والطمأنينة القلبية والانشراح الذاتي.

تعريف المدرسة:

المدرسة لغة : " مكان للدرس، والتعلم، وجماعة من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين تعتنق مذهبًا معينًا أو تقول برأي مشترك، ويقال هو من مدرسة فلان: على رأيه ومذهبه، والجمع مدارس"(□).

وفي الاصطلاح: المدرسة منظمة تربوية لتوجيه الأفكار والعقول توجيهًا رشيدًا(□).

وتعتبر المدرسة أحد الأركان التربوية للمجتمع، وأحد مؤسسات التنشئة الاجتماعية، كما تعد المؤسسة النظامية لعملية التربية والتعليم، ومن هنا فهي جزء رئيسي في المجتمع، وتحتل المرتبة الثانية بعد الأسرة في مسؤوليتها عن تعليم وتربية وتوجيه الأبناء علميًّا ونفسيًّا، ولذا فهي تحتل مكانة كبرى بين المؤسسات التربوية في المجتمع، وهي تعد – أيضًا- امتدادًا وظيفيًّا للأسرة من حيث تنظيمها لخبرات وعمليات اجتماعية وعقلية ومهارية تقوم أساسًا على ما بدأته الأسرة وتزيد عليه؛ ولذلك لابد من الاهتمام بها، وتوفير كل ما يساهم في قيامها بدورها على الوجه الأكمل، ليكتمل ما بدأته الأسرة من تربية وتعليم، بل عليها أن تساهم بما لديها من برامج وخطط تربوية

(□) عبد العزيز محمد النغيمشي، علم النفس الدعوي، الرياض، دار المسلم،1415هـ، ص140.

(□)مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط8،1426هـ، ص854.

(□)سليمان بن عبد الرحمن الحقيل، التعليم في المملكة العربية السعودية، الرياض: دار أشبيلي، 1997م، ص219.

متكاملة في سبيل النهوض بالمستوى المعرفي والإيماني والنفسي للأجيال وتحصينهم لمواجهة الأفكار والتيارات المنحرفة عن عقيدتهم الإسلامية السمحة.

الوظائف التربوية للمدرسة:

وانطلاقًا من أهميتها ودورها التربوي الكبير في ترسيخ وغرس وتنمية قواعد ومبادئ وقيم الدين الإسلامي، ولأنها أحد المؤسسات التربوية التي يمكن أن يكون من خلالها تطبيق المبادئ التربوية[1].

فالتربية – إذن- تقوم بأداء مهام جليلة، ولها وظائف متعددة، وقد اعتنى المهتمون بالفكر التربوي بهذه الوظائف وتلك المهام وجعلوها محددة ومعلومة لدى المربين حتى يسترشد بها بمعرفة مدى أداء المدارس لوظائفها المناطة بها ومن تلك الوظائف:

أن تكون المدرسة صورة مصغرة للحياة الاجتماعية الراقية، يدرّب فيها التلاميذ على تحقيق العبودية لله رب العالمين.

أن تعطي الطالب فرصته في المدرسة لتنمية مواهبه وميوله.

أن تنمِّي لدى الطالب صفات المواطن الصالح، والمسلم الواعي.

أن تكون المدرسة بحق مجتمعًا إسلاميًا.

أن يجد الطالب في المدرسة صورةً حيَّةً للمُثُل الأخلاقية.

أن تكون المدرسة وثيقة الصلة بالمنزل.

أن تكون المدرسة قدوة حسنة.

أن تكون المدرسة مجتمعًا إسلاميًا قويًا متماسكًا متحد الهدف والفكر أساسه الحق والعدل.

أن تقوم المدرسة بتشجيع وتنمية روح البحث والتفكير لدى المتعلمين.

بيان الانسجام التام بين العلم والدين في شريعة الإسلام.

وتلك هي أهم الأهداف التي وردت في وثيقة التعليم في المملكة العربية السعودية[2].

1) المضامين التربوية في الجانب العقائدي والتعبدي:

([1])أحمد بن سلامة بن محمد العمراني، المبادئ التربوية المستنبطة من سورة (ص) وتطبيقاتها التربوية، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1428هـ، ص184.

([2])ضيف الله بن محمد بن مسفر الزهراني، بعض المضامين التربوية في سورة المعارج وتطبيقاتها، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، 1427هـ، ص169 – 170.

تبرز المضامين التربوية المستنبطة في سورة عبس من خلال الأسلوب القصصي الواقعي الذي ساقه البيان الإلهي لبيان العظة والعبرة وإيصال الرسالة المراد فهمها من سياق الأحداث التي قدرها الله –تعالى- وأراد بها لفت نظر النبي الكريم - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، ليقوم بدوره في تربية المسلمين والاستفادة مما علّمه الله تعالى، وعلى الرغم من أن انشغال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ابن أم مكتوم – رضي الله عنه- ليس انشغالاً في أمر شخصي وإنما كان في أمر دعوة قريش للإسلام(□)، إلا أن التوجيه الإلهي تجاوز ذلك لعظمة الحدث على الرغم من أن ابن أم مكتوم كان شخصًا رقيق الحال من عامة الناس، كما أن أمر الله –تعالى- قد رفع من شأن ابن أم مكتوم – رضي الله عنه - ولفت إليه نظر النبي الكريم - صلوات الله وسلامه عليه- متضمنًا في ذلك أهدافًا سامية وأمورًا جليلة من شأنها أن يتربى بها المهلم، فأوصاه الله –تعالى- بابن أم مكتوم، وخصه الرسول - صلى الله عليه وسلم- بهذه الوصية، فأصبح عنده أحب من أهله وعشيرته.

تلك هي الإثارة للانتباه التي أراد بها الله من خلالها توجيه نظر نبيه - صلى الله عليه وسلم- توجيهًا رقيقًا لرجل كعبد الله بن أم مكتوم الذي حظي برفع درجته عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، فكان يستخلفه على المدينة ويوكل إليه أمر الصلاة بالناس إن غاب – عليه أفضل الصلاة والسلام – في غزوة خارجها، وهذا أمر يستحقه ابن أم مكتوم؛ رجل أنزل الله –تعالى- فيه قرآنًا حوى على أساليب تربوية سامية تكتنفها مضامين رفيعة وتوجيهات سامية.

مفهوم العقيدة:

إن كلمة العقيدة على الرغم من كثرة ترددها على الألسنة بين عامة المسلمين وخاصتهم، إلا أنها لم ترد بهذا اللفظ في كتاب الله –تعالى- ولا في سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم- وإن كانت هناك بعض الاشتقاقات اللفظية مثل (عقد ، والعقود). ويدور معنى العقيدة في كتب اللغة حول الشد والربط والعزم والتصميم، ومنها عقد الحبل شد بعضه إلى بعض(□).

(□)عبد الله بن عباس، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، ص 501.

(□)الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ج2، ص613.

أما مفهوم العقيدة الشرعي فهو الإيمان الذي لا يرقى إليه شك، ولا تؤثر فيه شبهة بالأصول الستة وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره[1].

ويعد الجانب العقدي التعبدي من أهم الجوانب التي يجب على المدرسة أن تعمل على ترسيخها في نفوس الأبناء، لأن تلك الجوانب هي أساس كل عمل يقوم به الفرد، وبالتالي فإن ترسيخها يؤدي إلى نتائج تربوية طيبة، لذا يجب عليها أن تهتم بتنميتها لدى الطفل منذ بداية دخوله المدرسة ودخوله هذا الصرح التعليم الكبير الذي يضم الإدارة المدرسية والمعلم والمنهج والنشاط.

وتتمثل المضامين التربوية المستنبطة من سورة (عبس) عقائديًّا وتعبديًّا في الآتي:

أ- تعزيز مبدأ الحوار لدى التلاميذ لتنمية العقيدة:

على المعلمين أن يتعرفوا على مستوى العقيدة عند الطلاب منذ دخولهم المدرسة؛ ليتمسكوا بالجوانب العقدية لديهم من خلال المناقشة والحوار والإجابة على الأسئلة التي تدور في أذهانهم[2]، وأن يتبعوا أساليب تربوية لتعريف الطلاب وإقناعهم.

فللهداية لا تتطلب عقلاً فقط .. بل هي عقل وقلب، ومهما حاولنا إقناع العقل، فإن كان القلب رافضً ا فلن يؤثر كلامنا وإقناعنا ، فالأسلوب الذي أشارت إليه السورة يؤكد أن من استغنى لا يستحق عناء محاورته، فهي تضييع لوقت المسلم ، وربما يكون هناك من هو أولى بهذا الوقت وهو الشخص الذي يكون راغبًفعلاً في المعرفة والهداية.

ويبدأ الحوار من السورة الكريمة بقوله تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ حتى يبدأ معه بهذا السؤال ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤﴾ وهذا سؤال تنبيهي مراده لفت النظر لموضع الخلل، يقول ابن عاشور: "والاستفهام في هذه التراكيب مراد منه التنبيه على مغفول عنه، ... والمعنى: أيُّ شيء يجعلك دارياً، وإنما يستعمل مثله لقصد الإجمال ثم التفصيل"[3].

([1])أحمد الحمد، التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص55.

([2])أحمد بن سلامة بن محمد العمراني، المبادئ التربوية المستنبطة من سورة (ص) وتطبيقاتها التربوية، مرجع سابق، ص185.

([3])محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج 16، ص 94.

ويستمر الحوار ، فنجد المفارقة، فالمدعو مستغنٍ، وأنت يا محمد – بحرصك على هدايته – تتصدى له، وتهتم بأمره . ويستمر البيان ا لإلهي في متابعة الحوار، وفي تقديم الإعذار للنبي ﷺ بطريق الإيمان، وكذلك في ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾ ففيه إيماء إلى عذر النبي ﷺ في تأخيره إرشاد ابن أم مكتوم، لما علمت من أنه يستعمل في التنبيه على أمر مغفول عنه، والمعنى : لعله يزّكى تزكية عظي مة كانت نفسه متهيئة لها ساعتئذ، إذ جاء مسترشدًا حريصًا ، وهذه حالة خفية . وكذلك عذره في الحرص على إرشاد المشرك بقوله: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾ إذ كان النبي ﷺ يخشى تبعة من فوات إيمان المشرك، بسبب قطع المحاورة معه، والإقبال على استجابة المؤمن المسترشد.

وينتهي الحوار ويتبين المقصد الإلهي من هذا الحوار عند قوله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١﴾ ، فكلا كلمة ردعٍ وردٍ وإبطال، تشعر بأن ما قبلها غير موافَقٌ عليه، ويكون المراد إبطال ذلك الفعل المعاتب عليه، أو ما يمكن أن يقع في النفس من المعاتبة على عرض الآيات على القوم.

يقول ابن عاشور: "والأظهر عندي أن مناط العتاب الذي تؤتيه لهجة الآية، والذي رُوي عن النبي ﷺ ثبوتُه من كثرة ما يقول لابن أم مكتوم : «مرحباً بمن عاتبني ربي لأجله» إنما هو عتاب على العُبوس والتولّي، لا على ما حفّ بذلك من المبادرة بدعوة، وتأخير إرشاد، لأن ما سلكه النبي ﷺ في هذه الحادثة من سبيل الإرشاد لا يستدعي عتاباً، إذ ما سلك إلا سبيل الاجتهاد القويم".

وهكذا تم الإعلان عن هذا المبدأ من خلال الحوار والإقناع بأن ما قام به النبي ﷺ هو اجتهاد، .وقد تُرك له هامشٌ ضيقٌ جدًّا ليجتهد فيه وذلك لحك مة بالغة اقتضها المولى – جل شأنه.

ب- وجوب الإيمان بالملائكة وتعزيزه لدى التلاميذ:

ومن المضامين التربوية لجوانب العقيدة المستنبطة من سورة (عبس) تكريم الله - سبحانه وتعالى- لملائكته ، قال تعالى : ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ﴾ [سورة عبس :15–16] ، فكثيرًا ما يسأل المعلم من قبل تلاميذه عن الإيمان بالملائكة وما

حكمه، لذلك حري بالمعلم أن ينمي ذلك لدى التلاميذ من خلال تعليمهم بأن الإيمان بالملائكة هو الاعتقاد الجازم في أن لله ملائكة خلقهم من نور مجبولين على طاعته ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما ي ؤمرون، يسبحون الله الليل والنهار لا يفترون ، لا يعلم عددهم إلا الله ، كلّفهم الله بأعمال ووظائف مختلفة ، وأن الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة ، التي لا يصح إيمان عبد ولا يقبل إلا بها .

وقد أجمع المسلمون على وجوب الإيمان بالملائكة الكرام ، فمن أنكر وجودهم ، أو وجود بعضهم ممن ذكره الله عز وجل فقد كف ر وخالف الكتاب والسنة والإجماع ، وكذلك إنزالهم منازلهم التي أنزلهم الله ، فهم عباد الله مأمورون، أكرمهم الله ورفع مقامهم وقربهم منه ، وأن منهم رسل الله بالوحي وغيره ، ولا يقدرون إلا على م ا أقدرهم الله عليه ، وهم مع هذا لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعً ا ولا ضرًّا من دون الله ؛ ولذلك لا يجوز أن يصرف لهم شيء من أنواع العبادة فضلاً عن أن يوصفوا بصفات الربوبية.

وهذا القدر من الإيمان واجب على كل مسلم ومسلمة ، يجب عليهم أن يتعلم وه ويعتقدوه ، ولا يُعذر بجهله ، من أجل ذلك وصف الله الملائكة بأنهم ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ ؛ أي أن القرآن بأيدي سفرة ، أي : الملائكة ؛ لأنهم سفراء الله إلى رسله وأنبيائه ، وقد وصف الله تعالى هؤلاء الملائكة بأنهم (كرام بررةٍ) ؛ أي : خلقهم كريم حسن شريف ، وأخلاقهم وأفعالهم بارة ظاهرة كاملة ، ومن هنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد ، وبالتالي شكر الله سبحانه وتعالى على عنايته بعباده ، حيث وكل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك من مصالحهم .

ج- وجوب الإيمان باليوم الآخر وتعزيزه لدى التلاميذ:

ومن المضامين التربوية لسورة عبس من الناحية العقائدية الإيمان باليوم الآخر، ومن الممكن أن يكون التطبيق العملي لهذا المبدأ بتذكير الطلاب بالسلوكيات التي توضّح الإيمان باليوم الآخر كيوم ا لجزاء والحساب ، ومعنى إشارة الرسول - صلى الله عليه

وسلم- في اليوم الآخر: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت»[1].

ويظهر التطبيق التربوي للجوانب العقدية في الإيمان باليوم الآخر من خلال التفكُّر في الجزاء من ثواب وعقاب وتعديل السلوك الخاطئ أملاً في الفوز بالجنة والنجاة من النار، ولذلك ينبغي على المعلمين ترسيخ هذا المعنى في نفوس طلابهم وليعرفوا أن الجزاء بقدر العمل إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر[2].

والإيمان باليوم الآخر هو الاعتقاد بنهاية الحياة الدنيا والدخول بعدها إلى دار أخرى ، تبدأ بالموت والحياة البرزخية وتمر بقيام الساعة ثم البعث والحشر والجزاء إلى دخول الناس الجنة أو النار، كما أن الإيمان باليوم الآخر يعد أحد أركان الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها ، فمن أنكره فقد كفر، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة عبس:الآية ٣٣].

كما أن هناك ثمرات جليلة للإيمان باليوم الآخر ينبغي على المعلم تربية الطلاب على العمل عليها ، منها :

- الرغبة في فعل الطاعات والحرص عليها رجاء الثواب .
- الرهبة من فعل المعصية والرضا بها خوفاً من عقاب ذلك اليوم.
- تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها .
- أن الإيمان بالبعث أصل سعادة الفرد والمجتمع ، فإن الإنسان إذا آمن بأن الله تعالى سيبعث الخلق بعد موتهم ويحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم ويقتص للظالم من المظلوم حتى من الحيوان استقام على طاعة الله وانقطع دابر الشر وساد الخير في المجتمع ، وعمت الفضيلة والطمأنينة .

د- حث الطلاب على طلب العلم وإجلال العلماء وتحفيز الطلاب على طلبه:

ومن التطبيقات التربوية التي لفتت إليها سورة عبس الانتباه هو توجيه المعلمين بتلبية وإجابة مطالب طلابهم وتحفيزهم في تلقي العلم ، فالعتاب الذي جاء في مطلع

([1])روه البخاري، ج1، برقم (6018)، ص1165. ومسلم، ج1، برقم (47)، ص68.

([2])أحمد بن سلامة بن محمد العمراني، المبادئ التربوية المستنبطة من سورة (ص) وتطبيقاتها التربوية، مرجع سابق، ص186.

السورة الموجه من الله - سبحانه وتعالى- إلى نبيه الكريم يتلخص في انشغال النبي - صلى الله عليه وسلم- عن عبد الله بن أم مكتوم : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ [عبس :1–5]، لذلك كان لزامًا على المعلم تكريم الطلاب الذين يبدون رغبة صادقة في العلم ، وكذلك الأخذ بأيدي المبرزين والمتميزين من الطلاب، وأن يكون المعلم قدوة لطلابه بحيث يشكر كل من يرغب في السؤال، وأن يجيب عليه برغبة تامة لتعلمه، وفي هذا تعاون بين المعلمين والطلاب إذا ما شعر الطلاب برغبة المعلم في الاستماع إليهم والإجابة على تساؤلاتهم في الذكر.

من أجل ذلك ذهب بعض العلماء والمفسرين إلى أن قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ ﴾ تفيد أنه من جاءك يطلب الاسترشاد، ويطلب العلم والحكمة، ويطلب التذكر والخشية، فإنك تشتغل به وتتلهى عنه بأقوام آخرين.

فَيَرِدُ في الدرس كثيراً مناقشةٌ لآراء العلماء، واجتهاداتهم على اختلاف مآخذهم واستنباطاتهم؛ فجدير بالمعلم أن يحترم آراء العلماء؛ ليتربى الطلاب على محبة العلم والعلماء، ولكي يعرفوا للرجال أقدارهم.

ولا يعني احترام آراء العلماء أخذها بالقبول والتسليم على أي حال، وإنما يراد بذلك عرضها بتثبت على ميزان البحث العلمي الصحيح، ثم الفصل فيها من غير تطاول عليها، ولا انحراف عن سبيل الأدب في تفنيدها.

فالفطر السليمة والنفوس الزاكية لا تجد من الإقبال على حديث من يستخفه الغرور بما عنده مثل ما تجد من الإقبال على حديثِ مَنْ أحسن الدرس أدبه، وهذب الأدب منطقه.

وإذا كان الأستاذ كمدرسة يتخرج في مجالس درسه خلق كثير _فحقيق عليه أن يكون المثال الذي يشهد فيه الطلاب كيف تناقش آراء العلماء مع صيانة اللسان من هُجْر القول الذي هو أثر الإعجابِ بالنفس، والإعجابُ بالنفس أثر ضعف لم تتناولْه التربية بتهذيب.(١)

(١) محمد خضر، رسائل الإصلاح، الدمام، دار الإصلاح، ج1، د.ت، ص89.

لذلك ينبغي على الطالب أن يراعي آداب التعامل مع المعلم، ويقدر العلم والعلماء ، وأن يزكي نفسه بالاستزادة من طلب العلم وسؤال العلماء.

2) المضامين التربوية في الجانب الأخـــلاقـــي:

تعتبر المدرسة المكان الخصب لتنمية تطبيق الجوانب الأخلاقية الفاضلة بعد الأسرة، وذلك لأنها مكملة لها ومعززة لدورها، وفي مقدمتها تزكية النفس وتطهيرها، فمن القناعة والعفة أن يزكي الإنسان نفسه من الآثام وا لشرور والرذائل والنزعات الشريرة، لأن الإيمان يعمر القلب بالقناعة والعفة وفي تطهير النفس من هذه الضلالات؛ لتسمو روح الإنسان وينبذ الباطل ويحق الحق(□).

ولعل أهم ما يمكن تطبيقه من المضامين التربوية في الجانب الأخلاقي ما يلي:

أ- تطبيق مبدأ "التزكية" الأخلاقي التربوي في سورة عبس:

إن تزكية ابن أم مكتوم –هنا- تزكية ترقية من عالٍ إلى أعلى، حيث توضح الآيات التالية الطريق إلى الله والذي سلكه عبد الله بن أم مكتوم وطريق العبادة رأسه المحبة وجناحيه الخوف والرجاء. قال –تعالى- مخاطبًا في شأن ابن أم مكتوم - رضي الله عنه- : ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ [عبس :3]، فالتزكية في الآية هي التطهر عامة المعنوي والحسي، فالمعنوي هو التطهر من كل الآثام والذنوب التي سبق ذكرها وذلك يحمل مضمونًا ساميًا لجعل النفس البشرية عمومًا والطلاب على وجه الخصوص ذو ي نوايا حسنة وضمائر تدفعهم عن الابتعاد عن الرذيلة وانتهاج مبادئ الفضيلة للتزكّي والتطهُّر، ويبرز هذا الدور من خلال تعامل الطلاب مع بعضهم البعض في محيط المدرسة.

ب- تطبيقات "التواضع" الأخلاقي التربوي في سورة عبس:

التواضع هو ثمرة طيبة من ثمرات الأخلاق،وقد أش ار - سبحانه وتعالى - مبينًا لرسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم- بقوله : ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس :8–10]، حيث توضح الآيات معنى سماع الآخرين وعدم الانشغال عنهم، ويمكن الإفادة من هذه المعاني في المدرسة بت وجيه نظر الطلاب

(□)عبد الله بن سيف الأزدي، فصول من الأخلاق الإسلامية، جدة: دار الأندلس الخضراء، 1420هـ، ص148.

إلى احترام معلميهم وزملائهم، كما تعني الاندماج الإيجابي في مجتمع المدرسة دون تمييز طالب على آخر ومعلم على آخر؛ ليكون المجتمع المدرسي قدوة للمجتمع المحيط، وينقل الطلاب صفة التواضع من خلال حياتهم في البيئة المدرسية، فيحترم الصغير الكبير ويوقره ويهتم به ويساعد الضعيف.

ج- تطبيقات "العدالة" في سورة عبس:

من أهم التطبيقات التربوية لمبدأ إقامة العدل في الجو المدرسي أن يقوم المعلمون بالاهتمام بهذا المبدأ قولاً وعملاً (□)، وأن يكونوا قدوة، لذلك فلم يأت عتاب الله - سبحانه وتعالى- لأحب خلقه إلا من باب التو جيه السليم والرقيق، قال تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١﴾، ففي المدرسة يمثل الحرص على إقامة العدل بين الطلاب في جميع شؤونهم، لاسيما فيما يتعلق بالامتحانات، والقيام بالأعمال، والحوافز، وحتى في توجيه النظرا ت لهم، وفي السماع لهم وتلبية حاجاتهم بالعدل ومحاورتهم، وعليهم أن يستجيبوا لكل من يريد التحدث إليهم من الطلاب، وألا يهتموا بأحدهم وفي الوقت ذاته يهملوا الآخرين، كما أن عليهم أن يحرصوا على تجنب الظلم سواءً مع الطلاب أو مع غيرهم، وأن يحرصوا على الستر على الطلاب إن هم أخطأوا، وأن يحرصوا على التقويم السليم ووضع الدرجات المقننة لكل طالب حسب اجتهاده ومذاكرته وإجاباته في الامتحان، وأن يتجنبوا الانحياز لأحد منهم، أو تفضيله على غيره، وأن يتجنبوا الغش والعصبية القبلية في التقويم أو غيره، كما أن عليهم أن يحققوا ويهتموا بمبدأ تكافؤ الفرص بين الطلاب وذلك في كل أمر، وعليهم بالتالي أن يراعوا الفروق الفردية بين الطلاب في جميع الأمور التي تخصهم.

أما تطبيق العدل من خلال النشاط المدرسي فيكون من خلال الإذاعة المدرسية التي يمكن أن تتضمن كلماتها الصباحية أهمية العدل، أو آيات وأحاد يث عن العدل، أو ذكر قصة تحكي عدل نبي من الأنبياء، أو صحابي، أو تابعي، أو غيرها من

(□)عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج 1، القاهرة: دار الثقافة الإسلامية، 2001م، ص207.

القصص التي تحكي عدل الحكام والولاة، كما يمكن أن تخصص –مثلاً- حصة النشاط عن مبدأ العدل، وتجري مسابقة في أفضل موضوع عن هذه الصفة النبيلة، ومن الممكن كذلك أن تخصص حصة النشاط لإقامة محاضرة عن أهمية العدل أو عرض مجمل لبعض العبارات عن مبدأ العدل في أسلوب اختياري.

أما الإدارة المدرسية فيجب عليها مراقبة تلك النشاطات والعمل على دعمها بحيث أن تجعل إقامة العدل أساسًا لجميع قراراتها، وأن تشعر الجميع بالأمان النفسي في حفظ حقوقها أيًّا كانت، وذلك بشتى الوسائل والأساليب الممكنة[□].

([□])أحمد بن سلامة بين محمد العمراني، المبادئ التربوية المس تنبطة من سورة (ص) وتطبيقاتها التربوية، مرجع سابق، ص190 – 193.

المبحث الثالث:

المضامين التربوية المستنبطة من سورة عبس في المجال الاجتماعي

المجتمع بالمعنى العام هو ذلك الإطار العام الذي يحدد العلاقات التي تنشأ بين الأفراد الذين يعيشون داخل نطاقه في شكل وحدات أو جماعات، ويرى المفكرون أن هذه العلاقات يجب أن تكون مستقرة ومنظمة وقائمة بصفة مباشرة، ويتميز المجتمع الحديث بتعقد هيئاته وجماعاته، وتعدد النظم والأوضاع التي تنشئها هذه الهيئات والجماعات الإنسانية.

فالمجتمع يشكل المجال التربوي الشامل، لأن النظم والمؤسسات ما هي إلا نظم للتفاعل الاجتماعي الهادف لإشباع حاجات الأفراد والجماعات وتحقيق مصالحهم . وعلى أساس هذا التفاعل تتحدد العلاقات الاجتماعية(□).

فإذا كان الوسط الاجتماعي قادرًا على تلبية وإشباع حاجات الأفراد بالطرق المشروعة فإن ذلك يؤدي إلى تحقيق صحة نفسية جيدة . وقد يتعرض المجتم ع لبعض العوامل الهدامة التي تؤثر على الصحة النفسية لأفراده، كالفساد، والانحلال، وعدم الاستقرار، والاضطراب، والتفكك، والتخلف وهي جميعها تفرض على الفرد التوتر والقلق وظروف الأزمات والحروب(□).

كما أن للبيئة الاجتماعية أثرًا كبيرًا في تربية الأفراد، فهي التي تعمل على التنشئة من خلال طبيعة الوسط الاجتماعي، فالمجتمع الذي يتمتع بالأخلاق الحسنة ، ويطبق تعاليم الدين الإسلامي، ويحرص على ذلك يؤدي إلى تكوين الشخصية السوية، أما المجتمع الذي تنتشر فيه الرذيلة والفواحش ويسود فيه الظلم والجور، أو تتدهور فيه القيم العليا و الأخلاق، فإن أفراد هذا المجتمع يصابون بشكل كبير بالعلل النفسية والهموم والغموم والقلق والضيق.

من أجل ذلك كله فقد حرص الإسلام على ضرورة صيانة المجتمع من جميع النواحي العقدية والأخلاقية، ودعا إلى تطبيق التعاليم الدينية في جميع نظم المجتمع، وذلك عن طريق تحميل كل فرد مسؤولية المحافظة على الترابط والتكافل بين أفراد المجتمع؛ ليسود المجتمع المحبة والتعاطف والعدل والاستقامة . وكل هذه الأمور تجنب

(□)منير المرسي سرحان، في اجتماعيات التربية، بيروت: دار النهضة العربية، 2003م، ص217 – 219.

(□)حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي، القاهرة: عالم الكتب، 2005م، ص185.

أفراد المجتمع الضغوط النفسية والآثار المرضية الناتجة عن عدم رضا أفراده، كما ترتبط هذه العوامل ارتباطًا كبيرًا بالتفكك الا جتماعي، والانحلال الأخلاقي، والزيغ العقائدي.

كما يدعو الإسلام أبناءه إلى نشر مشاعر الأخوّ ة بين المسلمين من أجل التماسك والوحدة والتعاون الذي له أهمية كبيرة في إسعاد المجتمع، وقد أدركت المدنية الحديثة ميزة التعاون، فانتشرت فيها الجمعيات التعاونية حتى لا تكاد تخلو منها مدينة، وهي تعطينا الدليل القاطع على فوائد التعاون وضرورته لإسعاد الفرد والمجتمع، كما يدعو للتواضع وحسن المعاشرة والاهتمام بتقوية الروابط الاجتماعية كروابط الجيرة والصحبة الصالحة والأصدقاء، فكل ذلك يعزز الروابط الاجتماعية ويقوِّ ي من صور التكافل الاجتماعي التي تؤدي إلى سعادة المجتمع وراحته وصحة أبنائه النفسية الإيجابية[1].

فقد دعا الإسلام وحرص على جعل المجتمع المسلم متآزرًا متعاونًا يشد بعضه بعضًا، وذلك من خلال الحث المتواصل لأفراده على خدمة بعضهم بعضًا، وتفريج كرب إخوانهم المسلمين، وإدخال السرور على أنفسهم، ورتب على ذلك الأجر الجزيل، وعده رسول الله –صلى الله عليه وسلم- من أفضل الأعمال، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه- أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- سُئل: أي العمل أفضل؟ قال: " أفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن ،كسوت عورته وأشبعت جوعته ، أو قضيت له حاجة "[2].

كما حث رسول الله –صلى الله عليه وسلم- أفراد المجتمع المسلم بأن يتعاونوا ويكونوا في خدمة بعضهم بعضًا، لقضاء حوائج بعضهم بعضًا، فقد روى جابر – رضي الله عنه- حديثًا عن الرسول –صلى الله عليه وسلم- وفيه: " ..من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته"[3].

كما دعا الرسول –صلى الله عليه وسلم- أمته إلى نفع الناس وإدخال السرور على أنفسهم وكشف كربهم، وأن من يفعل ذلك من أحب الناس إلى الله، فقد روي عن ابن عمر – رضي الله عنهما- أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قال: " أحب

([1])أنس كرزون، منهج الإسلام في تزكية النفوس، بيروت: الدار العلمية للنشر، 2001م، ص319.

([2])المنذري، الترغيب والترهيب ، مرجع سابق ، ص462، رقم الحديث3219.

([3])أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأدب، مرجع سابق ، ص659،رقم الحديث 2580.

الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله – عز وجل- سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة..."(□).

ومن أهم المضامين التربوية التي يمكن تطبيقها في المجال الاجتماعي ما يلي:

1ـ الدعوة إلى نبذ الطبقية والتمايز بين أفراد المجتمع:

هناك بعض الحالات التي يستلزم المعلم أن يستخدم فيها الدعوة الفردية ؛ لأن الدعوة الجماعية لا تجدي في مثل تلك الحالات وإن كانت الدعوة الجماعية أيسر وروادها أكثر ، ولعل ما يؤيد نجاح هذه الدعوة هو قوله تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾، فقد كان هدف رسول الله – صلى الله عليه وسلم- أن يسلم هؤلاء الرهط من كبراء المشركين ، وإرجاء الرد على طلب ابن أم مكتوم – رضي الله عنه- ، وسنذكر بعض هذه الحالات التي يجب أن يستخدم فيها أسلوب الدعوة الفردية:

أ- المكانة الاجتماعية للمدعو : إن بعض الأفراد يكون معتزًّا بوضعه الاجتماعي ويرى أنه لو خالط عامة الناس في تجمعاتهم لذهبت تلك المكانة التي يتمتع بها .. وهذا بالطبع لا يكون إلا لأنه غير ملتزم بالشرع التزامًا كاملاً .. فـفي مثل هذه الحالة يجب أن يستخدم الداعية الدعوة الفردية.

ب- جليس السوء : إن البيئة التي يعيش فيها المدعو لها تأثير على شخصيته ، فمن خالط جلساء السوء انحرفوا به عن جادة الصواب، فالمرء على دين خليله ، ولذلك فمن كانت هذه حالته فإنه يصعب التأثير عليه نظرًا لتكالب رفقة السوء عليه ولقلة حيائهم ومجاهرتهم برد الحق وتفاخرهم بارتكاب المعاصي والآثام ؛ ففي هذه الحالة يجب الانفراد بالمدعو بعيدًا عن هذه الرفقة السيئة حتى يمكن التأثير عليه إن شاء الله تعالى 0

ج- الحالة النفسية للمدعو : إن من الأسباب العائقة عن الهداية نفور المنحرفين من الدعاة والمتمسكين بالدين ، وهؤلاء إما أن يكون الشيطان قد استحوذ عليهم، فهم يعرفون الحق ولكنهم يبتعدون عنه كبرًا وعنادًا ، أو لأنهم يرون أنه لا يمكن الالتقاء مع المتمسكين بالدين نظرًا لتنافر الطباع والأمزجة ، فهؤلاء يصعب دعوتهم إلى

(□)الطبراني، المعجم الكبير، مرجع سابق، ج12، ص453، رقم الحديث13646.

محاضرات عامة فيلزم على الداعية أن يستخدم معهم الدعوة الفردية ؛ حتى يبين لهم الحق ثم إن هداهم الله تعالى يمكن أن ينخرطوا ضمن الدروس العامة0

د- معالجة جوانب النقص في الأفراد : قد يكون عند بعض الأفراد جوانب نقص أو عيوب شخصية، ولهذا لا يمكن أن تعالَج هذه الأمور ضمن الدعوة الجماعية ، بل يجب أن يستخدم الداعية الدعوة الفردية لمناقشة المدعو وتبصيره بهذه الأمور 0

2ـ التخطيط والتنظيم :

من الملاحظ أن بعض الدعاة إلى الله - ممن عندهم نشاط في المواعظ والخطب- يبذلون جهودًا كبيرة في سبيل الدعوة، ولكن هذه الجهود - في الغالب- لا تثمر وذلك لفقدان التخطيط والتنظيم . فالواجب على الداعية أن يركِّز على الأفراد الأك ثر قابلية للدعوة، امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴾وخاصة الذين يرجى من وراء دعوتهم نصرة دين الله - عز وجل.

وللداعية أسوة في رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، فالرسول - عليه الصلاة والسلام- لم تنته فترة الدعوة السرية في مكة إلا وقد دخلت الدعوة إلى كل القبائل المشهورة في مكة فأسلم من كل عشيرة بعض أفرادها.

إن الدعوة تحتاج إلى بعض الأفراد الذين لد يهم القدرة على القيادة والتخطيط، لذلك يجب على الداعية أن يعمل جاهدًا على كسب هؤلاء الأفراد، لكي تستفيد منهم الدعوة، ولهذا كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم- حريصاً على إسلام عمر بن الخطاب، وكان يدعو الله [أن يعز الإسلام بأحد العمرين] حتى قال ابن مسعود - رضي الله عنه(□): "ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر".

إلا أنه لا ينبغي ترك الأفراد المحبين للدعوة والملتفتين حولها والإعراض عنهم بهذه الحجة، بل يجب إعطاؤهم نصيبهم من الدعوة 0 ولهذا أنَّب الله نبيه - عليه والصلاة والسلام- لما ترك ابن أم مكتوم وبذل وقته مع عظماء قريش فأنزل الله سبحانه وتعالى معاتباً لنبيه : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴾.

(□)صحيح البخاري، ج2، رقم الحديث13646.

إن الخطأ الفردي سيلحق الضرر بالمجموع . وهو باب عظيم في التربية، يعمق مفهوم المسؤولية الفردية . فالفرد في المجتمع المسلم منوط به التغيير الحضاري لأمته، بشرط أن يكون متوافقاً مع المجموع.

وعلى هذا يجب التركيز على فاعلية الفرد، ودوره الإيجابي ومسؤوليته في تحقيق الأهداف والغايات العظام، وفي حماية نفسه، وحماية المجموع، وأنه دوماً على ثُغرة فيجب أن لا يؤتى الإسلام من قِبَله.

فعندما يحدث الخلل في التعامل مع بعض الأفراد على حساب بعضهم الآخر، خاصة م ع الرموز، ويقع ما حذر منه الحبيب - صلى الله عليه وسلم ، أن من أسباب هلاك السابقين هو محاباة الشريف على حساب الضعيف؛ فإن الآثار على الجانبين تكون من الخطورة بمكان . فالشريف يتمادى في خطئه، ويستشعر قوة الحصانة الدعوية التي يحملها. والآخر يستشعر ضعفه، فيصاب بحالة من التمرد المقنع، أو العقوق الدعوي، والذي نندهش لحدوثه ونتعامى عن أسبابه.

ولو تدبرنا نصيحته - صلى الله عليه وسلم - الجامعة، في موضع آخر : «أعينوا أولادكم على البر بالإحسان إليهم وعدم التضييق عليهم والتسوية بينهم في العطية، من شاء استخرج العقوق من ولده»(□) لتبين لنا مدى اهتمامه - صلى الله عليه وسلم - بتلك القضية، والتركيز على أهمية استمرارية المربي في معالجة الظواهر الْمَرَضِيَّة، من كل جوانبها، والمتابعة الدائمة ضد عوامل الخلل والانحراف.

فالمربي هو حجر الزاوية، وعليه الدور الفعال والإيجابي في عملية استخ راج العقوق الدعوي من نفوس أتباعه (فمن شاء استخرج العقوق من أتباعه). وما لم تتم المراجعة، والمحاسبة؛ فإن ذلك من باب مصادمة نواميس الله وسننه الإلهية الغلابة.

لذلك فإن الحل يتمثل في تجنب أسباب ومكامن الخلل المذكورة آنفاً؛ ثم التوبة النصوح، والله - عز وجل - يحب التوابين؛ وهذا في حقه سبحانه . أما في حق الخلق، فيكون بالمراجعة، والتصحيح، بشرط بيان الخطأ ومحاسبة المخطئ، مهما علت رتبته.

وهكذا علمنا - سبحانه وتعالى - في كتابة الكريم أن المراجعات والوقفات هي من صميم المنهج القرآني العظيم.

(□)رواه البخاري : كتاب الرقائق باب 32، وأبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة ، سنن ابن ماجة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، كتاب الزهد باب 29 رقم الحديث 2298؛ وأبو محمد عبد الله بن بهرام، سنن الدارمي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت ط1، 1426هـ. كتاب الرقائق باب 17.

وكما كانت المراجعة في الأمور والأحداث العامة، سواء في حالة النصر ، أو في حالة الهزيمة؛ فقد كانت أيضاً على المستوى الفردي . وتأمل المراجعة القرآنية لخير من وطئ الحصى - صلى الله عليه وسلم - ، في مطلع (سورة عبس) ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴾.

3ـ توعية المجتمع لتكون الدعوة خالصة لله ـسبحانه وتعالىـ (بالحكمة والموعظة الحسنة):

لقد علّم الله نبيه محمدًا في سورة (عبس) نوعاً فريدًا في التعامل مع الناس، فهبطت الحقائق العالية السامقة لتقلب الموازي ن، وتضيف إلى رصيد الأخلاق كتلة بلورية..تشع منها تعاليم العدالة الربانية .

إن الانشغال بأقوام معرضين على حساب آخرين مقدمين... منهج يفتقر إلى الميزان الرباني ، فتنزلت الآيات ، وتليت ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ ﴾.. لتوقظ المشاعر والأحاسيس !! وما كان ذلك الأسلوب قط ليضع من منزلة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - بل عكس ذلك الوقع في نفوس الخلق جلجلة وهيبة عظيمة؛ فاحتياج النبي لهذا التنبيه دليل على القوة والروعة في المعنى والخطاب !!

وحين ينبسط الدعاة إلى الأغنياء والسلاطين لأجل الدعوة ... وينقبضون عن الفقراء تأتي سورة عبس لتقول ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ ﴾.. ، وحين يظن الدعاة أن ضم ذلك القوي .. يعني ضمان مفتاح النصر أكيدًا ، ودون شك تأتي سورة عبس لتقول ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ ﴾، إنها جوانب راقية وحساسة في نفس الوقت !!

فللنجاح والنصر والتفوق ... مبدؤه وطريقه ومبتغاه الإيمان، من أجل ذلك كله جاءت تلك النتيجة الحاسمة والتي أكدت فوز ونجاح الفئة التي كان مبدؤها وغايتها وديدنها في الدعوة هو الله - سبحانه وتعالى- ليس غيره ، فقد نادت تلك الجماعة المؤمنة التي قاست صنوفاًمن المشاق والعذاب رسول الله: إن هذا برهاننا في (غزوة بدر (!!

وهكذا فقد انتصر الحق .. ورُفع لواؤه .. وقُدّمت الجماجم بسخاء لم يعهده التاريخ، وبذُلت الدماء الزكية ببطولات حارت أمام اندفاعها قوى الجاهلية !! وصارت تلك الأجسام النحيلة الجوعى التي ترتدي أسمالا باليه تزأر زئير الأسود الضواري !!

فمن غيرَّهم !؟ ومن علَّمهم ؟ !بل حتى من ينازلهم ؟ ! إنهم الفقراء .. هم هم !! وأولئك الأغنياء .. هم هم !!، وهكذا فقد صنع الإيمان بالفقر الإقدام والبسالة والشموخ ... وما صنع الكفر بالمال غير جثث صرعى !! فأين قريش؟ ! ماذا صنعت بهرجها وصيتها وعنفوانها وقوتها؟ .. لا شيء، وإنما فريق أسير وفريق إلى السعير !! .

فهل غابت عنا سورة (عبس) بمضامينها ومؤثراتها حتى نعلم تفسيرًا لذلك الازدلاف الرهيب الذي بات يمثل ثقافة لدى بعض الدعاة، يرهق من خلفه نفوس الفقراء البائسين !! بل أصبح وجود البائسين في الصف يمثل علة..أو عبئاً ثقيلاً وقيدًا ينبغي حله والتخلص منه !!

ويرى الباحث – من خلال هذا المبدأ التربوي الاجتماعي- أن نجاح وانتصار الفقراء الذين صهرتهم الفاقة أكثر بكثير من أصحاب النفوذ !! والكلام الحق الذي ينبغي أن يُقال ويُفهم أن الحاجات صنعت الرجال، وأجلبت العِ ظام، ومن رحم الشدائد يولد الكبار .

إننا لو قلبنا صَفَحات التاريخ لنخرج النابغين الذين حفروا ذكراهم في القلوب ، فارتوت من بحرهم التخوم .. سيخرج لنا - حتمًا - أصحاب القلوب الكسيرة !! ولعل سورة (عبس) خصصت من أجل الدعوة الرضيّة للفقراء والبؤساء الممتهنين ؛ لنشر العلم بينهم، ونعلمهم، ونبذل لهم كما نبذل لغيرهم دون - ازدراء - واحتقار.

من أجل ذلك كله يرى الباحث أن خطى الداعية يجب أن تتمثل هدي المصطفى – صلى الله عليه وسلم- فهل تعود الأمة إلى منهج السلف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، وذلك عن طريق نصح الناس في الطرقات والأسواق والمؤسسات، وإيجاد برامج لنشر الخير و نبذ المنكرات، وما تزال المكاتبة والمناصحة الشفهية والهدايا والأشرطة وغيرها متاحة أمامنا فضلاً عن الثورات الحديثة في الاتصالات والمواصلات.

المبحث الرابع:

دمج ذوي الاحتياجات الخاصة والأخذ بأيديهم تعليمياً واجتماعياً

تشير المصادر التاريخية إلى معاناة المعوق في جميع العصور الماضية من نظرة المجتمع السلبية نحوه ومن جراء القوانين والقواعد الظالمة التي جعلت منه هدفًا للتنفيس عن النزاعات العدوانية في المجتمع نتيجة الخوف أو الجهل من جهة ونص المعلومات من جهة أخرى.

وقد كانت كل فئات المعاقين منبوذة من المجتمعات القديمة، وقد ظلت هذه النظريات المعلقة بالإعاقة سائدة حتى منتصف القرون الوسطى، حيث كانت الكنيسة تقول: إن المرض بجميع أنواعه قصاص على ما اقترفه الإنسان من ذنوب، وإن الإعاقة تقهقر فكري تضعف فيها الروح وتسيطر فيها المادة[1].

فللعمى–مثلاً- كان من العاهات المعروفة بين العرب في الجاهلية، وأن (زهرة بن كلاب وعبد المطلب بن هاشم والعباس بن عبد المطلب) كانوا من أشرف العميان، غير أن من ذوي العاهات من كانوا أسوأ حظًّا من غيرهم، حيث كان الجاهليون يعيبون الأعور ويرمونه باللؤم والخبث، كما كانت قريش تخاف من البرص، وكانت تبعد من يصاب به حتى ولو كان من أشرافها[2].

وقد اهتم العرب في الإسلام بالمرضى العقليين وضعاف العقول لإصابتهم بقَدَرٍ من الله - سبحانه وتعالى، ويشير كتاب تاريخ البيمارستان في الإسلام إلى النظرة الإيجابية التي كان ينظر بها أفراد المجتمع الإسلامي للمعاقين ومساواتهم بغيرهم، فقد أعطى الوليد بن عبد الملك لكل مقعد خادمًا ولكل ضرير قائدًا، ولم يهمل المجتمع الإسلامي أمر علاج الإعاقات، وقد تميز المجتمع الإسلامي بالاهتمام الشديد برعاية المعوقين وأحسن المسلمون معاملتهم ، وفي الحديث الشريف عن صهيب بن سنان - رضي الله عنه- عن النبي - صلى الله عليه وسلم- أنه قال: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له»[3].

الإعاقة لغة واصطلاحاً:

([1])مروان عبد المجيد إبراهيم، الرعاية الاجتماعية لذوي الاحتياجات الخاصة، عمان: الوراق للنشر، 2007م، ص 3 –4.

([2])المرجع السابق، ص 6- 7.

([3])رواه مسلم، ج8، برقم (7692)، ص277.

جاء في مختار الصحاح : (ع و ق) (عَاقَهُ) عن كذا حبسه عنه وصرفه و (عوائق) الدهر الشواغل من أحدائه[1]. ويشير الفيروزأبادي في شرح مادة (عوق) عاقة من الشيء أي عوقًا منعه منه وشغله عنه، فهو عائق ، والجمع (عوق) للعاقل ولغيره عوائق، وهي عائقة، وعوائق الدهر شواغله وأحداثه، وتعوّق أي امتنع وتثبط كالتعويق والاعتياق ، والرجل الذي لا خير عنده يعوق الناس عن الخير، وعاقني عائق، ورجل عيق ذو تعويق يثبط الناس عن أمورهم[2].

وفي الاصطلاح : عدم تمكّن الفرد من الحصول على الاكتفاء الذاتي وجعله في حاجة مستمرة إلى إعانة الآخرين، وبالتالي إلى تربية خاصة تغلبه على إعاقته.

ويعرف الباحث المعاق بأنه كل فرد لديه قصور في القيام بدور يعتبر من المكونات الأساسية للحياة اليومية بالنسبة لنظرائه، وعلى أسرته ومن حوله أن يحسنوا رعايته، والقيام على حاجته، وعدم التحرج منه، أو ازدرائه والقسوة معه، أو حرمانه من حقوقه الإنسانية.

وفئة المعوقين هي فئة من فئات المجتمع أصابها القدر بإعاقة قللت من قدرتهم على القيام بأدوارهم الاجتماعية على الوجه الأكمل مثل الأشخاص العاديين، وطبيعي أن لهذه الفئة متطلبات تربوية ونفسية وجسمية واجتماعية وتعليمية[3].

نظرة الإسلام للمعاقين:

عندما جاء الإسلام نادى بعدم التفرقة بين البشر، وطالب بإقامة المساواة فيما بينهم، كما أكد على وجوب النظر إلى الإنسان على أساس عمله وليس بمقدار طوله، أو وزنه، وإن من يفعل ذلك فهو غير مقبول عند الله –تعالى.

فالدعوة الإسلامية جاءت لتنقذ الإنسان مهما كان هذا الإنسان وضيعًا أو شريفاً كريمًا أو حقيرًا - الأمر لا يختلف - فالمراد إنقاذه من النار وهدايته لعبادة الواحد القهار ، وهذا هو الهدف الأسمى والحقيقة التي طالما دعا إليها الإسلام، و تلك هي حقوق الإنسان في الإسلام ، فحقه أن ينال سعادة الدنيا و ثواب الآخرة ، وحقه أن تصل

---

(1) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1427هـ/2006م، ص438 مادة (ع و ق).

(2) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، ص1140.

(3) محمد سيد فهمي، السلوك الاجتماعي للمعاقين : دراسة اجتماعية في الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، 1998م ، ص117.

إليه الكلمة الباقية وأن تغرس في نفسه الشجرة الطيبة وان يتعرف إلى خالقه حق المعرفة بلا شوائب ولا عوائق، وقد برهن القرآن الكريم على هذا المبدأ من خلال قوله تعالى :

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾ [عبس:1- 6]

فللإسلام –إذًا- هو الذي اختار التقوى لتكون معيار التفاضل بين الناس، وأفسح المجال الرحب للصحيح والمريض، ولذوي العاهات الجسدية والمعاق منهم، وللكبير والصغير، وللذكر والأنثى، وللغني والفقير، وللجميل وغير الجميل، وللأمير والمأمور، لكي ينطلقوا جميعًا، وهم في مستوى واحد في ميدان الخير والفضيلة، والأخلاق، والعمل الصالح للفرد والمجتمع وللبشرية جمعاء. فمن سبق في هذا الميدان كان هو الفائز، ولو كان به عرج أو عمًى أو شلل.

والمعروف عن الإسلام من ناحية أخرى، أنه إلى جانب النص على المبادئ الأصلية والمطالبة بالالتزام بها، فقد فتح باب التيسير والمرونة وهو الأمر الذي استفاد منه الأشخاص المعاقون، ورفعُ الحرجِ هنا ليس انتقاصاً من أهلية الأعمى أو الأعرج، فكريًّا واجتماعيًّا، ولكنه فتح الباب أمامهم، من أجل التواصل الاجتماعي.

والقرآن الكريم والسنة النبوية صريحان في موقفهما المبدئي من ضرورة عدم تجاهل الشخص المعاق وإعطائه الاعتبار الذي يستحق، انطلاقًا من كونه إنسانًا أولاً، وقبل كل شيء، يعيش مع الآخرين في مجتمع ويتفاعل معهم داخله، وقد وجدنا أفضل تعبير عن هذا الموقف في الحديث النبوي الشريف، فعن النعمان بن بشير –رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال :"ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"(1).

احتياجات المعاقين الاجتماعية:

هناك احتياجات اجتماعية للمعوقين تساهم في ربطهم بالمجتمع من حولهم، والتي من أهمها:

1. توثيق صلات المعوق بمجتمعه وتعديل نظرة المجتمع إليه.
2. دعمه بالخدمات المساعدة التربوية والمادية واستمارات الانتقال والاتصال والإعفاء الجمركي والضريبي.

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، ص840، رقم الحديث 6011.

3 توفير الأدوات والوسائل الثقافية ومجالات المعرفة.

4 تمكين المعوق من الحياة الأسرية الصحيحة.

5 تأمين الرعاية الطبية لكافة أنواع الإعاقة.

6 إزالة الآثار السلبية الناتجة عن الإعاقة عن طريق دمج المعاق بالمجتمع[1].

مهام يقوم بها الأخصائي الاجتماعي في مجال تأهيل المعاقين:

1 التشخيص والمتابعة الدورية لضعفات الإعاقة- إن وجدت.

2 تخفيف التوتر والقلق اللذين قد يشعر بهما المعاق.

3 تنسيق الجهود بين الأطباء المعالجين والأخصائي الاجتماعي.

4 تشجيع البحوث العلمية الاجتماعية لمشكلات المعاقين لتطوير أسس رعايتهم[2].

وسائل تأهيل أسر المعاقين:

يتم تأهيل أسر المعاقين لدمجهم في المجتمع عن طريق الآتي:

1- البرامج التلفزيونية والإذاعية .2- النشرات الدورية والإعلانات والصحف .

3- الملصقات والصور.4- الندوات والمحاضرات[3].

وسائل تأهيل المعاق في الأسرة:

1 إعطاؤه الفرصة في مشاركة الأسرة الحديث والنقاش.

2 تعويده على الجلوس مع الأسرة أثناء تناول وجبات الطعام، أو مشاهدة برامج التليفزيون.

3 مشاركته للأسرة في الزيارات والرحلات.

4 تقديمه للأصدقاء كفرد منها.

5 أن يعامل دون تمييز.

6 إتاحة الفرصة له للعب مع إخوانه ومشاركتهم ألعابهم حسب قدراته وإعاقته.

7 تعويده على الحركة والاعتماد على النفس.

8 تعليمه وتدريبه على النشاطات الحياتية اليومية[4].

([1])مروان عبد المجيد إبراهيم، الرعاية الاجتماعية لذوي الاحتياجات الخاصة، مرجع سابق، ص10- 11.

([2])فهد حمد أحمد المغلوش ، رعاية وتأهيل المعاقين،الرياض: دار المريخ،1999م. ص20.

([3])يوسف شبيلي، التأهيل المهني للمعاقين، عمان: دار الفكر ،2005م ، ص 34 – 35.

([4])عبد الفتاح عثمان وآخرون، الرعاية الاجتماعية للمعوقين، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية،1974م، ص12.

ولابد من الاهتمام بقائمة تقدير القدرات في تحديد قدرات المعاق في كل مجال تعليمي، لذلك ينبغي تصميم تضمين المهارات في النشاطات اليومية للطفل وفقاً للتسلسل المنطقي والتركيز على المهارات الحركية كلما سنحت الفرصة بذلك(□).

المعاقون بصرياً:

أهداف مدارس وفصول المعاقين بصريًّا:

1 التقليل من أثر ضغوط الإحساس بالإعاقة البصرية.

2 زرع الثقة في نفس الطالب المعوق بصريًّا ومساعدته على تقبّل إعاقته.

3 التبصير بمشكلته.

4 تزويده بالخبرة المعرفية التي تساعده على التعامل الصحيح مع أفراد المجتمع.

5 مساعدته على الاستقلال بقضاء حاجته اليومية في أمن وطمأنينة.

6 مساعدته على الخروج من عزلته والتنقل من مكان لآخر.

المراحل التعليمية للمعاقين بصرياً:

ينتظم المعاقون بصريًّا في مراحل تعليمية مماثلة لمراحل التعليم العام المعتادة ومناهجها، غير أنهم يقتصرون على الدراسة بالشعبة الأدبية؛ فضلاً عن استخدام الطرق والوسائل التعليمية التي تفرضها طبيعة الإعاقة البصرية(□).

طرق ووسائل تعليم مكفوفي البصر:

تعد درجة الفقدان البصري من أهم العوامل المؤثرة في مدى استفادة المعاقين بصريًّا من أساليب التعليم ووسائله، فالعميان كليًّا يتعلمون وفقًا لمناهج التعليم العام مع استبعاد جميع الموضوعات التي يحتاج تعلمها إلى مقدرات بصرية، كما يتعلمون عن طريق حواس بديلة عن حاسة الإبصار، كالحاسة اللمسية أساسًا والحاسة السمعية، من خلال طريقة برايل اليدوية، والكتابة، وطريقة تيلر، والعدادات، والنماذج المجسمة، وا لكتب، والخرائط البارزة، وكذلك الكتب الناطقة، وشرائط الكاسيت، وغيرها. كما يتعلمون غالبًا في مدارس داخلية.

(□)جمال الخطيب ومنى الحديدي،برنامج تدريبي للأطفال المعاقين، عمان: دار الفكر، 2004م، ص32.

(□)عبد الرحمن عبد الرحيم الخطيب، الخدمة الاجتماعية المتكاملة في مجال الإعاقة ذوي الاحتياجات الخاصة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2006م، ص112.

ومن الطرق والوسائل المستخدمة في تعليم القراءة والكتابة طريقة برايل وآلة برايل الكاتبة، والكمبيوتر الخاص بالمكفوفين ، كما يستخدم في ذلك وسائل سمعية من بينها: أجهزة التسجيل الصوتي، وشرائط الكاسيت(□).

ومن أهم المضامين التربوية التي يمكن تطبيقها في المجال الاجتماعي لذوي الاحتياجات الخاصة ما يلي:

1- مراعاة ذوي الاحتياجات الخاصة واعتبارهم أسوياء فاعلين في المجتمع:

لقد حظيت الإعاقة ورعاية المعوقين بدرجة عالية من الاهتمام في الإسلام، حيث أوجب رعاية كافة أفراد المجتمع والإحسان إليهم وتربيتهم والحفاظ على كرامتهم سواء كانوا (أصحاء أو معوقين)، فللعدل والمساواة جاء في مقدمة حقوق الإنسان التي لا يمكن أن يستثنى منها المعوق، وهذا الصحابي عبد الله بن أم مكتوم، وهو رجل أعمى، جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم- وكان عنده أكابر القوم يدعوهم إلى الإسلام، فأعرض عنه، فنزلت في حقه آيات عتاب رقيق للنبي - صلى الله عليه وسلم ، لتثبت للجميع أن المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة هم جزء مهم لا يتجزأ من المجتمع ، وأن رعايتهم والعناية بهم وتقديم الخدمات المتميزة لهم، هي مبدأ إسلامي مهم من مبادئ وقيم الإسلام العظيمة الخالدة ، فعندما فاضل- صلى الله عليه وسلم- بين الأعمى وسيد قومه فقال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾، فلقد خول الإسلام الإمام أو السلطان حماية فئات المستضعفين، وصون حقهم في حدود الشرع.

ويرى الباحث أن المقصود من الآيات الكريمة المذكورة هو بيان العمى الحقيقي ، فإذا كان الذي قدم إليك أعمى البصر فإنه قد جاء يريد أن يبصر الحق ويزداد منه ، وقد أعرض عنك أعمى القلب ظانًّا أنه استغنى ، و شتان بين أعمى البصر وأعمى البصيرة .

كما يرى الباحث أن مفهوم الدمج التربوي يمثل دمج المعوقين -بصرياً وسمعياً ونطقياً وحركياً وعقلياً- إحدى الطرائق الحديثة التي يتم بها تقديم أفضل الخدمات التربوية التي يحتاج إليها ذوو الحاجات الخاصة، ويقصد بالدمج تقديم مختلف الخدمات التربوية والتعليمية لذوي الاحتياجات الخاصة في الظروف البيئية العادية التي يحصل فيها

(□)وليد السيد أحمد خليفة، الكمبيوتر في خدمة المعاقين ، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2006م، ص 212.

أقرانهم من العاديين على الخدمات نفسها، والعمل بقدر الإمكان على عدم عزلهم في أماكن منفصلة..

وبالتالي يرى الباحث أن النظرة التي توجه إلى ذوي الاحتياجات الخاصة ما تزال نظرة تقوم على أساس أن المعوق إنسان عاجز، وناقص لا جدوى من تأهيله وإعادة إدماجه، وأن انتشار بعض القيم والسلوكيات التي تشكل مصدرًا للإعاقة والتي غالبًا ما ترتبط بالطب الشعبي كقيمة اجتماعية يمارسها المجتمع حيث يزداد احتمال ظهور الإعاقات الوراثية، وبالتالي فإن ذلك سوف ينعكس سلبًا على ما ننشده لذوي الاحتياجات الخاصة من تأمين الحياة الهنيئة لهم.

2- دمج الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة بالطلاب العاديين وتوعيتهم بحقوق ذوي الاحتياجات الخاصة ومساعدتهم:

لقد حث ديننا الإسلامي على رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة والاهتمام بشؤونهم، ودعا إلى الرفق بهم وعدم إرهاقهم بالطلب منهم ما يفوق قدراتهم، وكذلك حسن معاملتهم والتلطف بهم، وأكبر دليل على ذلك العتاب الإلهي للرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦﴾ [عبس:1- 6]، والذي يعتبر دستورًا للعمل الاجتماعي مع هذه الفئات، ويؤكد الله - سبحانه وتعالى- أهمية العناية بذوي الاحتياجات الخاصة، ونظرة الإسلام مبنية على حفظ الكرامة والمساواة والعدل والموازنة بين الحقوق والواجبات بينهم وبين العاديين وحقهم في العمل والتعليم والتأهيل والتشغيل.

إن الإنسان بصفة عامة والمعوق بصفة خاصة لا ينشأ في إطار محدود داخل المنزل أو في المدرسة فقط، إنما يحتك يومياً بأصدقاء وزملاء في مجالات أرحب وأوسع؛ مجالات يتفاعل فيها مع الجماعة والمجتمع، ولذا فإن دراسة تأثير هذه المجالات تصبح ذات أهمية كبيرة على تربية وتأهيل المعوق(□).

من أجل ذلك يرى الباحث أن الدمج التربوي يعمل على إيجاد بيئة واقعية يكتسب فيها الأطفال المعوقون خبرات متنوعة من شأنها أن تمكنهم من تكوين مفاهيم صحيحة واقعية عن العالم الذي يعيشون فيه، وأن تشجع التنافس الأكاديمي

(□)د .محمد الزحيلي، حقوق الإنسان في الإسلام، دار الفارابي، الطبعة الثانية١٩٩٦م، ص257.

بين جميع التلاميذ . ولكي تتحقق هذه الأهداف النبيلة التي أصبحنا في حاجة ماسة إليها مع تزايد الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة، يجب أن تتحقق العوامل التالية(□):

أ مرونة وتقبل معلم الفصل العادي للتلميذ المعوق.

ب تقبّل تلاميذ الفصل العادي للتلميذ المعوق وتفاعلهم معه

ج المهارات الاجتماعية لدى التلميذ المعوق.

د التحصيل الأكاديمي لدى التلميذ المعوق.

ه النظرة الإيجابية لدى التلميذ المعوق نحو مفهوم ذاته.

و استقلالية واعتماد التلميذ المعوق على نفسه.

ز اتجاهات الأسرة الإيجابية وتقبلها لطفلها المعوق.

ح الدافعية العامة لدى التلميذ المعوق.

ط توافر المستلزمات البشرية المساندة للتلميذ المعوق.

ي توافر المستلزمات التجهيزية الخاصة بالتلميذ المعوق .

مفهوم الدمج:

جاء في مختار الصحاح أنه يقال : دمج الشيء أي دخل في غيره واستحكم فيه، وكذا اندمج وادمج بتشديد الدال وأدمج الشيء أي لفه في ثوبه(□).

أما مصطلح الدمج في العلوم الإنسانية فقد ظهرت له تعريفات كثيرة وذلك بحكم الأهمية البالغة التي يحظى بها موضوع الدمج على كافة الأصعدة وبحكم ما يتضمنه من مفاه يم تربوية ونفسية واجتماعية مختلفة. ولعل من أبرزها تعريف كوفمان (Koufman) للدمج بأنه " أحد الاتجاهات الحديثة في التربية الخاصة ، وهو يتضمن وضع الأطفال المعاقين والمؤهلين للاستفادة مع الأطفال غير المعوقين في المدارس العادية مع اتخاذ الإجراءات التي تضمن استفا دتهم من البرامج التربوية المقدمة في هذه المدارس(□).

(□)جميل توفيق إبراهيم" :أصناف المعاقين وخصائصهم النفسية والبدنية ودورهم في المجتمع" .في :الإعاقة ورعاية المعاقين في أقطار الخليج العربية .سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية.، مكتب المتابعة بالدول العربية الخليجية ١٩٩١ م، العدد (17)، ص101.

(□)محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ص 88 مادة (دمج).

(□)زينب محمود شقير ، خدمات ذوي الاحتياجات الخاصة ، ط2، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية. 2005م،ص17.

ويشير قاموس التربية الخاصة إلى أن مفهوم الدمج يعني " خدمة الأطفال المعاقين داخل البرنامج الدراسي العادي، مع توفير العاملين المتخصصين والخدمات المساندة بدلاً من وضع هؤلاء الأطفال في فصول خاصة مستقلة بهم"(□) .

وأخيرًا فإن الباحث يتفق هنا مع ما يشير إليه يحيى بأن المقصود بالدمج التربوي هو " اشتراك الطلبة المعوقين مع الطلبة العاديين في مدرسة واحدة تشرف عليها نفس الهيئة التعليمية وضمن نفس برنامج الدراسة، وقد تقتضي الحاجة وجود اختلاف في مناهج الدراسة المعتمدة"(□).

وقد عددت الدراسات والأبحاث فوائد الدمج والتي يمكن إجمال أهمها فيما يلي:

- التقليل من الفوارق الاجتماعية والنفسية بين الأطفال أنفسهم .
- لا يتطلب تكاليف مادية كبيرة مقارنة بالتكاليف الكبيرة التي تتطلبها مدارس التربية الخاصة.
- يتيح للأطفال ذوي الاحتياجات التر بوية الخاصة فرصة البقاء في منازلهم مع أسرهم طوال حياتهم الدراسية؛ الأمر الذي يمكنهم من أن يكونوا أعضاء صالحين وعاملين في أسرهم وبيئاتهم الاجتماعية(□).
- يساعد على إزالة الوصمة الاجتماعية المرتبطة ببعض فئات التربية الخاصة، ويقصد بذلك تخفيف الآثار الاجتماعية لدى تلك الفئات وذويهم المرتبطة بمصطلح الإعاقة، حيث يعمل الدمج على إحساس المعوق بأن يلتحق بمدرسة عادية ولا يلتحق بمركز أو مؤسسة تحمل اسم الإعاقة مما يترك أثراً نفسيًّا يتمثل في موقف الفرد من نفسه بشكل إيجابي(□).
- يساعد غير المعوقين على التعرف على هذه الفئة من المعوقين عن قرب ومن ثم تقدير احتياجاتهم مما يؤدي إلى إمكانية استخدام كلا المجموعتين من الأطفال في تعليم وتدريب بعضهم البعض(□) .

(□)ناصر بن علي الموسى، دمج الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في التعليم العام. الرياض، مكتب التربية العربي ، 2000م، ص38.

(□)خولة أحمد يحيى، إرشاد اسر ذوي الاحتياجات الخاصة، بيروت، دار الفكر للنشر والتوزيع،2006م، ص19.

(□)ناصر بن علي الموسى، دمج الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في التعليم العام. مرجع سابق، ص27.

(□)صالح عبد الله هارون: تدريس ذوي الإعاقات البسيطة في الفصل العادي، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود،2000م، ص16.

(□)محمد عباس يوسف، دراسات في الإعاقة وذوى الاحتياجات الخاصة، ط1، دار غريب للطباعة والنشر،1989م، ص430.

- يساهم الدمج في زيادة الدافعية وحب التعلم لدى الطفل المعاق ، كما أنه يجعله يقدر العلم والعلماء وينمي لديه التفكير العلمي والاتجاه المناسب.

أهداف الدمج:

تتبلور أهداف الدمج بناء على مجموعة من المبررات التي ساهمت في الدعوة من قبل كثير من التربويين إلى الدمج باعتباره يحقق العديد من الأهداف[1]:

- تقديم كافة الخدمات الطلابية للطلاب المعوقين بمواقعهم وبجوار سكنهم.
- توفير الفرص للطلاب المع وقين للاندماج مع الطلاب العاديين ومساعدتهم على تطوير قدراتهم التعليمية.
- خفض التكاليف الخاصة بمدارس المعوقين.
- تعديل اتجاهات المعلمين والمديرين والطلاب غير المعوقين في نظرتهم نحو المعوقين.
- التقليل من الفوارق النفسية والاجتماعية.
- توفير الفرص التربوية المناسبة للتعلم وذلك بزيادة فرص التفاعل الصفي بين الطلاب العاديين وغير العاديين لتنوع أساليب التدريب.
- زيادة فرص التفاعل الاجتماعي وذلك بممارسة الأنشطة المختلفة معًا مما يزيد من تقبّل كل فئة للأخرى.

مراحل عملية دمج المعاقين في المجتمع

مرحلة الإرشاد الأسري:

حيث تشم ل خدمة الإرشاد الأسري لدى المعاقين إشراك كل من الوالدين في عملية الإرشاد ، وتوفير الدعم والفهم لما يواجهه المعاق من المشاكل المتوقعة ، وتشمل كذلك تقديم كل ما من شأنه تجاوز الضغوط النفسية لدى المعاقين التي تسبب صعوبة في التأقلم والاندماج بالمجتمع[2].

برامج الدمج :

1- **التدريب:** إن التدريب على الحرف والمهن المختلفة عملية ضرورية في تأهيل المعاقين لاستخدام قدراتهم المتبقية في عمل ما يستطيعون به أن يعولوا أنفسهم.

ومن هذه البرامج:

([1])ناصر بن علي الموسى، دمج الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في التعليم العام. مرجع سابق، ص31- 38.

([2])يوسف شبيلي، التأهيل المهني للمعوقين ، مرجع سابق، ص 33.

أ- **الاتصال المباشر مع المعوق**: وهذا يتم عن طريق الاتصال المباشر مع المعوقين، وذلك بزيارة ا لمؤسسات والمراكز وتنظيم الزيارات المتبادلة بين المدارس، والكليات، والجامعات، ومؤسسات رعاية وتأهيل المعوقين(□).

ب **إعطاء معلومات حول المعاقين** : وذلك من خلال : قراءة الكتب عن المعاقين، والمحاضرات والنشرات والندوات، والأفلام والمجلات والصحف، و زيارات إلى المراكز ، والمعارض، والمصانع، والشركات.

ج- **الاتصال المباشر وإعطاء المعلومات** : حيث يتم تقديم معلومات خاصة بالمعاقين من خلال تنظيم الزيارات الميدانية التي تقوم بها المؤسسات المختلفة إلى مدارس ومراكز المعاقين، وتعتبر هذه الطريقة من أنفع الطرق في عملية الدمج وأشدها تأثيرًا.

د- **التأهيل المهني** : إذا تم تدريب المعاق على مهنة تتناسب مع ميوله واستعداداته وقدراته، وعمل بها ، وأثبت كفاءته وجدارته، فإن المجتمع من حوله سيغير نظرته نحوه ويتقبله.

وقد تنامت الجهود في السنوات الأخيرة لتطبيق أحدث الأساليب التعليمية وأقلها تقييداً في مجال التربية الخاصة على الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة .. ومن تلك الأساليب وأكثرها توظيفً ا ضمن التجارب العالمية، وتجربة المدارس الشاملة ودمج الأطفال غير العاديين في المدارس العادية ، وقد سعت المملكة العربية السعودية للاستفادة من تلك التجارب من خلال دراستها ومن ثم تطبيقها على مدارس التعليم العام.

ويشيد الباحث ب الجهود الرسمية التي تضطلع بها السعودية العربية السعودية والتي تقوم بدور ريادي في مجال دمج الأطفال ذوي الاحتياجات التربوية الخاصة في المدارس العادية على مستوى المنطقة، فعلى الرغم من قصر عمر التجربة السعودية في هذا المجال ، إلا أنها استطاعت أن تقطع شوطًا كبيرًا في هذا الجانب . فقد أصبحت أعداد معاهد التربية الخاصة المطبقة في المدارس العادية تفوق كثيرً ا أعداد معاهد التربية الخاصة والبرامج التابعة لها، كما أصبحت أعداد التلاميذ الذين يتلقون خدمات التربية الخاصة في المدارس العادية، تفوق أعداد أقرانهم الذين يتلقون تلك الخدمات في المعاهد والبرامج التابعة لها.

(□)محمد سيد فهمي، السلوك الاجتماعي للمعوقين، مرجع سابق، ص259.

ويتم الدمج التربوي في السعودية على طريقتين : طريقة الدمج الجزئي المتمثلة في الفصول الخاصة الملحقة بالمدارس العادية، وطريقة الدمج الكلي التي تتم عن طريق استخدام الأساليب الحديثة مثل : برامج غرف المصادر، وبرامج المعلم المتجول، وبرامج المعلم المستشار، وبرامج المتابعة في التربية الخاصة. استراتيجية وطنية من أهداف سياسة التعليم في السعودية اعتبار تعليم المتفوقين والمعوقين جزءاً لا يتجزأ من النظام التعليمي، ويأتي وضع هذه الأهداف كاستجابة للتطور السريع والتوسع الكبير اللذين يشهدهما مجال تربية وتعليم الفئات الخاصة في السعودية والعالم، وإدراكاً من الوزارة لحجم المشكلة التي تتمثل في أن أكثر من 20٪ من تلاميذ المدارس العادية في أي بلد من بلدان العالم هم في حاجة إلى خدمات التربية الخاصة، وإيماناً منها بأن المردود الذي سينجم عن تقديم تلك الخدمات للفئات المستفيدة لن يقتصر على تلك الفئات فحسب، بل سيحدث نقلة نوعية في العملية التربوية ويترك أثراً إيجابياً على مخرجات التعليم.

3- توعية الطلاب ببيان عدل الإسلام بأحقية ذوي الاحتياجات الخاصة في الحياة الكريمة جنبًا إلى جنب مع أشقائهم الأسوياء:

لعل إشارة سورة (عبس) إلى قصة الصحابي الجليل عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه، والذي جاء يستعلم عن الآيات التي نزلت في غيبته، فلم يُجبه رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ، فألح في السؤال، وألحف فلم يجبه - صلى الله عليه وسلم، وإنما عبس وأعرض ... والأعمى لا يحس بالنظرة والعبوس، والجبين المقطّب، ولكن رب العزة لا تخفى عليه خافية، لأنه عليم بذات الصدور .....وما هي إلا بُرهة وجيزة، حتى نزلت الآيات المجيدة، مسجلة هذه الحادثة، التي جرت بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم، ورجل من ذوى الاحتياجات الخاصة وفيها العتاب الشديد ... يقول تبارك وتعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١﴾.

إن هذا التوجيه القرآني إشارة إلى القيمة الحقيقية للإنسان في نظرة الإسلام، القيمة التي تقوم على الخير والعمل الصالح، والتي رفعت من شأن هذا "الأعمى" الفقير، الذي جاء متلهفا لنص قرآني جديد، يشرق به قلبه المتفتح بنور الإيمان، حتى أصبح

بذلك فوق أولئك السادة الأشراف الأصحاء، ذوى الثراء العريض، الذين أصيبوا بعمى القلوب، وموت الأرواح .

وهكذا نرى أن رعاية الإسلام للمعوقين بلغت حدًّا بالغًا من السمو والرفعة، وبهذه الآيات البينات أوضح الله تعالى أن المؤمن الضرير الكفيف هو أطيب عند الله من هؤلاء الكفرة، ورغم فقر ابن أم مكتوم وثراء هؤلاء القوم إلا أنه عند الله أثقل ميزانًا وأحسن حالاً وأفضل مقامًا. وهذه دلالة شرعية على تقديم حاجات ذوي الاحتياجات الخاصة على حاجات من سواهم.

إن العتاب القرآني هذا قد رسم سلوكًا إسلامياً راقياً يحث بالأساس على عدم استصغار الآخر أو تحقير قيمته، مهما كانت الفوارق، سواء أكانت مادية أو ثقافية أو جسدية أو عرقية أو غيرها . ومنذ ذلك التأريخ وتقدير واحترام المعوقين توجه إسلامي وقيمة دينية كبرى حظي في ظلالها ذوي الإحتياجات الخاصة بكل مساندة ودعم وتقدير .

الفصل الســـــابـع
خـــاتـــمـــة الـــــدراســـــة

- الخاتمة.
- النتائج.
- التوصيات.

الخاتمـــــة:

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصا لحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله - صلوات الله وسلامه عليه- وعلى آله وصحبه وسلم. وبعد:

تناول الباحث من خلال فصول هذه الدراسة التي تحمل عنوان : المضامين التربوية المستنبطة من سورة عبس وتطبيقاتها التربوية ، والتي اشتملت على دروس تربوية مهمة قام بها الباحث وفقًا للإطار النظري للدراسة، حيث تناول الباحث تفسير سورة عبس من كتب التفسير من النواحي العقائدية والبيانية والتربوية والأخلاقية والاجتماعية، ثم تناول المضامين العقائدية للسورة والآثار الإيمانية المترتبة على البعث والنشور بعد الممات والمترتبة على الإيمان بالملائكة ودراسة المضامين الاجتماعية وآثارها الإيمانية المترتبة على المسؤولية الفردية ودور الأسرة والمجتمع، وكذلك الآثار الإيمانية الاجتماعية المترتبة على دخول أهل الطاعة والإيمان إلى الجنة وولوج أهل الشرك إلى النار بإذن الله تعالى.

وقد تبين من الدراسة أن سورة عبس من السور المكية، تحدثت في بدايتها عن أمر الرسالة والإنذار ، ثم تحدثت عن دلائل قدرة الله - عز وجل- في الخلق ثم ختمت بالحديث عن الصاخة وأهوالها. وقد أمر الله - عز وجل- رسوله صلى الله عليه وسلم بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم من شريفهم لوضيعهم، وأن حقيقة التوجيه في الآيات الأولى إنما هو تقرير لمنهج إلهي. كما أن أخلاق الملائكة كريمة وشريفة وأفعالهم بارة طاهرة حيث أنزلت وحي الله كالسفير الذي يصلح بين القوم، فينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد و الرشاد، كما ذم الله من أنكر البعث ولعنه لكثرة تكذيبه بلا مستند ، بل مجرد الاس تبعاد والاستكبار وعدم العلم، وكذلك عِظَمُ قدرة الله - عز وجل- الذي خلق الإنسان من التراب و قدَّ ر له أجله و رزقه و عمله، وشقي أ م سعيد، وأن إعادته وبعثه هو أهون على الله من ذلك، و مهما عمل الإنسان فإنه لن يوفي حق الله عليه ، ومهما شكر فلن يشكر الله حق الشكر ولن يوفيه حق الذكر ، ولم يقض هذه المرحلة على الأرض في الاستعداد ليوم الحساب و الجزاء، فهل تراه تهيأ لهذا الأمر واستعد.

كما تناول الباحث المضامين السلوكية والأخلاقية المتضمنة على تطهير النفس وحملها على الطهارة والعفة والأثر الأخلاقي التربوي المترتب على عتاب الله - سبحانه وتعالى- للنبي - صلى الله عليه وسلم- في قصة ابن أم مكتوم - رضي الله عنه-

ثم تناول الباحث التطبيقات التربوية المستنبطة من هذه السورة في المجال المدرسي والأسري والاجتماعي، ث م تناول الباحث الاهتمام بفئة ذوي الاحتياجات الخاصة في الأخذ بأيديهم تعليميًّا واجتماعيًّا.

وفي الختام أسأل الله –تعالى- أن أكون قد وفقت في دراستي هذه وأن تحصل بها الفائدة المرجوة.. والله أسأل للجميع العلم النافع والعمل الصالح والإخلاص في القول والعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

النتـــائـــج:

لقد خلص الباحث - من خلال هذه الدراسة- إلى نتائج عديدة تمخضت عنها الدراسة والتي يمكن إجمالها في ما يلي:

1 -إن سورة (عبس) حافلة بالمضامين التربوية التي نستطيع أن نقول بأنها مبادئ وأسس راسخة من شأنها أن تكون دساتير للحياة برمتها، منها : أنه لا يُترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة، وأن العالِم هو الذي يُؤتى إليه وليس العك س ، وعلى العالم أن يكون لين الجانب بشوشاً ضحوكاً وخاصة لمن يأتيه يطلب أن يعلمه مما علمه الله تعالى، كما أن على طالب العلم أن يزكّ ي نفسه بالاستزادة من طلب العلم وسؤال العلماء ، وما إلى ذلك من المبادئ التي لا تعد ولا تحصى .

2 -شرف العلم وفضله فهو يؤدي إلى زكاة النفس وزيادة الإيمان ، فمن استكثر من العلم ولم يزدد خشيةً وتقًى وصلاحً ا وابتعادًا عن المعاصي والذنوب ، فليعلم أن طلبه للعلم مدخول، ولذا قيل: إنما العلم خشية الله.

3 -جحود وكفر الإنسان بربه مع كثرة النعم، فأكثرُ بني البشر كافرون لنعمة الله تعالى الظاهرة والباطنة مع أنهم من أضعف الخلق وأهونهم.

4 -تناولت دلائل قدرة الله تعالى في هذا الكون.

5 -خطر التبعات على ا لعبد يوم القيامة وهي الحقوق التي يطالب بها العبد يوم القيامة.

6 -شدة الهول والفزع تنسي المرء يوم القيامة أن ينظر إلى عورة أحد من أهل الموقف..

7 -ثمرة الإيمان والتقوى تظهر في الموقف نورًا على الوجه وإشراقًا له وإضاءة وثمرة الكفر والفجور تظهر ظلمة وسوادًا على الوجه وغبارًا.

8 -تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض صورة من صورها.

9 -الهداية بيد الله وحده، يهدي من يشاء ويُضل من يشاء، نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل.

10 مدح الله تعالى للملائكة، فعلى المؤمن الإيمان بهم وتقديرهم والاستحياء منهم.

11 امتنان الله - عز وجل - بنعمة الدفن للموتى، ولو بقي الأموات على وجه الأرض لما استلذ الناس بمعيشتهم.

12 ختمت ببيان أهوال القيامة وفرار الإنسان حتى من أقاربه فزعًا وخوفًا.

13 لقد أكدت الآيات القرآنية في سورة عبس أن الخوف والرجاء ثمرة من ثم رات الإيمان الحق المؤثر في السلوك الإنساني.

14 المدرسة تنمي المواطنة الصالحة لدى الفرد المسلم، فيتكون بذلك مجتمعًا إسلاميًّا قويًّا ، كما تقوم على تشجيع وتنمية ر وح البحث والتفكير لدى المتعلمين.

15 التفاعل الاجتماعي الهادف يوطد من صلات المجتمع ويربطه عقائديًّا وأخ لاقيًّا ، وينمي فيه الفضيلة والأخلاق الكريمة ، وينبذ الرذيلة والآثام.

16 دعا الإسلام إلى دمج ذوي الاحتياجات الخاصة في المجتمع والأخذ بأيديهم وجعلهم جزءًا لا يتجزأ منه ، وفي ذلك مواساة لهم وإبع ادًا لهم عن التفكير في إعاقاتهم.

17 اهتمام المملكة العربية السعودية بفئة ذوي الاحتياجات الخاصة ودمجهم اجتماعيًّا وتعليميًّا يؤكد اهتمامها بهذه الشريحة استنادًا على الترفق بهم والأخذ بأيديهم كما ورد في التعاليم الإسلامية.

18 الاهتمام الأسري بالمعاقين يفتح أمامهم مجالات أرحب للدمج في مجتمعاتهم ، ويوجه طاقاتهم توجيهًا إيجابيًّا بحيث يتجاوزون من خلاله إعاقتهم.

التوصيـــات:

لقد خرج الباحث من هذه الدراسة بتوصيات عديدة من أهمها:

1 - يوصي الباحث بضرورة إعداد البحوث التربوية التي تتناول سور وآيات القرآن الكريم بالبحث والتمحيص والعمل على نشرها بين المسلمين حتى تعم الفائدة المرجوة وينتفع بثمرتها الجميع

2 - لقد أثبتت الدراسات أن (سورة عبس) مليئة بالمضامين التربوية التي من شأنها أن تكون مبادئ وقواعد وأسس للحياة بأكملها ، لذلك هناك ضرورة لتطبيق المضامين التربوية التي وردت في (سورة عبس) في مناهجنا التربوية ومدارسنا بصفة عامة.

3 - إن (سورة عبس) نموذج راق وح ضاري يفيد بكيفية تعامل الأسوياء مع ذوي الاحتياجات الخاصة ، ومن هذا المنطلق يجب على المجتمع المسلم أفرادًا وجماعات حكامًا ومحكومين أن يتربوا ويتعلموا من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بشكل عام ، ومن (سورة عبس) بشكل خاص حتى

يستوعبوا الأهداف النبيلة والقيم الثابتة الرفيعة لينطلقوا بعد ذلك لإعمار الأرض التي استخلفهم الله تعالى فيها بالإيمان والعلم .

4 -الانتباه إلى المنهج العقائدي والعمل على تأصيله تأصيلاً صحيحًا قويًّا نابعًا من الأصول الإيمانية التي تقود النشء إلى تنمية أفكارهم وتربيتهم تربية إيمانية خالصة.

5 -على المعلم القيام بالدور الفعال في تطبيق المضامين التربوية التي وردت في (سورة عبس)، فهو المربي الذي يربي الطلاب تربية فاعلة تؤثر على سلوكهم إيجابيًّا وحل مشكلاتهم التربوية والعلمية.

6 -على الأسرة التي تربي أبناءها تربية إسلامية تستقي تعاليمها من تعاليم الدين الحنيف بإرضاء الخالق ودوام ذكره وعبادته وشكره على نعمه وإطاعة أوامره واجتناب نواهيه.

7 -الاهتمام بتزكية النفس وتنقيتها من الشوائب بابتعادها من اقتراف الذنوب والعمل على زيادة الإيمان والطاعة وكافة الأعمال الصالحة.

8 -الاهتمام بمراجعة الجوانب السلوكية الأخلاقية الرامية إلى وضع الحلول المناسبة لمن ضل عن الطريق المستقيم رغبة في انضمامه إلى جادة الدرب وعدم الرجوع إلى الانحراف.

9 -النظر إلى مهمة تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة حتى يستطيعوا الاندماج في المجتمع ويصبحوا جزءًا لا يتجزأ من مجتمعهم، وضرب الأمثال لهم من غيرهم من المعاقين الذين أحرزوا نجاحات كبيرة وتجاوزوا إعاقاتهم ، ومنهم ابن أم مكتوم رضي الله عنه.

المقترحات

يقترح الباحث ما يلي:

1 إجراء دراسات أخرى في مجال استنباط المضامين ال تربوية على (سورة عبس)، لأنها مليئة بالمضامين التربوية، حيث لا يمكن لأي دراسة، أن تعطيها حقها من البحث والدراسة والتطبيق.

2 إقامة دراسات ميدانية على واقع الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة وكيفية دمجهم بالمدارس العامة والخروج بالتوصيات المناسبة.

3 إعداد دراسة مقارنة في المجالين العلمي والديني في مدارسنا للوقوف والتعرف على الإعجاز العلمي والح قائق العلمية التي تتجلى في قوله تعالى : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾، فهي تستدعي البحث والتحليل من النواحي العلمية والجغرافية والنباتية.

المصادر والمراجع

أولاً: علوم القرآن الكريم:

1 أبو السعود محمد بن العمادي الحنفي ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، القاهرة: المطبعة المصرية، 1347هـ.

2 أبو الفداء عماد الدين إسماعيل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، بيروت : دار الفكر، 1418هـ.

3 أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، جامع الأحكام، بيروت : إحياء التراث العربي، 1422هـ.

4 أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار البيان، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ، 1406هـ/ـ1986م.

5 أبو محمد عبد الحق ابن عطية، المحرر الوجيز، بيروت: دار ابن حزم، (د.ت).

6 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي، 1961م.

7 عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنا ن، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1423هـ.

8 عبد الله ابن عباس ، تنوير المقياس من تفسير ابن عباس، بيروت : دار الكتب العلمية، د.ت.

9 محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت، عالم الكتب.

10 محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق الشيخ محمد علي الصابوني، ود . صالح أحمد رضا، بيروت، عالم الكتب، 1405هـ/1985م.

11 محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، بيروت: دار الجيل، 1973هـ.

12 محمد بن يوسف بن علي ابن حيان، البحر المحيط، ط 2، بيروت : دار الكتب العلمية، 1428هـ.

13 وهبة الزحيلي، التفسير الوسيط، ج3، دمشق: دار الفكر المعاصر، 2000م.

ثانياً: السنة النبوية وعلومها:

14 أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، بيروت : دار الكتب العلمية، 1412هـ.

15 أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، عون المعبود شرح سنن أبي داود ، بيروت: دار الكتب العلمية، ط 2 ، 1415هـ.

16 أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

17 أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط2 ، 1392هـ.

18 أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجة، سنن ابن ماجة، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ج2.

19 أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي ، بيروت : دار الكتب العلمية، 1414هـ.

20 أبو محمد عبد الله بن بهرام الدارمي، سنن الدارمي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1426هـ.

21 أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، سنن البيهقي، بيروت : دار الرسالة، ط2، 1429هـ.

22 أحمد محمد ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، ط 2، بيروت : دار الرسالة، 1429هـ.

23 سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، بيروت: دار ابن حزم، 1418هـ.

24 عبد العظيم عبد القو ي المنذري، الترغيب والترهيب ، بيت الأفكار الدولية ، الأردن (د.ت).

25 علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،كتاب البيوع ، ، دار الفكر، بيروت،1414هـ.

26 محمد بن إسحاق بن هشام، السيرة النبوية، ج4، بيروت: دار المعرفة، 1427هـ.

27 محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج 1، الرياض : دار الأفكار العلمية للنشر والتوزيع، 1419هـ.

28 محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، صحيح البخاري، دار الأفكار العلمية للنشر والتوزيع ، الرياض، 1419هـ.

29 محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب ، عون المعبود شرح سنن أبي داود ، ج3، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية ، 1415هـ.

30 محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع ، المكتب الإسلامي ،ط3، 1398هـ.

31 محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجة، مكتبة التربية العربي لدول الخليج، الرياض، 1407هـ.

32 يحي بن شرف النووي، شرح مسلم، دار الريان، القاهرة ، 1407هـ.

ثالثاً: المعاجم واللغة:

33 أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، بيروت : دار إحياء التراث العربي، ط3، 1986م.

34 أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، المصباح المنير، بيروت، المكتبة العصرية، 1417هـ/1996م.

35 الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، بيروت : دار الكتاب العربي، 1967م.

36 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، بيروت : مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ.

37 محمد أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، بيروت : دار الكتاب العربي، 1967م.

رابعاً: التراجم والسير:

38 محمد بن إسحاق ابن هشام، السيرة النبوية، بيروت: دار المعرفة، ط5، 1427هـ.

39 محمد بن سعد بن منيع ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت : دار إحياء التراث العربي، 1416هـ.

خامساً: مراجع أخرى

40 إبرا هيم أنيس وآخرون : المعجم الوسيط ، دار الفك ر ،بيروت ، لهنان ، ط2، 1420هـ.

41 إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، نظم الدرر ، طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد – الهند.

42 إبراهيم ناصر، علم الاجتماع التربوي، بيروت: دار الجيل، 1416هـ.

43 إبراهيم يس الخطيب، وأحمد محمد الزيادي، صورة الطفولة في التربي ة الإسلامية، عمان: دار وائل للنشر، 2001م.

44 ابن عبد ربه، العقد الفريد، بيروت : دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، 1996م.

45 أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنوجي البخاري، فتح الباري في مقاصد القرآن، قطر: إدارة إحياء التراث الإسلامي، 1248هـ.

46 أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، صيد الخاطر، بيروت : دار الفكر، 1408هـ.

47 أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي القدير، المجلد الخامس، جدة: راسم للدعاية والإعلان، 1412هـ.

48 أبو حامد محمد محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، صيدا : دار المعارف، 1985م.

49 -_____، بداية النهاية، بيروت: دار المنهاج، (د.ت).

50 أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، رياض الصالحين، دمشق : دار المأمون، 1412هـ.

51 أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، تحقيق حسين عبد المجيد، القاهرة: دار اليقين للنشر، 1417هـ.

52 -_____، الروح، بيروت: دار الكتب العلمية، 1395هـ.

53 -_____، الفوائد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1393هـ.

54 -_____، طب القلوب، جمع وترتيب صالح أحمد الشامي، دمشق: دار القلم. (د.ت).

55 أبو علي، أحمد بن محمد بن يعقوب ابن مسكويه ، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ط2، بيروت: منشورات مكتبة دار الحياة، (د.ت).

56 -أبو منصور، محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق وتقديم عبد السلام محمد هارون، وراجعه محمد علي النجا، الدار المصر ية للتأليف والترجمة، 1384هـ.

57 -أحمد إبراهيم أبو سن، الإدارة في الإسلام، الرياض: دار الخريجي، 1996م.

58 -أحمد الحمد، التربية الإسلامية، الرياض: دار أشبيليا، 1423هـ.

59 -أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، الإيمان، ط3، المكتب الإسلامي، دمشق، 1399هـ.

60 -أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، مجموع الفتاوى، بيروت: دار المعرفة، 1386هـ.

61 -أحمد حسين اللقاني، وعلي أحمد الجمل: معجم المصطلحات التربوية والمعرفية ، القاهرة، عالم الكتب، ط2 ، 1419هـ.

62 -أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، القاهرة: دار المعارف ، 1985م.

63 -إسماعيل شرف، تأهيل المعوقين، القاهرة، دار النهضة العربية، 2001م.

64 -أمين أبو لاوي، معالم الثقافة الإسلامية، الدمام: دار ابن الجوزي، 1419هـ.

65 -أنس أحمد كرزون، عطر المجالس وقفات تربوية، جدة : دار نور المكتبات، 2001م.

66 -_____، منهج الإسلام في تزكية النفوس، بيروت : الدار العلمية للنشر، 2001م.

67 -_____، منهج الإسلام في تزكية النفوس، بير وت: الدار العلمية للنشر، 2001م.

68 -جلا ل الدين السيوطي ،الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تحقيق عبد الله التركي ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية،1424هـ.

69 -جمال الخطيب، ومنى الحديدي، برنامج تدريبي للأطفال المعاقين، عمان، دار الفكر، 2004م.

70 -جمال الدين القاسمي ، جوامع الأدب في أخلاق الإنجاب، بيروت، لبنان ، دار القادري، 1996م،

71 -حامد عبد السلام زهران، الصحة النفسية والعلاج النفسي ، القاهرة : عالم الكتب، 2003م.

72 -حسن مصطفى عبد المعطي، الأسرة ومشكلات الأبناء، القاهرة : دار السحابة، 2000م.
73 -حلمي محمد فودة ، وآخرون :المرشد في كتابة البحوث التربوية ، جدة،مكتبة دار الشروق،ط6، 1412 هـ.
74 -حليمة علي أبو رزق، توجيهات تربوية من القرآن والسنة في تربية الطفل، الرياض: الدار السعودية للنشر، 1420هـ.
75 -خولة أحمد يحيى، إرشاد اسر ذوي الاحتياجات الخاصة ، بيروت، دار الفكر للنشر والتوزيع، 2006م.
76 -راجي الأسمر، الملائكة، حقيقتهم، وجودهم، صفاتهم، دار جروس برس للنشر والتوزيع، بيروت، 1991م.
77 -زيدان عبد الباقي، الأسرة والطفولة، بيروت : دار العودة، 1999م.
78 -زينب محمود شقير ، خدمات ذوي الاحتياجات الخاصة ، ط 2، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية. 2005م.
79 -سالك أحمد معلوم، الفكر التربوي عند الخطيب البغدادي، 1413هـ.
80 -سليمان بن عبد الرحمن الحقيل ، التعليم في المملكة العربية السعودية، الرياض، 1997م.
81 -السيد عبد الحميد سليمان، صعوبات التعلم والإدراك البصري، القاهرة : دار الفكر العربي، 1424هـ.
82 -سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، القاهرة: دار الشروق، 1395هـ.
83 -_____، في ظلال القرآن، ط17، بيروت: دار الشروق، 1412هـ.
84 -_____، مشاهد القيامة في القرآن، ط2، دار المعارف بمصر، (د.ت).
85 -صالح بن سليمان المطلق البقعاوي، مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين، الدمام : دار ابن الجوزي، 1412هـ.
86 -صالح عبد الله هارون : تدريس ذوي الإعاق ات البسيطة في الفصل العادي، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود، 2000م.
87 -عامر قندلجي، البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات، عمان : مطابع اليازوري، 2007م.

88 عبد الحليم عويس، التكافل الاجتماعي في ضوء الفقه الإسلامي، دمشق : جامعة اليرموك، 2001م.
89 عبد الرحمن العيسوي، علم الاجتماع الدعوي، الكويت : دار السلاسل، 1972م.
90 عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دمشق: دار الفكر، 1426هـ.
91 عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج1، القاهرة: دار الثقافة الإسلامية، 2001م.
92 عبد الرحمن عبد الرحيم الخطيب، الخدمة الاجتماعية المتكاملة في مجال الإعاقة ذوي الاحتياجات الخاصة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2006م.
93 عبد العزيز بن محمد النغيمش، الانفعالات : القاهرة : المكتبة العربية للثقافة، 2001م.
94 -_____، علم النفس الدعوي، الرياض، دار المسلم، 1415هـ.
95 عبد الفتاح عثمان وآخرون، الرعاية الاجتماعية للمعاقين ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، 1974م.
96 عبد الله بن سيف الأزدي، فصول من الأخلاق الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، جدة: دار الأندلس الخضراء، 1420هـ.
97 عفيف طبارة، روح الدين الإسلامي، بيروت: دار النهضة، 2001م.
98 علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (ت 792 هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق : أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية ،والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1418 هـ.
99 علي بن محمد بن علي الجرجاني (740 - 816هـ): "التعريفات" تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1405هـ.
100 علي عبد الحليم محمود، أسس التربية الإسلامية، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت.
101 عمر سليمان الأشقر، عالم الملائكة الأبرار، عمان: دار النفائس، 1421هـ.
102 عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة الرسال ة، 1393هـ/1973م.

103 عويد بن عياد بن عايد المطرفي، آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم في ضوء العصمة والاجتهاد، بيروت: دار الفكر العربي، 1404هـ.
104 غازي صبحي، آيات قرآنية ومضات من القرآن الكريم، عرف وتحليل، ج 1، دمشق: مكتبة الأسد، 1998م.
105 فاطمة عمر نصيف، أخلاقنا في الميزان، جدة: دار المحمدي، 1421هـ.
106 فهد حمد أحمد المغلوش، رعاية وتأهيل المعاقين، الرياض: دار المريخ، 1999م.
107 مجد مكي، البيان في أركان الإيمان، قدم له د. يوسف القرضاوي، دار نور المكتبات، جدة، 1419هـ/1999م.
108 محمد الزحيلي، حقوق الإنسان في الإسلام، دار الفارابي، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م.
109 محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1997 م.
110 محمد الغزالي، عقيدة المسلم، القاهرة: دار الكتب الإسلامية، 1404هـ.
111 محمد بن إبراهيم البقوري ترتيب فروق القرافي، تحقيق الميلودي بن جمعة، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 2003م.
112 محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، سبل السلام، بيروت: دار الكتاب العربي، 1416هـ.
113 محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، ج 4، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1416هـ.
114 محمد بن علي الشوكاني، نيل الأوطار، بيروت: دار الجيل: 1973م.
115 محمد خضر، رسائل الإصلاح، الدمام، دار الإصلاح، ج1، د.ت.
116 محمد زكي العشماوي، النابغة الذبياني، مع دراسة للقصيدة العربية الجاهلية، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، 1988م.
117 محمد سيد فهمي، السلوك الاجتماعي للمعاقين: دراسة اجتماعية في الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، 1998م.
118 محمد شحات الخطيب وآخرون، أصول التربية الإسلامية، الرياض: دار الخريجي، 1421هـ.

119 محمد عباس يوسف، دراسات في الإعاقة وذوي الاحتياجات الخاصة، دار غريب للطباعة والنشر،1989م.
120 محمد عبد الرؤوف المناوي، "التوقيف على مهمات التعاريف " تحقيق : د.محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت،1410هـ.
121 محمد عبد القادر هنادي، أركان الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، جدة : دار المجتمع للنشر، 1410هـ.
122 محمد عودة، وكمال إبراهيم مرسي، الصحة النفسية في ضوء علم النفس والقرآن، الكويت: دار القلم، 1406هـ.
123 محمد عودة، وكمال إبراه يم مرسي، تربية الأبناء في الإسلام، الإسكندرية : مكتبة منارة الإسكندرية، 1998م.
124 محمد قطب، مناهج التربية الإسلامية، القاهرة: دار الشروق، 1400هـ.
125 محمد متولي الشعراوي، المختار من تفسير القرآن الكريم، القاهرة : دار الجيل، د.ت.
126 محمد منير مرسي، التربية الإسلامية وفلا سفتها، القاهرة : مطبعة عيسى البابي، 1975م.
127 مروان عبد المجيد إبراهيم، الرعاية الاجتماعية لذوي الاحتياجات الخاصة، عمان: الوراق للنشر، 2007م.
128 مساعد سليمان الطيار، المحرر في علوم القرآن، الرياض : دار ابن الجوزي، 1427هـ.
129 معجم لغة الفقهاء، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1422هـ.
130 منير المرسي سرحان، في اجتماعيات التربية، ب يروت: دار النهضة العربية، 2003م.
131 ناصر بن علي الموسى، دمج الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في التعليم العام . الرياض، مكتب التربية العربي، 2000م.
132 نجم الدين الواعظ، الدين الحنيف، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، 1415هـ.
133 وليد السيد أحمد خليفة، الكمبيوتر في خدمة المعاقين، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، 2006م.
134 يوسف شبيلي، التأهيل المهني للمعاقين، عمان: دار الفكر ، 2005م.

135 يوسف عبد الله الوابل، أشراط الساعة، الرياض: دار ابن الجوزي، 1420هـ.
136 يوسف محمد القرضاوي، الرسول والعلم. القاهرة: دار الرسالة 1984م.

سادساً: الرسائل العلمية:

137 أحمد بن سلامة محمد العمراني، المبادئ التربوية المستنبطة من سورة (ص) ، رسالة ماجستير، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1428هـ.
138 أحمد سعيد الغامدي : العلاقات الإنسانية في الفكر الإداري الإسلامي ومضامينها وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير ، مكة المكرمة : جامعة أم القرى 1401هـ.
139 إيمان إبراهيم محمد العمريطي، مضامين تربوية مستنبطة من سورة الشرح وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير ، مكة المكرمة : جامعة أم القرى، 1423هـ.
140 جابر مشبب سلمان القحطاني، المضامين ال تربوية المستنبطة من سورة الماعون وتطبيقاتها التربوية في الأسرة، رسالة ماجستير ، مكة المكرمة : جامعة أم القرى، 1429هـ.
141 ضيف الله بن محمد بن مسفر الزهراني، بعض المضامين التربوية في سورة المعارج وتطبيقاتها، رسالة ماجستير ، مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، 1427هـ.
142 عبد الله بن مديس بن علي العمري، المضامين التربوية في أي لفظ العلم القرآنية، رسالة ماجستير ، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1425هـ.
143 محمد بن رزيق بن قبل الرحيلي، بعض المبادئ التربوية المستنبطة من قصة يوسف عليه الصلاة والسلام، رسالة ماجستير، مكة المكرمة : جامعة أ م القرى، 1421هـ.
144 ناصر عبد الله حامد العامري، المضامين التربوية المستنبطة من سورة الضحى وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير، مكة المكرمة :جامعة أم القرى، 1429هـ.

سابعاً: الـــدوريـــات:

145 إدريس علي الطيب، الغفلة في القرآن الكريم، أسبابها وآثارها وطرق علاجها، مجلة دراسات دعوية، العدد 4، يوليو2007م.

146 جميل توفيق إبراهيم" :أصناف المعاقين وخصائصهم النفسية والبدنية ودورهم في المجتمع" .في :الإعاقة ورعاية المعاقين في أقطار الخليج العربية ، سلسلة الدراسات الاجتماعية والعمالية، مكتب المتابعة بالدول العربية الخليجية، العدد (17)،١٩٩١ م.